موجز
التاريخ الامريكي



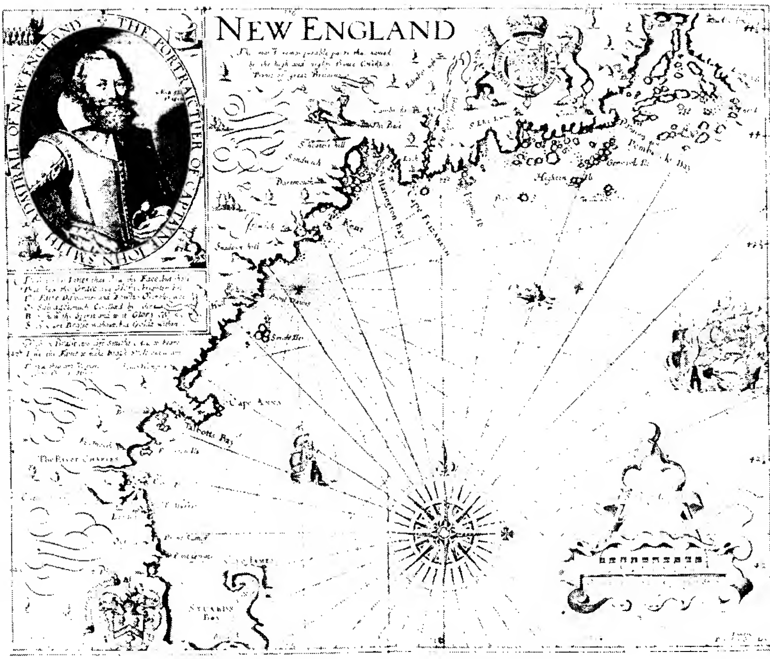
صورة الغلاف ـ رسم بالزيت لـ ابراهام لنكولن ،
بريشة دوجلاس فولك ، من مجموعة اندرو
ميلون في المتحف القومي للفن .

موجز
التاريخ
الامريكي

ترد على وكالة الاتصال الدولي للولايات المتحدة الامريكية رسائل كثيرة يستفسر فيها أصحابها عن مسائل تتصل بوقائع التاريخ الامريكي . ويحاول هذا الكتيب ان يفسر بعض تلك المسائل في ايجاز ويسر ، كما يحاول ان يتتبع بعض الاتجاهات الفكرية الرئيسية وعوامل التقدم التي صاحبت نمو الأمة الامريكية ورقيها . وعلى هذا الأساس لا يمكننا ان نعتبره ، بحال من الأحوال ، تاريخا مفصلا كاملا للولايات المتحدة ، اذ ان كل حقبة من حقب هذا التاريخ كانت موضوع دراسة وبحث مستفيضين لا يمكن استيعابها في صفحات معدودات . وفي الصفحات ١٨٠ ـ ١٨٢ يجد القارىء قائمة تحتوي على منتخبات قليلة من المراجع الكثيرة التي يستطيع ان يرجع اليها اذا هو رغب في متابعة الاطلاع والتوسع في دراسة تاريخ أمريكا . ونحن نأمل أن يكون هذا الكتيب مقدمة مفيدة للموضوع فيضيف بذلك ثروة جديدة الى أسباب المعرفة المشتركة والتفاهم المتبادل بين قرائه وشعب الولايات المتحدة .

محتويات الكتاب

ينطوي هذا الكتيب على نص منقح ومجدد حتى تاريخه . كان قد أعد في الأصل بالتشاور مع الدكتوروود جراي ، استاذ التاريخ الأمريكي في جامعة جورج وشنطن . في العاصمة وشنطن ، والدكتور ريتشارد هوفستدتر أستاذ التاريخ في جامعة كولومبيا في نيويورك .



المصدر : مكتبة الكونجرس ، واشنطن العاصمة

للكابتن جون سميث مكانة باقية في التاريخ الأمريكي ، كقائد أنقذ بحزمه وشجاعته المستعمرة الانجليزية في فرجينيا من الدمار ، في سنة ١٦٠٨ . ولكن جهوده كمكتشف وكجغرافي أقل شهرة . والخريطة المنشورة فوق ، والتي ترى صورته في زاويتها اليسرى العليا ، جرى وضعها في لندن من المذكرات والمشاهدات التي حققها سنة ١٦١٤ في رحلة علمية الى الاقليم الذي سماه « نيو انجلند » . واليوم تعني التسمية الولايات الشمالية الشرقية الست في الاتحاد. وقد كانت جماعة « الحجاج » التي أبحرت على ظهر السفينة « مايفلاور » في سنة ١٦٢٠ ، تحمل معها نسخة من هذه الخريطة عند نزولها الى البر في بلايموث أما ما سماه سميث في خريطته « كيب جيمس » فيعرف الآن باسم « كيب كاد » .

عهد الاستعمار

« لم تتفق السماء والأرض على اعداد بقعة يسكنها الانسان تفضل هذا المكان » .

جون سميث
مؤسس مستعمرة فرجينيا ـ ١٦٠٧

شهدت أوائل الستينات من القرن السابع عشر بداية هجرة كبيرة من اوروبا الى أمريكا الشمالية . وهذه الحركة التي امتدت الى اكثر من ثلاثة قرون ، نمت من مجيء عدة مئات من المستعمرين الانجليز ، الى سيل دافق من القادمين الجدد ، بلغ عددهم الملايين ، وشيدوا ، بدوافع قوية مختلفة ، حضارة جديدة على ارض كانت ذات يوم قارة موحشة .

والدفعة الأولى من المهاجرين الانجليز الذين وصلوا الى ما يعرف الآن بالولايات المتحدة ، عبرت المحيط الاطلنطي بعد وقت طويل من قيام المستعمرات الاسبانية في المكسيك ، وفي جزر الهند الغربية ، وأمريكا الجنوبية . ومثل جميع الرحالين الأوائل الى العالم الجديد ، جاء هؤلاء في سفن صغيرة مكتظة ، وعاشوا خلال رحلتهم التي كانت تتراوح بين ستة أسابيع واثني عشر أسبوعاً . على القليل من الزاد . وكثيرون منهم قضى عليهم المرضى ، وغالباً ما كانت العواصف تضرب سفنهم وتعطبها . وبعضها فقد في البحر .

وقد بعث ظهور الساحل الأمريكي في نفس المسافر المرهق المتلهف ، الكثير من الغبطة والارتياح ، وكتب أحد المؤرخين يقول : « كان الهواء على بعد ١٢ فرسخاً عبقاً كأنه منبعث من حديقة غناء » . وكان أول ما وقع عليه نظر المستعمرين في الأرض الجديدة ، منظر الغابات الكثيفة . وصحيح ان هذه الغابات كان يسكنها الهنود الحمر ، وكان الكثيرون منهم معادين ، وكان خطر الاعتداء الهندي يضيف الكثير الى متاعب الحياة اليومية ، غير ان الغابات البكر الواسعة المترامية على مدى ٢١٠٠ كيلومتر تقريباً على طول الساحل الشرقي من الشمال إلى الجنوب ، كانت تعتبر مصدراً غنياً يوفر الغذاء الكثير والوقود ، ويؤمن المواد الخام لبناء المساكن ، وصنع الاثاث ، والسفن ، والسلع المربحة للتصدير . وكانت اول مستوطنة انجليزية دائمة في أمريكا ، مركزاً تجارياً انشئ في عام ١٦٠٧ في جيمستاون ، في مستعمرة فرجينيا القديمة .

وسرعان ما عملت هذه المنطقة على تطوير اقتصاد مزدهر من محصولها من التبغ الذي وجد سوقاً جاهزة في انجلترا ، وبحلول عام ١٦٢٠ ، عندما تجندت النساء في انجلترا للمجيئ الى فرجينيا للزواج وانشاء أسر وبيوت ، كانت الزراعة قد انتشرت على طول نهرجيمس ، وكان عدد السكان قد ارتفع الى الف مستوطن .

استيطان الأرض

على الرغم من ان القارة الجديدة قد اغدقت عليها الطبيعة خيراتها بسخاء وبشكل ملحوظ ، فقد كانت التجارة مع اوروبا مسألة حيوية لاستيراد المواد التي لم يكن بوسع المستوطنين انتاجها بعد . وهنا ادى الساحل للمهاجرين خدمة طيبة بكثرة ما فيه من مرافئ وخلجان . ولم تكن هناك سوى منطقتين اثنتين خلتا من المرافئ الصالحة لرسو السفن المحيطية ، وهما كارولينا الشمالية ، وجنوبي نيوجيرسي .

وقد ساعدت الانهار العظيمة ـ كينبك ، الهدسون ، ديلاور ، سكويهانا ، وبوتوماك والعديد غيرها ـ على توفير وسائل الاتصال الوثيقة بين السهل الساحلي والموانئ ، وبين هذه الموانئ واوروبا . على انه لم يكن بين جميع هذه الانهار الا نهر واحد يؤدي الى قلب القارة ، هو نهر سانت لورنس ، بكندا ، وكان في أيدي الفرنسيين . وقد ترتب على افتقار البلاد الى الطرق المائية ، بالاضافة الى العوائق الهائلة التي فرضتها سلسلة جبال الابلاش ، ان اقتصرت الحركة على منطقة السهول الساحلية . ولم يبتعد عن الشاطئ غير التجار وصيادي حيوانات الفراء ، ولذلك ظلّ المستعمرون طوال قرن من الزمن يشيدون مستوطناتهم الجديدة متلاصقة متقاربة على طول الشاطئ .

وكانت هذه المستعمرات مجتمعات تتمتع باكتفاء ذاتي وبمنافذها الخاصة الى البحر . واصبحت كل مستعمرة تتميز بطابعها الخاص وبشخصيتها القوية ، واستقلالها ، ولكن بالرغم من هذه الفردانية ، فقد تجاوزت مشاكل التجارة والصناعة ، والملاحة ، والعملة ، حدود هذه المستعمرات وقضت بضرورة وجود نظم مشتركة ادت بها ـ بعد استقلالها عن انجلترا ـ الى الاتحاد .

وكان مجيء المستعمرين في القرن السابع عشر نتيجة تخطيط وتنظيم دقيقين ، ونفقات ضخمة ومجازفات كبيرة . فقد كان على المستوطنين أن يقطعوا مسافة خمسة آلاف كيلو متر تقريباً عبر البحر . وكانوا بحاجة إلى أدوات ، وملابس ، وبذور ، وآلات ، ومواد للبناء ، ودواجن ، واسلحة ، وذخيرة . وخلافاً لما كانت تسير عليه سياسة الاستعمار في دول اخرى وفي احقاب اخرى مختلفة ، كانت الحكومة الانجليزية لا تشجع على الهجرة من بلادها ، بل كانت تتعهدها جماعات خاصة من الافراد الذين كان دافعهم الرئيسي هو الربح .

وثمة مستعمرتان اثنتان ، وهما فرجينيا ومساتشوستس ، اسستهما شركات مرخصة

استخدمت اموالها التي ساهم بها الأفراد ، في تجهيز المستعمرين ونقلهم والانفاق عليهم .

أما فيما يتعلق بمستعمرة نيوهافن (التي أصبحت فيما بعد جزءاً من مستعمرة كونيتكت) فقد قام اصحاب اليسار من المهاجرين انفسهم بتمويل عمليات وتجهيز اسرهم وخدمهم . وهناك مستعمرات اخرى - نيوهامشير ، مين ، ماريلاند ، كارولينا الشمالية ، كارولينا الجنوبية ، نيوجرسي ، وبنسلفانيا - كانت في الاصل ملكاً لافراد من الأعيان الانجليز الذين انفقوا من مالهم الخاص - باعتبارهم من كبار الملاكين - ما يلزم لاستقرار المستأجرين والخدم في الأراضي التي منحهم اياها الملك .

فشارل الأول ، مثلاً ، منح سيسيل كالفرت (لورد بلتيمور) وورثته حوالي ٢,٨٠٠,٠٠٠ فدان ، وهي التي اصبحت فيما بعد ولاية ماريلاند . ومنح شارل الثاني الأراضي التي أصبحت فيما بعد كارولينا الشمالية ، وكارولينا الجنوبية وبنسلفانيا . وكان أصحاب الأراضي والشركات المرخصة ، من الناحية الفنية ، بمثابة المستأجرين من الملك ، وان كانوا يدفعون مبالغ رمزية فقط عن اراضيهم . فقد كان اللورد بلتيمور مثلاً ، يعطي الملك سهمين هنديين كل سنة ، وكان وليم بن يعطيه جلد كلبين من كلاب الماء عن كل عام .

والولايات الثلاث عشرة التي اصبحت في النهاية الولايات المتحدة ، كانت نيوهامشير ، مساتشوستس ، رود أيلاند ، كونيتكت ، نيويورك ، نيوجرسي ، كارولينا الشمالية ، كارولينا الجنوبية ، وجورجيا . وكانت كل ولاية تعكس أصلها ومنشأها ، والعديد منها كانت مجرد فروع من مستعمرات أخرى . فرود أيلاند وكونيتكت أسسهما جماعات من مساتشوستس - وهي المستعمرة (الام) التي تفرعت منها مستعمرات نيوانجلند باسرها . واسس مستعمرة جورجيا جيمس ادوارد اوجليثورب ونفر قليل من فاعلي الخير الذين كان هدفهم اطلاق سراح المساجين المدينين من السجون الانجليزية وارسالهم الى أمريكا لتأسيس مستعمرة تقف حاجزاً أمام الاسبان الذين كانوا في الجنوب . وقد اسس الهولنديون مستعمرة نيونيذرلاند عام ١٦٢١ ، ثم خضعت للحكم الانجليزي في سنة ١٦٦٤ واطلق عليها اسم نيويورك .

وكان الضيق الاقتصادي اقوى العوامل التي دفعت بمعظم المهاجرين الاوروبيين الى ترك بلادهم بحثاً عن فرص اقتصادية اعظم - وهو دافع كثيراً ما كان يغذيه الحنين الى الحرية الدينية ، او العزم على التخلص من الاضطهاد السياسي . وخلال الفترة الواقعة بين عامي ١٦٢٠ و١٦٣٥ اجتاحت الصعوبات الاقتصادية انجلترا ، فتعطل عن العمل عدد كبير من الناس ، واصبح حتى الصناع المهرة لا يستطيعون تحصيل ما يقيم اودهم الا بشق الانفس . ومما زاد المحنة سوءاً ، رداءة المحاصيل ، زد على ذلك ان صناعة الصوف التي كانت آخذة في النمو في انجلترا ، تطلبت مقادير متزايدة من الصوف لضمان استمرار العمل في المصانع ، وحمل هذا مربي الأغنام الى الجور على الأراضي الزراعية وتحويلها الى مراعي .

السعي الى الحرية الدينية والسياسية

وفي الوقت الذي اشتدت فيه الحماسة الدينية في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، دعت جماعة من الرجال والنساء تعرف بالبيوريتان ، إلى اصلاح المذهب الديني الرسمي في انجلترا اصلاحاً داخلياً . وكان منهاج هؤلاء الأساسي يرمي الى استكمال المذهب البروتستانتي في الكنيسة الوطنية وتبسيط طقوس الصلاة والعبادة . وقد هددت افكارهم الاصلاحية بانقسام الناس على انفسهم ، وتقويض دعائم السلطة الملكية ، بالقضاء على وحدة كنيسة الدولة .

وفي عهد جيمس الاول رحلت جماعة صغيرة من الانفصاليين ــ ومعظمهم من الريفيين البسطاء الذين عرفوا بانه لا يمكن اصلاح الكنيسة الرسمية وفق رغبتهم ــ إلى مدينة ليدن ، بهولندا ، حيث سمحت لهم السلطات باقامة شعائرهم بالشكل الذي يرغبون . وفي وقت لاحق قرر فريق من مهاجري ليدن الذين أصبحوا يعرفون بـ « الحجاج » ، الرحيل إلى الدنيا الجديدة حيث أسسوا ، في عام ١٦٢٠ مستعمرة بليموث .

وعقب تولي شارل الأول العرش ، في عام ١٦٢٥ ، تعرض زعماء البيوريتان لما اعتبروه اضطهاداً متزايداً . وانضم الى الحجاج في أمريكا نفر من رعاة الكنيسة الذين كان قد حظر عليهم مزاولة الوعظ وقتئذ ، يرافقهم اتباعهم . وبخلاف ما كانت عليه حال المهاجرين الاولين ، فقد ضم هذا الفريق الثاني الذي اسس مستعمرة خليج مساتشوستس في عام ١٦٣٠ ، كثيرين من ذوي الثراء والنفوذ . ومع نهاية العقد التالي ، استطاع البيوريتان أن يطبعوا ستاً من المستعمرات الانجليزية بطابعهم .

غير ان هؤلاء البيوريتان لم يكونوا المستعمرين الوحيدين الذين هاجروا بسبب هذا الدافع الديني الى أمريكا . فقد حمل عدم الرضا عن حالة الكويكرز في انجلترا ، وليم بن واتباعه على تأسيس مستعمرة بنسلفانيا . كما كان اهتمام سيسيل كالفرت بالكاثوليك الانجليز أحد العوامل التي دفعته الى انشاء مستعمرة ماريلاند . وفي بنسلفانيا وكارولينا الشمالية سعى كثيرون من المستعمرين ــ المتحدرين من أصل الماني وارلندي ــ وراء قسط اكبر من الحرية الدينية والفرص الاقتصادية .

والى جانب هذه العوامل الدينية كانت هناك ايضاً اعتبارات سياسية دفعت كثيرين الى الرحيل الى امريكا . فقد شجع الحكم الفردي الجائر ، في عهد شارل الثاني ، في الثلاثينات من القرن السابع عشر ، الهجرة الى الدنيا الجديدة ، كما حمل قيام الثورة وانتصار خصوم شارل بزعامة اوليفر كرومويل ، في السنوات العشر التالية ، كثيرين من الفرسان (حزب الملك) على الهجرة الى فرجينيا . وفي المانيا ساعدت سياسة الاضطهاد التي اتبعها كثير من صغار الأمراء وخاصة في المسائل الدينية ، وما حل بالبلاد من دمار وخراب من جراء الحروب الطويلة ، على ازدياد الهجرة الى امريكا في اواخر القرن السابع عشر وفي القرن الثامن عشر .

وفي حالات عديدة حيث كان الناس غير متحمسين لبدء حياة جديدة في امريكا ، لجأ المروجون للهجرة الى وسائل بارعة لاقناعهم بالهجرة . فوليم بن مثلاً ، روّج الدعاية عن الفرص التي تنتظر القادمين الجدد الى مستعمرة بنسلفانيا . واستخدم ربابنة السفن ، بعد ان كسبوا اموالاً طائلة من بيع عقود استخدام المهاجرين الفقراء ، جميع الوسائل لتشجيع الهجرة . فمن وعود خلابة ، الى خطف ما تستطيع سفنهم حمله من مهاجرين . وشجع القضاة القائمون على شؤون السجون على تهيئة الفرصة للمذنبين للهجرة إلى أمريكا بدلاً من قضاء مدة العقوبة في السجن .

قلائل كانوا قادرين على تأمين نفقات الهجرة

ولما كان اكثر المستعمرين لا يملكون نفقات السفر لأنفسهم ولعائلاتهم ، ولا ما يكفي لبدء حياتهم في الأرض الجديدة ، فقد تولت شركات الاستعمار ـ كشركة فرجينيا وشركة خليج مساتشوستس ـ دفع تكاليف نقلهم ، مقابل العمل لحساب هذه الشركات كعمال متعاقدين . غير انه سرعان ما تبين المستعمرون الذين سافروا على هذا الأساس ، انه كان من الافضل لهم ان يبقوا في انجلترا ما داموا سيظلون خداماً مستأجرين .

ولم تلبث الأيام ان برهنت على ان هذا النظام كان حجر عثرة في سبيل الاستعمار الناجح ، وكان لا بد من استخدام وسيلة جديدة لتشجيع المستوطنين على الرحيل الى امريكا . فبدأت الشركات واصحاب الأملاك والعائلات المستقلة تفاوض الذين يتطلعون بشوق إلى الحياة في تلك البلاد . وأسفرت هذه المفاوضات عن التعاقد معهم على العمل . وتعهد كل مهاجر بان يعمل لحساب صاحب العقد مدة معينة ـ تتراوح عادة بين اربع سنوات وسبع سنوات نظير نفقات سفره بحراً والانفاق عليه . حتى اذا اصبح المهاجر حراً بعدها ، حصل على ما كان يستحقه من حقوق كانت تشتمل في بعض الأحيان على قطعة صغيرة من الأرض .

وقد دلت التقارير على ان نصف المهاجرين الذين أقاموا في المستعمرات الواقعة جنوب نيوانجلند ، جاؤوا الى أمريكا وفق هذا النظام ـ أي أجرَاء بموجب عقود . وعلى الرغم من أن معظم هؤلاء وفوا بالتزاماتهم كاملة ، فقد فر البعض من مستخدميهم ، غير ان كثيرين منهم استطاعوا ان يحصلوا بسهولة على اراض في المستعمرة التي استوطنوها في اول الأمر ، او في مستعمرات قريبة منها .

على ان الاسر التي بدأت حياتها من جديد في ظل هذا النظام الجائر ، لم يمسها أي عار اجتماعي . وكان لكل مستعمرة نصيبها من الزعماء ذوي الجاه الذين كانوا في الأصل خدّاماً مستأجرين .

ومعظم المستوطنين الذين جاؤوا إلى أمريكا في القرن السابع عشر كانوا من الانجليز ، غير أنه كانت هناك أيضاً جماعات قليلة من الهولنديين ، والسويديين . والالمان ،

استقروا في المنطقة الوسطى . واستوطن في كارولينا الجنوبية وغيرها عدد قليل من الهجونوت الفرنسيين وجماعات اخرى من الاسبان والطليان . بيد ان هذه الجماعات كلها ـ عدا الانجليز ـ لم تكن تتجاوز ١٠ بالمئة من مجموع عدد السكان .

خليط من ثقافات متعددة

وبعد عام ١٦٨٠ لم تعد انجلترا المصدر الرئيسي للمهاجرين ، لأن جموعاً عظيمة وفدت من المانيا ، وايرلندا ، واسكتلندا ، وسويسرا ، وفرنسا لاسباب مختلفة ، وهرب من اوروبا آلاف من الالمان فراراً من الحرب . وغادر كثير من الايرلنديين شمال ايرلندا هرباً من الفقر الذي سببه اضطهاد حكوماتهم ، وتخلصاً من عسف كبار ملاك الأراضي الذين يعيشون بعيداً عن أراضيهم . كذلك جاء أقوام من اسكتلندا وسويسرا هرباً من شبح الفقر . وقد بلغ عدد السكان في عام ١٦٩٠ نحو ربع مليون نسمة ، ثم أخذ يتضاعف مرة كل خمس وعشرين سنة حتى زاد على مليونين ونصف مليون نسمة في عام ١٧٧٥ .

وكثيراً ما كان المستعمرون ـ من غير الانجليز ـ يكيفون انفسهم وفق ثقافة المستوطنين الأصليين . ولكن ليس معنى ذلك ان كل المستوطنين قد اصبحوا انجليزاً يقيمون خارج بلادهم . فبالرغم من انهم استخدموا اللغة الانجليزية وطبقوا القانون واتبعوا الكثير من العادات الانجليزية ، فقد كيفوا ذلك كله وفق الأحوال في أمريكا ، ونتج عن ذلك في النهاية ثقافة فريدة في نوعها هي مزيج من الصفات الانجليزية والأوروبية ، ألفت بين عناصرها ظروف البيئة في الدنيا الجديدة .

ومع انه كان في استطاعة الرجل ان ينتقل واسرته من مساتشوستس الى فرجينيا ، أو من كارولينا الجنوبية الى بنسلفانيا ، دون حاجة الى اعادة تنظيم شؤونه من جديد ، فقد كان هناك من الفوارق ما يميز كل مستعمرة عن غيرها من هذه المستعمرات وكل طائفة عن أخرى غيرها .

وقد قسمت تلك المستعمرات إلى أقسام محددة وفقاً للواقع الجغرافي . ففي الجنوب الذي تميز بمناخه الحار وتربته الخصبة ، نشأ مجتمع زراعي ناجح وكانت العوامل الطبيعية هي التي حددت هذه الفوارق . فنيوانجلند ، التي تأثرت بفعل الجليد منطقة غطت أرضها الصخور ، كانت تربتها على وجه العموم مجدبة قاحلة باستثناء بقاع قليلة في أودية الانهار . وقد جعلت فصول الصيف القصيرة وفصول الشتاء الطويلة من تلك المنطقة الصغيرة المنبسطة ، بقعة قليلة الأهمية نسبياً ، من الناحية الزراعية ، ولكن اهل نيوانجلند لم يلبثوا أن وجدوا أعمالاً أخرى تدر عليهم رخاء أوفر ويجنون منها فوائد أعم ، فقد استخدموا القوى المائية وبنوا مطاحن للقمح والذرة وقطعوا الأخشاب وصدروها . ثم ان الطبيعة جعلت من التضاريس الساحلية مرافئ ممتازة كان لها أثر في تقدم التجارة .

كما ان توافر الأخشاب بكميات هائلة شجع بناء السفن . وفي مساتشوستس كان البحر مصدر ثروة عظيمة ، وأصبح صيد سمك القد أساس الرخاء .

ولم يلبث أهالي نيوانجلند ان اختاروا حياة المدن ، واستقروا في المدن والقرى الواقعة حول المرافئ ، وسدت الغابات والأراضي الصالحة لرعي الغنم حاجة سكان المدن الذين اشتغل الكثيرون منهم بالزراعة واقتنوا مزارع صغيرة فضلاً عن اشتغالهم بالتجارة . وقد يسر تقارب السكان انشاء مدرسة القرية ، وكنيستها ، وندوتها الشعبية ، كما يسر حركة المواصلات المستمرة ، ونشأ عن ذلك ان اكتسب اهالي نيوانجلند من الصفات ـ كالاستقلال والاعتماد على النفس ـ ما جعلهم يتميزون عن غيرهم من أهالي الولايات الاخرى بعد الذي تجشموه من الصعاب بزرعهم مساحات من الأراضي الصخرية ذات الطبيعة الواحدة .

لهذه الصفات والمزايا في الواقع جذور متأصلة ترجع الى المائة والاثنين من الحجاج الضعفاء الذين اعياهم دوار البحر والذين حطت رحالهم اولاً في شبه جزيرة « كيب كود » ووجهتهم الاطلنطي ، من جنوب شرقي مساتشوستس . ولكن شاءت الاقدار حين جاؤا تحت اشراف الشركة اللندنية « فرجينيا » لاستيطان فرجينيا ، أن ترسو سفينتهم المشهورة « ماي فلاور » بعيداً الى الشمال . وبعد بضعة أسابيع أمضوها في الاستكشاف استقر رأيهم على ألاّ يواصلوا رحلتهم إلى فرجينيا وقرروا الإقامة حيث كانوا ، ووقع اختيارهم على مرفأ بليموث ليكون الموضع الذي يشيدون فيه مستعمرتهم . ورغم قسوة الشتاء الأول فقد قدر لهذه المستعمرة البقاء .

النظام الكنسي يحكم نيوانجلند

وبينما كانت بليموث تجاهد في سبيل البقاء ، تأسست مستعمرات أخرى قريبة منها . وقد قامت احدى هذه المستعمرات ، وهي التي شغلت منطقة خليج ماساتشوستس بعد سنة ١٦٣٠ ، بدور هام في تقدم نيوانجلند كلها . وقد أسسها خمسة وعشرون رجلاً حصلوا على مرسوم ملكي بذلك بتوجيه من الحاكم جون وينتروب . فجاءه بعض هؤلاء الرجال مع جماعة من المستوطنين الى امريكا ، حاملين ذلك المرسوم معهم ، عاقدين العزم على النجاح وعلى الاستمرار في العمل المضني طلباً للعيش .

وفي خلال السنين العشر الاولى وصل خمسة وستون من الوعاظ المتضلعين في اللاهوت ، فقامت في ماساتشوستس حكومة دينية كنتيجة منطقية لقوة ايمان زعمائها وتمسكهم بعقيدتهم . لقد كانت الكنيسة والدولة منفصلتين ، من الناحية النظرية ، ولكنهما كانتا في حقيقة الأمر شيئاً واحداً . فكانت جميع النظم خاضعة للدين وسرعان ما ظهر نظام حكومي تمتع فيه رجال الدين بالنفوذ والسلطان . وقد سنحت الفرصة في الندوات الشعبية لمناقشة المسائل العامة ، وحصل المستوطنون بذلك على بعض الخبرة في



المصدر : مكتبة الكونغرس ، وشنطن العاصمة

هذه الخريطة القديمة لـ « الدنيا الجديدة » ظهرت في سنة ١٧٢٩ ضمن أطلس من انتاج هرمان مول . وقد ظل هناك نزاع على الحدود بين « المستعمرات » حتى بعد الثورة الأمريكية واتحاد « الولايات » .

الحكم الذاتي . ومع ان المدن قد تدرجت في الأخذ بأهداب النظام الكنسي ، فقد ساهم الاهالي جميعاً في القيام بما يتطلبه الوطن من التزامات ، كما ساهموا في الاجتماعات الثورية ، متأثرين في ذلك بما كانت تتطلبه حياة الحدود من ضرورات . ومع هذا فقد ظل رجال الدين سنوات عديدة وهم يحاولون الاستمرار في السير حسب النظام الكنسي يساعدهم في ذلك المحافظون من الشعب . بيد انهم لم ينجحوا في تقييد عقل كل مواطن . ومن امثال هؤلاء رودجر وليامز وكان قسيساً تقياً ، ورجلاً فذاً متعمقاً في القانون ، شك في حق الاستيلاء على أراضي الهنود وفي حكمة الابقاء على وحدة الكنيسة والدولة . وقد حكمت عليه المحكمة العامة بالنفي لانه اذاع رأيه الجديد الخطير ضد سلطة الحكام . ولكنه وجد ملجأ له بين الهنود المسالمين في رودأيلند . ولم يلبث ان أسس هناك مستعمرة تقوم على حق الناس في الايمان بما يرضون لأنفسهم من دين ، وعلى انفصال الكنيسة والدولة الى الأبد .

ولكن غير المتدينين الذين راحوا يتلمسون حرية الفكر ، لم يكونوا وحدهم الذين تركوا ماساتشوستس ، بل ان البيوريتان المتمسكين بالدين قد رحلوا هم أيضاً عن هذه المستعمرة للبحث عن اراض وفرص أفضل ، وقد استرعت الانباء التي ذاعت عن خصب وادي نهركونيتكت مثلاً ، اهتمام الزراع الذين قاسوا الأهوال ابتغاء تحسين اراضيهم المجدبة ، وكانوا على استعداد لان يجازفوا بالتعرض لخطر الهنود مقابل الحصول على الأراضي المستوية والتربة الخصيبة القوية . ولما اقامت هذه الجماعات حكومتها عممت حق التصويت وألغت ضرورة الانتماء الى الكنيسة ، كمؤهل للتصويت . وقد تسلل في الوقت نفسه ، آخرون من مستوطني مساتشوستس الى المنطقة الواقعة شمالاً ، وسرعان ما استقر في نيوهامشير رجال ونساء كانوا ينشدون الأرض والحرية .

وبينما كانت مستعمرة خليج مساتشوستس تمد نفوذها بطريقة غير مباشرة إلى الخارج ، كانت المنطقة تنمو حثيثاً في الداخل وتتسع تجارتها التي أخذت في الازدهار منذ منتصف القرن وبعده ، وأصبحت بوسطن من أهم موانئ أمريكا . وجلبت من الغابات الشمالية الشرقية أشجار البلوط لصنع هياكل السفن ، وأشجار الصنوبر الطويلة لصنع ساريات السفن وأشرعتها ، والغار لطلاء الالواح وملء ما بينها . أما ربابنة السفن في خليج مساتشوستس الذين بنوا سفنهم بأنفسهم وأبحروا بها الى جميع موانئ العالم محملة بالبضائع ، فقد كانوا أساس حركة تجارية بحرية متزايدة الأهمية . ولما قارب عصر الاستعمار نهايته ، كان ثلث عدد السفن التي يرفرف عليها العلم البريطاني قد صنعت في أمريكا . وقد ساعد على زيادة الصادرات تصدير الفائض عن حاجة البلاد من المواد الغذائية والمؤن البحرية والمصنوعات الخشبية . وسرعان ما اكتشف تجار الشحن في نيوانجلند ان مشروب الروم والرقيق كانا من السلع التي تدر عليهم الربح الوفير .

أما القسم الثاني فهو المستعمرات الوسطى . وكان المجتمع في هذه المستعمرات أكثر اختلافاً وتنوعاً في سكانه ، وأكثر تسامحاً من مستعمرات نيوانجلند . أما بنسلفانيا

وديلاوير الملحقة بها ، فكانتا تدينان بما أحرزتاه من نجاح في أول الأمر . إلى «وليم بن» أحد أعضاء طائفة الكويكرز . وكان رجلاً عملياً اذ كان يهدف الى ان يجتذب الى الاقليم مستوطنين يدينون بمختلف العقائد وينتمون الى جنسيات عديدة . وقد عقد وليم بن العزم على ان تكون هذه المستعمرة قدوة في العدل والاستقامة في معاملة الهنود ، فأخذ يعقد معهم اتفاقات راعاها بدقة ، وبذلك حافظ على السلام في هذه الارض الموحشة . وقد سارت امور هذه المستعمرة في سهولة ونمت بسرعة . وبعد انقضاء سنة على وصول وليم بن ، وفد على بنسلفانيا ثلاثة آلاف من المواطنين الجدد . وكان قلب هذه المستعمرة مدينة فيلادلفيا ، التي سرعان ما اشتهرت بشوارعها المتسعة التي تظللها الأشجار ، وبيوتها المتينة المبنية بالآجر والحجارة ، وارصفتها البحرية نشيطة الحركة ، حتى اذا ما بلغ عهد الاستعمار نهايته ، كان يعيش هنالك ثلاثون الفاً من الناس يمثلون كثيراً من اللغات ، والعقائد ، والمهن . أما طائفة « الكويكرز » فقد جعلت هذه المدينة من المراكز المزدهرة في أمريكا وذلك بفضل مواهبهم التي كفلت لهم النجاح فيما أقدموا عليه من أعمال ومشروعات .

ومع ان الكويكرز كانوا أكثر سكان فيلادلفيا فقد كانت الطوائف الأخرى ممثلة خير تمثيل في جهات اخرى من بنسلفانيا ، فقد أصبح الالمان اكثر مزارعي الاقليم مهارة ، وكان من أهم العوامل التي ساعدت على تقدم هذه المستعمرات ، حذق الالمان للصناعات المنزلية ، كالنسيج ، وصنع الأحذية ، والأثاث وغير ذلك من الحرف والصناعات . وكانت بنسلفانيا كذلك المنفذ الرئيسي لهجرة عدد كبير من الاسكتلنديين والايرلنديين الى الدنيا الجديدة . وهؤلاء كانوا من رجال الحدود الأشداء ، ومن ثم استحوذوا على الأرض اينما ارادوا ودافعوا عن حقوقهم بالقوة . ولما كانوا يؤمنون بالحكم النيابي وبالدين ، وبالعلم . فقد أصبحوا طلائع المدنية حيثما توغلوا في تلك الفيافي والقفار .

وبقدر ما تميزت بنسلفانيا بتنوع الأجناس والشعوب ، كانت نيويورك مثالاً للصورة التي طبعت امريكا فيما بعد كأمة تضم اناساً ينطقون بلغات عديدة . ففي سنة ١٦٤٦ كان المرء يسمع اثنتي عشرة لغة يتكلم بها الناس على طول نهر هدسن حيث تألف السكان من هولنديين ، وفلمنك ، ووالونيين ، وفرنسيين ، ودانيمركيين ، ونرويجيين ، وسويديين ، وانجليز ، واسكتلنديين ، والمان ، وبولنديين ، وبوهيميين ، وبرتغاليين ، وايطاليين . وكان هؤلاء هم الرواد الذين سبقوا الملايين من مواطنيهم الذين نزحوا الى هذه البلاد في القرون التالية .

مخلفات النفوذ الهولندي

وقد امتلك الهولنديون مستعمرة نيونذرلاند ، التي اصبحت تعرف فيما بعد بنيويورك ، مدة أربعين عاماً ولكنهم لم يكونوا قوماً تعودوا الهجرة ، ولم يهيئ لهم

الاستعمار ميزات سياسية او دينية حرموا منها في هولندا . هذا فضلاً عن ان شركة الهند الغربية الهولندية التي أخذت على عاتقها تأسيس مستعمرة الدنيا الجديدة ، رأت من الصعب ان تجد الموظفين الأكفاء الصالحين لادارة هذه المستعمرة كما ينبغي . فلما تجدد اهتمام البريطانيين بالاستعمار ، انتزعوا المستعمرة الهولندية عن طريق الفتح في سنة ١٦٦٤ . غير ان الهولنديين ظلوا بعد ذلك بزمن طويل ينعمون بنفوذ اجتماعي واقتصادي عظيم ، وأصبحت سقوف بيوتهم المائلة المدرجة جزءاً ثابتاً من مناظر طبيعة هذه البلاد . وأفاض تجار المستعمرة على المدينة جواً تجارياً ممتازاً . وكذلك اوجد الهولنديون في نيويورك نمطاً حياتياً يختلف كثيراً عن نمط بوسطن القاسي الذي تتميز به حياة البيوريتان هناك . فقد تميزت العطلات في نيويورك باقامة الولائم وما تتضمنه من مرح وطرب وسرور . وانتشر في ارجاء البلاد كثير من العادات الهولندية ، كزيارة الجيران ومشاركتهم في تناول قدح من الشراب في عيد رأس السنة ، وزيارة القديس نيقولا في يوم عيد الميلاد .

وبعد ان خرجت هذه المستعمرة من نطاق النفوذ الهولندي ، عمل مديرها الانجليزي ، ريتشارد نيكولز ، على اعادة تنظيم اصول التشريع في نيويورك . وقد قام بعمله تدريجياً ، وفي حكمة ولباقة اكسبتاه صداقة الهولنديين والانجليز واحترامهم . ولقد اتصف نظام الحكم في المدن بمزايا الاستقلال الذاتي الذي تمتعت به مدن نيوانجلند . وما هي الا سنوات قليلة حتى تم اندماج ما تبقى من القانون والعادات الهولندية بالانظمة والأساليب الانجليزية .

وفي سنة ١٦٩٦ كان يعيش في مقاطعة نيويورك حوالي ثلاثين الف نسمة ، وازدهرت الضياع العظيمة في حوض نهري الهدسن والموهوك وغيرهما من أحواض الأنهار الغنية . وساعد مستأجرو الأراضي وصغار الملاك على تقدم الزراعة في هذا الاقليم . وفي معظم أيام السنة كانت المراعي والغابات تفي بحاجة الماشية ، والأغنام ، والخيل ، والخنازير من الغذاء ، ونما التبغ والكتان بسهولة ، وكثرت الفواكه ولا سيما التفاح . وبقدر تقدم المنتجات الزراعية ، ساعدت تجارة الفراء على نمو المستعمرة . ذلك لأن نهر هدسن الذي يتصل بألباني ـ على بعد ٢٣٢ كيلومتراً الى الشمال من نيويورك ـ كان طريقاً مائياً سهلاً لشحن الفراء وحاصلات الشمال الزراعية الى ميناء نيويورك .

الزراعة تسيطر على الجنوب

وتختلف فرجينيا ، وماريلاند ، وكارولينا الشمالية ، وكارولينا الجنوبية ، وجورجيا اختلافاً كبيراً عن نيوانجلند والمستعمرات الوسطى نظراً لطابعها الزراعي الذي تتميز به هذه المستعمرات . وكانت جيمس تاون في فرجينيا أولى المستعمرات التي قدر لها البقاء في الدنيا الجديدة . وفي أواخر ديسمبر سنة ١٦٠٦ رحلت جماعة تتألف من مائة رجل مختلفي المشارب والأمزجة ، بكفالة شركة استعمارية بلندن سعياً وراء المغامرات .

وكانت لهم أحلامهم في الاثراء السريع من الذهب ، ولم يكن هدفهم الاستقرار في هذه البراري ، وكان ابرز رجالاتهم جون سميث الذي استطاع بفضل قوة ارادته ــ رغم المشاحنات والمجاعة وتهديد الهنود الدائم ــ ان يحفظ لهذه المستعمرة الصغيرة تماسكها في السنوات الاولى من ادارته . وكانت الشركة في الأيام الاولى تتطلع الى الربح العاجل ، فطلبت من المستعمرين ان يركزوا جهودهم في انتاج الأخشاب وغيرها من المنتجات لبيعها في أسواق لندن ، وذلك بدل السماح لهم بزراعة الحاصلات الضرورية لحياتهم . ولكن بعد سنوات قليلة مليئة بالكوارث . خففت الشركة من مطالبها ، ووزعت الأرض على المستعمرين . ثم حدث في سنة ١٦١٢ انقلاب اقتصادي في فرجينيا ، ذلك هو اكتشاف طريقة لتحضير تبغ فرجينيا تجعله سائغاً لأذواق الأوروبيين . وقد وصلت الشحنة الأولى من ذلك التبغ الى لندن سنة ١٦١٤ ، وفي خلال عشر سنوات أصبح هذا النبات مصدر دخلها الرئيسي .

وأدت زراعة التبغ الى انهاك التربة بعد عدة مواسم . فاضطر الزراع الى الحصول على المزيد من الأرض ليضمنوا لأنفسهم مساحات إضافية جديدة يمكن زراعتها بالتبغ . ولما كانت الضرورة تقضي بأن تقوم المزارع بالقرب من مراكز المواصلات السهلة ، فقد انتشر الزراع بسرعة على طول الطرق المائية العديدة شمالاً وجنوباً . ولم تكن في هذا الاقليم مدن تذكر ، وحتى العاصمة جيمس تاون ، لم يكن فيها سوى عدد قليل من البيوت . ورغم ان معظم المهاجرين قد جاؤر الى فرجينيا لتحسين مركزهم الاقتصادي ، فقد أدت العوامل الدينية بالاضافة الى العوامل الاقتصادية ، الى نمو مستعمرة ماريلاند المجاورة . تلك التي حاولت اسرة كالفرت ان تجعل منها ملجأ للكاثوليك في الدنيا الجديدة . غير ان اسرة كالفرت اهتمت الى جانب غرضها هذا ، بتأسيس الضياع التي تدر عليها الربح . ولكي يحققوا هذه الغاية ، ويتجنبوا المتاعب التي قد تثيرها الحكومة البريطانية ، شجع آل كالفرت البروتستانت كما شجعوا الكاثوليك على الاستقرار بين ظهرانيهم .

أما فيما يتعلق بالنظام الاجتماعي والدولاب الحكومي . فقد حاول آل كالفرت أن يجعلوا من ماريلاند بلاداً ارستقراطية بالمعنى التقليدي . كما كانوا يحلمون بحكمها بكل ما يتمتع به الملوك من امتيازات وحقوق . غير ان روح الاستقلال كانت قوية في هذا المجتمع الحدودي . وعلى هذا لم يستطع المسؤولون في ماريلاند . كما في غيرها من المستعمرات ، أن يخادعوا المستوطنين الذين كانوا يتمسكون تمسكاً شديداً بالضمانات التي كفلها لهم القانون الانجليزي العام ليتمتعوا بحرياتهم الشخصية . وبحقوقهم الطبيعية كرعايا ، فيساهموا في الحكم عن طريق الجمعيات النيابية .

وقد أقامت ماريلاند اقتصاداً شبيهاً باقتصاد فرجينيا ، فانصرفت هاتان المستعمرتان الى الزراعة وسادت فيهما طبقة من كبار أصحاب الأراضي . وكان لكل من هاتين المستعمرتين قطر مجاور يتسرب اليه باستمرار صغار اصحاب الأراضي . كما عانت

كلتاهما متاعب بسبب النظام الزراعي القائم على الدورة الواحدة . وقبيل منتصف القرن الثامن عشر اثرت تجارة الرقيق في ثقافة هاتين المستعمرتين حين اضطلع اغنياء المزارعين بمسؤولياتهم الاجتماعية بطريقة حديثة ، فمن أعمال القضاء ، الى قيادة قوات المليشيا ، والاشتراك في الجمعيات التشريعية . ولكن صغار المزارعين اشتركوا أيضاً في الجمعيات الشعبية ، وشقوا طريقهم إلى المناصب السياسية ، وكان ما يتصفون به من روح الاستقلال نذيراً لأصحاب السلطان من المزارعين ألا يفتأتوا على حقوق الأحرار .

وفي أواخر القرن السابع عشر ومستهل القرن الثامن عشر امتاز النظام الاجتماعي في ماريلاند وفرجينيا بصفات وخصائص احتفظ بها حتى قيام الحرب الأهلية . وقد استأثر الذين استعانوا بالارقاء في الزراعة ، بمعظم النفوذ السياسي ، كما استأثروا بأجود الأراضي فشيدوا البيوت الضخمة ، واتخذوا مظاهر الحياة الارستقراطية وحافظوا على اتصالهم بمعالم الثقافة فيما وراء البحار . وجاء بعد هؤلاء في المستوى الاقتصادي والاجتماعي المزارعون الذين تحققت آمالهم في الثروة في الارض الخصبة بالبلاد الداخلية . وكان صغار المزارعين أقل ثراء من الآخرين ، وقد جاهدوا في سبيل البقاء في وجه منافسة المزارعين الذين يستخدمون الرقيق ولم تقم في فرجينيا او في ماريلاند طبقة من التجار ، ذلك لأن المزارعين انفسهم كانوا يتاجرون مع لندن مباشرة .

وقد أصبحت كارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية بمينائها الرئيسي (تشارلستون) المركز التجاري للجنوب . ولم يلبث المهاجرون هنا ان جمعوا بين الزراعة والتجارة ، واصبحت التجارة مصدراً رئيسياً للازدهار . كذلك كانت الغابات مصدراً للرزق ، فالغاز والراتنج المستخرج من أشجار الصنوبر ، كانا من أحسن السلع العالمية التي كانت السفن تشحنها . ولم تقتصر كارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية على غلة واحدة كما كانت الحال في فرجينيا بل انهما انتجتا الأرز والنيلة ومستلزمات الملاحة . وما ان حلت سنة ١٧٥٠ حتى اصبحت المستعمرتان تضمان نيفاً ومئة الف نسمة .

أما في الجنوب فقد اصبح نمو الاقاليم الداخلية نمواً ملحوظاً له اهميته وشأنه في جميع المستعمرات . وهرع الى هذا الاقليم كل من كان يسعى لنيل قسط من الحرية اوفر مما كان يتمتع به في المستعمرات الساحلية الأصلية ، كما ان الذين اخفقوا في امتلاك الأراضي الخصبة على الساحل ، واولئك الذين استنفدوا خصوبة ما استولوا عليه من أراض ، قد وجدوا في تلال الغرب ملجأ مثمراً . وسرعان ما ظهرت في داخل البلاد ضياع مزدهرة . ولم يكن فقراء المزارعين هم الذين اجتذبتهم هذه الأراضي ، اذ استقر في البلاد الجبلية بيتر جيفرسون ــ والد توماس جيفرسون رئيس الولايات المتحدة الثالث ــ واشترى اربعمائة فدان من الأرض لقاء قدح من مشروب البنش .

وعلى الرغم من أن عدداً من كبار أصحاب الأراضي قد انتشروا بين هؤلاء الذين شقوا طريقهم في سفوح التلال ، فان معظم أولئك الذين هجروا المستعمرات الشرقية الأصلية كانوا رواداً بسطاء مشبعين بروح الاستقلال . ولما كانوا يعيشون على حدود مناطق الهنود ،

كانت اكواخهم هي حصونهم ، واعتمدوا في حماية انفسهم على ابصارهم الحادة وبنادقهم الجيدة الصنع . فأصبحوا بالضرورة قوماً شديدي البأس يعتمدون على انفسهم . وقد طهروا أجزاء من البراري واحرقوا الشجيرات البرية ، وزرعوا الذرة والقمح بين الجذوع ، وارتدى الرجال قمصان الصيد والاطماق المصنوعة من جلد الغزال ، ولبست النساء مناطق بسيطة من صنع ايديهن . وكان غذاؤهم يتكون من لحم الغزال ولحم الديكة الرومية البرية والسمك . وكانت وسائل التسلية لديهم مرحة عاصفة . فمن حفلات شواء إلى حفلات للسمر بمناسبة الزواج . والرقص . والشراب ، ومباريات الصيد والرماية .

بداية النشاط المدرسي والثقافي

لقد كان الفرق واضحاً بين أقاليم ساحل المحيط الاطلنطي الآهلة بالسكان والمناطق الداخلية . ولقد جعل الذين جاؤا من الجهات الغربية اصواتهم مسموعة في المناقشات السياسية ، معارضين قصور العادات والتقاليد . واهم من ذلك كله ، عامل فعَّال حال دون نجاح السلطات في الجماعات القديمة في عرقلة التغيير والتقدم ، ذلك هو سهولة حصول المستوطنين من سكان المستعمرات القديمة على مواطن جديدة على الحدود . وهكذا ارغمت الشخصيات الكبيرة في المستعمرات الأصلية المرة بعد المرة ، على انتهاج خطط سياسية حرة ، وعلى التساهل في الطلبات الخاصة بمنح الأراضي ، وفي الشؤون الدينية . فلم يكن ثمة مجال للتراخي في مجتمع قوي نتج عن بلاد آخذة في الاتساع ، وكان الانتقال الى سفوح الجبال عظيم الأهمية لمستقبل أمريكا .

ولم تكن المؤسسات التربوية والثقافية الأمريكية التي قامت في عصر الاستعمار، أقل اهمية في مستقبل البلاد ــ فقد تأسست كلية هارفارد في مساتشوستس عام ١٦٣٦ . وحوالي نهاية هذا القرن أسست كلية وليام وماري في فرجينيا ، وبعد سنوات قليلة نص قانون كونيتكت على تأسيس الكلية التي أصبحت فيما بعد جامعة ييل . غيرأن قيام نظام المدارس العامة كان من أبرز مظاهر تاريخ التعليم في أمريكا . وفي سنة ١٦٤٧ نص القانون في مستعمرة خليج مساتشوستس على ادخال نظام التعليم الابتدائي الاجباري . وهذا القانون نفسه سرعان ما اتبعته مستعمرات نيوانجلند ، عدا مستعمرة رود ايلاند .

أما في الجنوب فقد بلغ من اتساع الضياع والمستعمرات الزراعية وتفرقها وعزلتها ان أصبح من المستحيل تأسيس مدارس يلتحق بها أبناء الطوائف المختلفة ، شبيهة بالمدارس التي تأسست في غيرها من المستعمرات المتقاربة ، والتي تتصل بعضها ببعض اتصالاً وثيقاً . وكان المزارعون يتصلون احياناً بجيرانهم الاقربين ويستخدمون المعلمين الخصوصيين لتعليم اولادهم ، وارسل بعض الاولاد الى انجلترا لتلقي العلم في مدارسها .

أما في المستعمرات الوسطى ، فكانت الحال مختلفة . فقد أدى انشغال نيويورك

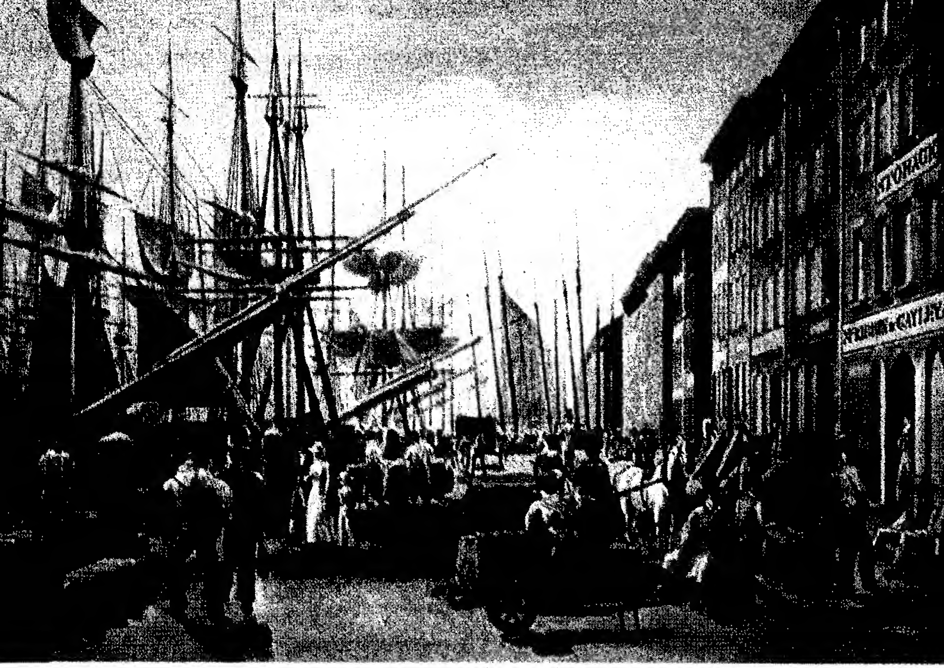


بلايموث في ١٦٢١ : الهنود الحمر يشاركون المستوطنين احتفالهم ثلاثة أيام للشكر على أول حصاد .

كانت متطلبات الحياة في الدنيا الجديدة لا تدع للناس غير وقت قليل للاحتفالات غير أن فناني السنوات الأولى ـ وسنوات كثيرة بعدها ـ قد أبدعوا تاريخاً من الانطباعات لمشاهد البهجة . والكد . والتصميم على توطيد أركان الدولة الفتية .



شغّلت بلاكستون ، في رود آيلاند ، أول مكنات عرفتها الولايات المتحدة لتمشيط القطن وغزله



انتهت الثورة وغدت نيويورك بسرعة مركزاً تجارياً ، يزخر نهرها الشرقي بالسفن التي تقصد الموانى الأجنبية . تحت : مدينة فيلادلفيا المزدهرة التي كانت مقرا لـكونجرس المستعمرات ، ظلت طوال عشر سنوات عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية وقد أنشأت أول مدرسة للطب وأول صحيفة يومية عرفتها البلاد .





الفنان بول ريفير يخلد الشرارة الأولى للانتفاضة التي شهدتها نيوانجلند ــ في بوسطن والتوتر على أشده ، رد البريطانيون على كرات الثلج بنيران البنادق . . تلك كانت مذبحة بوسطن الشهيرة . أما رسم جون ترمبول لـ كورنواليس (في الصورة تحت) فيعكس عجرفة القائد ومذلته عند الاستسلام .





«أرواحنـا ، وأقدارنـا ، وشرفنا المقـدس... » . هكـذا رسم الفنان جون ترمبول حفلـة توقيـع إعـلان الاستقلال التـاريخيـة . ويـرى في الصورة (تحت) : النيويوركيون . وقـد قرروا القيـام بـالثورة ، ينزلون تمثال الملك جورج من عـلى قـاعدتـه لصهـره وصنعـه رصـاصـاً للبنـادق ، وذلـك احتفالاً منهـم بالحرية المقبلـة .





رسم بريشة الفنان ويست لـ بنجامين فرانكلين تمثلـه وهو يجري تجاربـه الكهربـائية ، وتتجـلى فيه مسحة سحريـة .



كان البيوريتانيون يهتمون اهتماماً حيوياً بالتعليم ، وقد انتظروا فقط ١٦ عاماً قبل انشاء كلية هارفارد ، التي تراها تحت كما كانت في سنة ١٧٢٦ . وفوق ، لوحة بنجامين ويست التي تصور وليام بين وهويطوي معاهدة ١٦٨٣ . ووفقاً لبنود هذه المعاهدة ازدهر الهنود والمستوطنون في ظل السلام والاحترام المتبادل .





في مواسم الحصاد يتعاون الجيران معاً . وأحياناً يسرعون في العمل لئلا يباغتهم الصقيع . وكان من وسائل التسلية القليلة التي عرفتها أمريكا في أيامها الأولى ، الرقص الذي يتراوح بين الرقص التقليدي الأوربي والرقصات الرباعية الجماعية الحية تقام على أرض الحظائر ومخازن الحبوب وكانت تعقب عادة مشاق الحصاد .



المفرط بالتقدم المادي ، إلى حد انصرفت معه عن الاهتمام بالشؤون الثقافية ، إلى تخلف ملحوظ من ناحية التعليم. وكانت المدارس فقيرة ، ولم تبذل الحكومة سوى جهود متقطعة لتوفر للمنطقة ما كانت تحتاج اليه من تسهيلات عامة . ولم يتم تأسيس كلية نيوجرسي في برنستون . وكلية الملك (جامعة كولومبيا الآن) في مدينة نيويورك . وكلية الملكة (راتجرز الان) في نيوبرونسويك . نيوجرسي . الاّ في منتصف القرن الثامن عشر .

وكانت بنسلفانيا من أكثر المستعمرات إقداماً في مجال التعليم . فقد قامت المدرسة الأولى التي بدأت في سنة ١٦٨٣ بتعليم القراءة والكتابة ومسك الدفاتر ، وبعد ذلك أعدت كل جماعة من جماعات الكويكرز عدتها لتزويد أطفالها بمرحلة التعليم الأولى ، وقامت مدرسة الأصدقاء العامة ــ التي لا تزال في فيلادلفيا حتى الآن وتعرف باسم معهد وليم بن ــ بتنظيم الدراسات العليا في اللغات الأوروبية القديمة والتاريخ والأدب . وكان التعليم في هذه المدرسة مجاناً للفقراء ولكن كان يتحتم على الآباء من أهل اليسار أن يدفعوا الرسوم نظير تعليم أبنائهم .

وفي فيلادلفيا قامت مدارس خاصة كثيرة لا صلة لها بالمؤسسات الدينية ، بتعليم اللغات والرياضيات والعلوم الطبيعية ، كما كانت هنالك مدارس ليلية للراشدين . ولم يتجاهل أهالي هذه المستعمرات تعليم البنت . إذ قام المعلمون الخصوصيون بتعليم بنات ذوي اليسار من أهالي فيلادلفيا اللغة الفرنسية والموسيقى . والرقص . والتصوير ، والغناء ، وقواعد اللغة . وأحياناً مسك الدفاتر أيضاً .

وقد ظهر أثر تقدم بنسلفانيا الفكري والثقافي ، الى حد كبير ، في الشخصية القوية التي امتاز بها إثنان من رجالات ذلك العصر ، وهما جيمس لوجان وبنيامين فرانكلين . وكان لوجان سكرتير هذه المستعمرة ، وكان الشاب بنيامين فرانكلين يجد في مكتبته البديعة أحدث المؤلفات العلمية . وفي سنة ١٧٤٥ ، شيَّد لوجان مبنى لمجموعته وقفه مع كتبه على المدينة . على ان فرانكلين نفسه قد ساعد كثيراً على اثارة النشاط الفكري في فيلادلفيا ، فقد انشأ نادياً عرف باسم « جونتو » . كان النواة لجمعية فيلادلفيا الفلسفية . وكان من أثر جهوده في خدمة العلم انشاء اكاديمية عامة تحولت فيما بعد الى ما يُعرف بجامعة بنسلفانيا . وكان كذلك الدافع الرئيسي لتأسيس « مكتبة المساهمة » التي سمَّاها « ام جميع مكتبات المساهمة في أمريكا الشمالية » .

وفي الجنوب كانت كتب التاريخ وآداب اللغتين اليونانية واللاتينية ، والعلوم ، والقانون تتداول بشكل واسع بين مزرعة واخرى . وتأسست في مدينة تشارلستون (في كارولينا الشمالية) التي كانت قد اصبحت مركزاً للموسيقى والتصوير والمسرح ، مكتبة اقليمية قبل عام ١٧٠٠ .

وفي نيوانجلند جاء المهاجرون الاولون بمكتباتهم الصغيرة ، ولم ينقطعوا عن استيراد الكتب من لندن . وفي مستهل العقد التاسع من القرن السابع عشر . راجت تجارة بائعي

الكتب في بوسطن ، من بيع كتب آداب اللغات القديمة والتاريخ ، والشؤون السياسية ، والفلسفة ، والوعظ ، واللاهوت ، والأدب . والرغبة في ارتشاف العلم لم تقف عند حدود الجماعات المستقرة وحدها ، فقد حرص الاسكتلنديون والايرلنديون الأشداء الذين كانوا يعيشون في أكواخ بسيطة على الحدود ، على طلب العلم . وبذلوا جهوداً كبيرة لاجتذاب العلماء من القسس الى مستعمراتهم .

وقد اقتصر الإنتاج الأدبي في المستعمرات إلى حد كبير على نيوانجلند . ويلاحظ هنا أن الاهتمام قد وجه بصفة خاصة إلى الموضوعات الدينية . وكانت المواعظ هي المادة الرائجة فيما تصدره المطابع . وقد ألف القس (كوتن ماذر) بمفرده نحو أربعمائة كتاب ، وكان أحسن مؤلفاته كتاب « انتصار المسيح في أمريكا » الذي لم يكن بد من طبعه في لندن بسبب ضخامته . ويستعرض هذا الكتاب تاريخ نيوانجلند كما رآه ذلك المؤلف المتحيز المتحذلق . وكان أكثر المؤلفات شهرة واستحساناً لدى الجمهور القصيدة الطويلة التي نظمها الاب (مايكل ويجلزورث) بعنوان « يوم القيامة » والتي ختمها بوصف يوم الحساب في عبارة نارية تثير الفزع في النفوس .

الصحافة تؤكد على حرياتها

وقد أسست كمبردج (بماساتشوستس) داراً للطباعة في وقت مبكر . وفي سنة ١٧٠٤ صدرت أولى صحف بوسطن الناجحة ، ولم يلبث أن دخلت الميدان صحف كثيرة لا في نيوإنجلند وحدها بل في المناطق الأخرى كذلك . ففي نيويورك مثلاً وقع حدث من أهم الأحداث في تطور الصحافة الأمريكية ، وكان ذلك في قضية بيترزينجر ، الذي أصدر صحيفة « نيويورك ويكلي جورنال » سنة ١٧٧٣ ، وجعلها لسان حال المعارضة . فقد حدث بعد سنتين من إصدار هذه الجريدة أن ضاق حاكم المستعمرة ذرعاً بتهكم زينجر اللاذع فألقى به في غياهب السجن بتهمة القذف . واستمر زينجر يحرر صحيفته وهو في السجن إبان محاكمته التي استغرقت تسعة أشهر والتي أثارت اهتماماً بالغاً في أرجاء المستعمرات كلها . وقد تولى الدفاع عنه أندرو هملتون المحامي الشهير . وكانت حجته أن الحملات التي شنها موكله في صحيفته كلها حقائق ومن ثم لا تدخل في نطاق جرائم القذف . وقد حكمت المحكمة ببراءة زينجر وأطلقت سراحه . وكان هذا الحكم أساساً من أسس تقرير مبدأ حرية الصحافة .

ولقد كان نقص الإشراف من جانب الحكومة الإنجليزية أكبر الظواهر البارزة في جميع أطوار التقدم الاستعماري . وكانت المستعمرات في مبدأ تكوينها تتمتع بحرية واسعة في انتهاج الطريق الذي توجيه إليها ميولها أو مقتضيات ظروفها. كذلك لم تشترك الحكومة الإنجليزية اشتراكاً مباشراً في تأسيس مستعمرة من المستعمرات العديدة باستثناء مستعمرة جورجيا ، ولكنها أخذت تشترك تدريجياً في توجيه هذه المستعمرات من الناحية

السياسية . ومهما يكن من أمر ، فإن تخلي الملك عن سلطانه المباشر على مستعمرات الدنيا الجديدة إلى الملاك والشركات المساهمة لم يعن أن المستعمرين في أمريكا قد تحرروا كلياً أو جزئياً من الإشراف الخارجي . فقد نص ترخيص مستعمرتي فرجينيا وخليج ماساتشوستس مثلاً ، على منح الشركات صاحبة الشأن السلطة التامة للحكم ، وعلى أن تتخذ هذه الشركات انجلترا مقراً لها . وبذلك لا يكون لأهالي أمريكا صوت في حكومتهم ، فكأنما احتفظ الملك لنفسه بالحكم المطلق .

تحطيم الحكم الخارجي

على أن الحكم الخارجي المطلق قد تحطم بطريقة ما . وكانت الخطوة الأولى في هذا السبيل ذلك القرار الذي اتخذته شركة لندن (فرجينيا) بالسماح لمستعمري فرجينيا بأن يكون لهم حق التمثيل في الحكومة . وقد نصت التعليمات التي وجهتها الشركة في سنة ١٦١٨ الى الحاكم المعين بأن ينتخب الأحرار من أهالي المزارع ممثلين عنهم يشتركون مع الحاكم والمجلس المعين في سن القوانين لصالح المستعمرة .

وكان لهذا الحدث أثر أبعد مدى من أي حدث وقع في عهد الاستعمار ، إذ أصبح من المسلم به عموماً منذ ذلك الوقت أن للمستعمرين الحق في الاشتراك في إدارة حكومتهم . وكان الملك إذا منح ترخيصاً لامتلاك الأراضي بعد ذلك يشترط أن يكون للأحرار في المستعمرة صوت في التشريعات الخاصة بهم . وعلى ذلك فإن العهود والتراخيص التي منحت الى سيسيل كالفرت في ماريلاند ووليم بن في بنسلفانيا ، وملاك الأراضي في كارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية ، وفي نيوجرسي ، قد نصت بصراحة على أن يكون التشريع بموافقة الرجال الأحرار. ولم يغفل شرط الحكم الذاتي الاّ في حالة مستعمرتين اثنتين ، وهما نيويورك التي منحت إلى دوق يورك الذي صارفيما بعد جيمس الثاني ، وجورجيا التي منحت إلى جماعة من الأمناء . على أن هذين الاستثناءين لم يقدر لهما البقاء ، لأن المستعمرين لم يكفوا عن المطالبة بالتمثيل في المجلس التشريعي ، فلم تلبث السلطات أن وجدت أن من الخير لها أن تذعن لهذه المطالب .

ولقد كان حق المستعمرين في هذه الهيئة التشريعية الحكومية محدود الأهمية في بادئ الأمر ، ولكنه أصبح في النهاية وسيلة يمتلكون بها ناصية السلطة كلها وقد وصلوا إلى هذا الهدف عن طريق الجمعيات الانتخابية التي قبضت على زمام الشؤون المالية في البداية ، ثم استغلت هذه السلطة الى أقصى حد مستطاع . وأصبح من المبادئ المقررة في المستعمرات ، واحدة إثر الأخرى ، أنه لا يمكن فرض ضرائب أو إنفاق حصيلتها ـ حتى ولو كان ذلك لدفع مرتبات الحاكم أو غيره من الموظفين المعينين ـ إلا إذا وافق على ذلك الممثلون المنتخبون . فإن رفض الحاكم أو غيره من موظفي المستعمرة أن يسايروا رغبات هذه الجمعية الشعبية ، رفضت الجمعية اعتماد الأموال اللازمة لهذه الوظيفة أو تلك .

وهناك أمثلة على أن بعض الحكام المستبدين برأيهم لم تخصص لهم مرتبات . أو تقرر منحهم مرتباً قدره بنس واحد . وإزاء هذا التهديد لم يلبث الحكام والموظفون أن رضخوا للمستعمرين .

العناد البريطاني يذعن

وقد تمتعت نيوإنجلند مدة سنوات عديدة بحكومة ذات استقلال ذاتي فاق في كماله أي استقلال تمتعت به أية حكومة من حكومات المستعمرات الأخرى . ولو أن الحجاج قد استقروا في فرجينيا لأصبحوا تحت سلطة شركة لندن (فرجينيا) غير أنهم كانوا في مستعمرتهم نيوبليموث . بعيدين عن أي سلطان حكومي ومن ثم قرروا أن يضعوا لأنفسهم نظاماً سياسياً . وعلى ظهر السفينة « ميفلاور » ارتضوا لأنفسهم نظاماً سياسياً وأسلوباً للحكم أطلقوا عليه ميثاق « مفلاور » تعهدوا فيه على أن « نتحد جميعاً فنصبح جماعة مدنية ذات كيان سياسي ، ابتغاء تحسين أحوالنا وصيانة أنفسنا ... وبمقتضى ذلك نصوغ القوانين التي تضمن العدالة والمساواة . ونضع التشريعات والقرارات والدساتير التي نعتقد بصلاحيتها وملاءمتها لمصلحة المستعمرة . . . » . ومع أنه لم يكن ثمة أساس شرعي يستند إليه الحجاج في إقامة حكومة ذاتية . فإن هذا العمل لم يثر أي جدل أو خلاف . واستطاع مستعمرو بليموث في ظل هذا الميثاق . أن يتولوا شؤونهم سنوات عديدة دون أي تدخل خارجي .

وقد نشأت حالة مماثلة في مساتشوستس حين انتقلت الى أمريكا شركة خليج مساتشوستس ـ بعد أن منحت الحق في حكم هذه المستعمرة ـ وهي تحمل معها الترخيص الذي منح لها . وبذلك ظلت السلطة المطلقة في أيدي أشخاص يقيمون في نفس المستعمرة . وقد حاول أعضاء الشركة الأصليون وهم عدد قليل من الرجال أن يحكموا المستعمرة حكماً استبدادياً في بادئ الأمر . بيد ان غيرهم من المستعمرين لم يلبثوا أن طالبوا بأن يكون لهم صوت في الشؤون العامة . وهددوا بأن رفض ما يطلبون قد يؤدي إلى أن يهاجروا جميعاً الى منطقة أخرى .

وقد أذعن أعضاء الشركة لهذا التهديد وتحول الإشراف على الحكومة الى النواب المنتخبين . كذلك وفقت ولايات نيوإنجلند ـ وهي نيوهافن وردو أيلاند وكونيتكت ـ إلى التمتع بالحكم الذاتي . وقد وفقت الى ذلك لأنها كانت بعيدة عن أي سلطة حكومية . فأقامت نظمها السياسية مترسمة في ذلك الخطوات التي اتبعها الحجاج في مستعمرات بليموث . على أن السلطات البريطانية لم تقف مكتوفة الأيدي إزاء ما تمتعت به المستعمرات من نصيب وافر من الحكم الذاتي . فأقامت دعوى ضد الشركة التي تحمل ترخيص مساتشوستس فألغى هذا الترخيص في سنة ١٦٨٤ . وبذلك أصبحت جميع مستعمرات نيوإنجلند تحت إشراف الملك ووضعت السلطة التامة في يد حاكم معين من قبله . وقد اعترض

المستعمرون بشدة على هذا التطور الأخير ، فطردوا الحاكم الذي عينه الملك وذلك عقب الثورة التي قامت في انجلترا سنة ١٦٨٨ والتي انتهت بعزل جيمس الثاني .

وكذلك استطاعت مستعمرتا رود أيلاند وكونيتكت اللتان كانتا في ذلك الوقت تضمان مستعمرة نيوهافن ، إعادة توطيد مركزهما المستقل على أساس ثابت الدعائم ، غير أن مساتشوستس ما لبثت أن خضعت من جديد لسلطة الملك وإن كان أهلها قد منحوا في هذه المرة نصيباً في إدارة حكومتهم . وقد أخذ هذا النصيب يتزايد يوماً بعد يوم أسوة بالنظام الذي سارت عليه المستعمرات الأخرى حتى صار سيادة فعلية بعد أن كان مقتصراً في بادئ الأمر على الشؤون المالية وحدها . وكانت التعليمات لا تزال تصدر باستمرار إلى الحكام لإكراه الناس على أن يسيروا وفق السياسة التي تعمل على إقرار المصالح الإنجليزية . وكان مجلس الملك الخاص في الوقت نفسه يمارس حق إعادة النظر في التشريع الاستعماري . على أن المستعمرين قد برعوا في التحايل على هذه العراقيل كلما وجدوا فيها مساساً بمصالحهم الأساسية .

ومنذ سنة ١٦٥١ أخذت الحكومة الإنجليزية تسن من حين إلى حين قوانين تنظم بعض مظاهر الحياة التجارية والاقتصادية العامة في المستعمرات . وقد عاد بعض هذه القوانين بالنفع على أمريكا وإن كان أغلبها وضع لمصلحة إنجلترا على حساب أمريكا . ولكن المستعمرين كانوا عموماً يتجاهلون القوانين التي كانت تضر كثيراً بمصالحهم . فكان الانجليز يحاولون بعض الأحيان أن ينفذوا تلك القوانين بطريقة أنسب ، ولكن تلك المحاولات كانت غالباً قصيرة الأمد ، وسرعان ما كانت السلطات تعود الى انتهاج سياسة « التغافل وعدم المبالاة » .

ولقد أدى ذلك القسط الكبير من الاستقلال السياسي الذي تمتعت به المستعمرات إلى إضعاف الصلة بينها وبين بريطانيا ، وأصبحت تتميز تدريجياً بطابع أمريكي يفوق صبغتها الانجليزية ، وقد ازدادت هذه النزعة قوة بامتزاج الجماعات الوطنية والثقافات المختلفة . وفي عام ١٧٨٢ وصف المزارع الفرنسي القدير « ج . هكتور سانت جون جريفيكور » كيف حدث هذا الامتزاج ، والأسلوب الذي انتهجه في وضع أركان الامة الجديدة ، حين تساءل في كتابه « رسائل من مزارع أمريكي » قائلاً : « من هو الأمريكي إذن ، هذا الرجل الجديد ؟ هو إما أوروبي وإما من سلالة أوروبية . ومن هنا جاء هذا المزيج العجيب الذي لا تجده في بلد آخر ... إذ يمكنني أن أسمي أسرة كان الجد فيها إنجليزياً وزوجته هولندية وتزوج ابنه من فرنسية ، ولأبنائه الأربعة الآن أربع زوجات ينتمين إلى أربع أمم مختلفة . إنه أمريكي طرح عصبيته وعاداته القديمة ، وهو يتلقن الآن عادات جديدة من أسلوب الحياة الجديدة التي يحياها ، ومن الحكومة التي يطيعها ، ومن المكانة الجديدة التي يتبوأها ... » .

حرب الاستقلال

« اننا لنؤمن بالحقائق البديهية التي تقرر
ان الناس جميعاً خلقوا سواسية وان
الله وهبهم حقوقاً معينة ثابتة منها حق
الحياة والحرية والسعي لتحقيق
السعادة ... » .

اعلان الاستقلال ، ٤ يوليو ، ١٧٧٦

لقد اعلن جون آدمز ، الرئيس الثاني للولايات المتحدة ، أن تاريخ الثورة الأمريكية يرجع الى سنة ١٦٢٠ . وقال : أن « الثورة قد اختمرت قبل بداية الحرب ، إذ كانت في عقول الناس وفي قلوبهم . » ثم أضاف الى ذلك أنه ينبغي « أن نرجع مائتي سنة الى الوراء في تاريخ أمريكا لندرك المبادئ والإحساسات التي دفعت الأمريكيين الى الثورة منذ أنشئت المزرعة الأولى » .

ولقد بدأ الخلاف الصريح بين إنجلترا وأمريكا من الناحية العملية في سنة ١٧٦٣ . ففي ذلك الوقت كان قد انقضى أكثر من قرن ونصف قرن على تأسيس المستعمرة الأولى في جيمس تاون بفرجينيا . وقد نمت المستعمرات نمواً محسوساً من الناحيتين الاقتصادية والثقافية ، كما تمتعت جميعاً بسنوات طويلة من الحكم الذاتي ، وزاد مجموع عدد سكانها عن ١,٥٠٠,٠٠٠ نسمة ـ أي ستة أضعاف ما كان عليه في سنة ١٧٠٠ .

على أن نمو المستعمرات واتساع رقعتها كان أعمق أثراً مما تدل عليه الزيادة في تعداد السكان . فقد شاهد القرن الثامن عشر دوافع جديدة للتوسع الاستعماري نتيجة تدفق المهاجرين الأوروبيين . ولما كانت أجود الأراضي الساحلية قد استعمرت من قبل ، فقد كان على الوافدين الجدد أن يندفعوا الى ما وراء دلتا الأنهار . وقد اكتشف التجار المنطقة الخلفية ، ثم أخذوا بعد عودتهم يروون القصص عن الأودية الغنية ، وشجعوا المزارعين على الرحيل الى البراري مع أسرهم سعياً للحصول على أراض أجود وأرخص . وبالرغم من انه كانت متاعبهم كثيرة ، فقد استمر المستعمرون يفدون الى تلك البقاع

حتى امتلأت الأدوية الداخلية بطلائع من العصاميين . وفي العقد الثالث من القرن الثامن عشر بدأ سكان الحدود وأسرهم يفدون على وادي شناندوه .

ولم تكن بريطانيا العظمى حتى سنة ١٧٦٣ قد وضعت سياسة امبراطورية ثابتة لمستعمراتها . وكان المبدأ السائد هو وجهة النظر التجارية التي تحتم على المستعمرات إمداد البلد الأم بالمواد الخام وأن لا تنافسها في الصناعة . غير أن هذا المبدأ كان يفتقر إلى قوة التنفيذ ، ذلك لأن المستعمرات لم تفكر أبداً في أنها أجزاء من هيئة متحدة يتمم بعضها بعضاً ، بل اعتبرت أنفسها ـ شبيهة في ذلك بإنجلترا نفسها ـ جمهوريات أو دويلات ليس بينها وبين السلطات في لندن سوى رابطة مفككة . ومهما يكن من أمر ، فإن المشاعر قد أثيرت في انجلترا بين حين وحين نتيجة لهذا الاتجاه من جانب المستعمرات . وحاول البرلمان ، كما حاول الملك أن يخضع النشاط الاقتصادي في المستعمرات لادارة إنجلترا ويجعله وفق مصلحتها . بيد أن أكثرية سكان المستعمرات عارضوا هذه التبعية . وكان التفكير في المسافة المائية الهائلة بين الدنيا الجديدة وإنجلترا . عاملاً مهدئاً لمخاوف المستعمرات إذا ما حاولت إنجلترا الانتقام منها نتيجة لعصيانها .

ويضاف إلى هذا البعد أحوال الحياة في البراري الأمريكية ، فقد جاء المستعمرون من بلاد محدودة المساحة ، ومن مدن عامرة وحقول منبسطة مستوية ، إلى قارة لا نهاية لاتساعها ، فقدر عليهم ـ تحت تأثير الظروف الطبيعية ـ أن يتحولوا من أسلوب يؤكد أهمية الجماعة الى نظام يؤكد أهمية الفرد .

الاعتماد على النفس في منطقة الحدود

وباعتبارهم ورثة تقاليد الجهاد الطويل الذي بذله المواطن الانجليزي من أجل الحرية السياسية ، فقد بادر المستعمرون الى تدوين مبادئ الحرية في ميثاق فرجينيا الأول الذي خول المستعمرين الإنجليز حق ممارسة الحريات جميعها ، وحق التصويت والإعفاء من أداء الواجبات « كما لوكانوا قد ولدوا وأقاموا في انجلترا » . وكان معنى هذا أنهم تمتعوا بمزايا البراءة العظمى (الماجناكارتا) والقانون العام .

وقد استطاع أهل المستعمرات في الأيام الأولى أن يتمسكوا بما ورثوه من حقوق تمسكاً شديداً ، ذلك لأن الملك قد افترض أن أهل المستعمرات لا يخضعون للرقابة البرلمانية . وكان ملوك إنجلترا طوال الأعوام التالية في شغل عن فرض إرادتهم بسبب النضال الذي نشب في إنجلترا ذاتها ، ذلك النضال الذي بلغ ذروته في ثورة البيوريتان . وقبل أن يوجه البرلمان انتباهه الى إدماج المستعمرات في إطار سياسة إمبراطورية ، كانت هذه المستعمرات قد استقام عودها واشتد أزرها وازدهرت بطرقها الخاصة .

ومنذ السنة الأولى ، أدار المستعمرون شؤونهم ـ بمجرد أن وطئت أقدامهم أرض الدنيا الجديدة ـ وفق القانون والدستور الإنجليزيين . فأسسوا الجمعيات التشريعية ،

وأقروا نظام الحكومة النيابية ، واعترفوا بما جاء في القانون العام من ضمانات الحرية الفردية . على أن التشريع وسن القوانين أخذ يصطبغ تدريجياً بالصبغة الأمريكية ، ولم يعد القوم يعيرون السوابق والنظم الانجليزية إلا شيئاً يسيراً من اهتمامهم . بيد انه لم يتم تحرير أهل المستعمرات من الإشراف البريطاني دون صراع أو عناء . وتاريخ المستعمرات حافل بالمنازعات التي نشبت بين المجالس التي ينتخبها الشعب ، وبين الحكام الذين كانوا يعينون من قبل الملك .

على أن المستعمرين كثيراً ما استطاعوا أن يجردوا الحكام الملكيين من كل حول وقوة إذ كانت القاعدة المتبعة أن هؤلاء الحكام « لا يحصلون على معاشهم إلا عن طريق المجلس » . وكان الحكام يزودون أحياناً بتعليمات خاصة بتولية أصحاب النفوذ من المستعمرين المناصب المربحة ومنحهم الأراضي كي يضمنوا تأييدهم للمشروعات الملكية . ولكن غالباً ما استأنف أولئك الموظفون حماسهم في الدفاع عن القضية الاقليمية كما كانوا يفعلون من قبل بعد أن اطمأنوا الى هذا الدخل .

وقد أدى التصادم المتكرر بين حاكم الإقليم وبين المجلس ، إلى إيقاظ إحساس المستعمرات بما هنالك من تباعد بين المصالح الأمريكية والإنجليزية . ومع مر السنين ، استولت المجالس على صلاحيات الحكام وهيئاتهم الاستشارية التي كانت تتألف من جماعة من أهل المستعمرات عرفوا بتأييدهم للسلطة الملكية . وانتقل مركز إدارة المستعمرات بالتدريج من لندن الى عواصم المقاطعات الأمريكية . وفي مستهل العقد الثامن من القرن الثامن عشر بذلت محاولة لتعديل العلاقات بين المستعمرات وإنجلترا تعديلاً جوهرياً وكان من العوامل الأساسية التي دخلت في هذه الحركة طرد الفرنسيين نهائياً من أمريكا الشمالية .

التصادم البريطاني ـ الفرنسي

فبينما كان البريطانيون يملأون منطقة ساحل الأطلنطي بقطاعات شاسعة ومزارع منسقة ومدن كثيرة مزدهرة ، كان الفرنسيون يؤسسون نظاماً استعمارياً من نوع آخر في وادي سانت لورنس في شرق كندا ، حيث أرسلوا عدداً قليلاً من المستعمرين . ولكنهم أكثروا من المستكشفين والمبشرين وتجار الفراء . فاستولوا على نهر المسيسيبي وأقاموا تدريجياً إمبراطورية على شكل هلال عظيم من الحصون والمراكز التجارية يمتد من كويبك في الشمال الشرقي إلى نيو أورليانز في الجنوب . وهكذا عملوا على حصر البريطانيين في الجزء الشرقي الضيق الممتد شرقي جبال الأبلاش .

وقاوم الإنجليز طويلاً ما اعتبروه « تعدياً من الفرنسيين » . وقد وقعت اشتباكات دامية بين المستعمرين الفرنسيين والانجليز منذ سنة ١٦١٣ . بل لقد نشبت حروب منظمة كانت شبيهة بالنزاع الأكبر بين إنجلترا وفرنسا . وهكذا كانت حروب الملك وليم التي وقعت بين سنة ١٦٨٩ وسنة ١٦٩٧ صورة أمريكية عن « حرب البلاتينيت » الأوروبية .

ومن سنة ١٧٠٢ إلى سنة ١٧١٣ كانت «حرب الملكة آن» تعادل «حرب الخلافة الأسبانية» . ومن سنة ١٧٤٤ الى سنة ١٧٤٨ كانت حرب «الملك جورج» تشابه «حرب الخلافة النمسوية» . وبالرغم من إن إنجلترا قد حصلت على عدة امتيازات من تلك الحروب ، الاّ ان الصراع لم يكن على وجه العموم ذا نتائج حاسمة ، فظلت فرنسا تتمتع بمركز قوي جداً في القارة الأمريكية .

على أن الصراع قد دخل مرحلته النهائية حول العقد السادس من القرن الثامن عشر، إذ أحكم الفرنسيون قبضتهم على وادي المسيسيبي بعد صلح «إكس لاشابل» سنة ١٧٤٨ . وفي الوقت نفسه نشط انتقال المستعمرين الإنجليز عبر جبال الليجيني . وبذلك بدأ السباق للاستيلاء الفعلي على الاقليم نفسه . وقد أدى ذلك الى وقوع صدام مسلح سنة ١٧٥٤ بين جنود المليشيا في فرجينيا بقيادة جورج وشنطن ، الذي كان في الثانية والعشرين من عمره ، وبين فرقة من الجيش النظامي الفرنسي ، وكان الهدف من «الحرب الفرنسية الهندية» التي تلت تلك الحادثة والتي نشبت بين الانجليز وحلفائهم الهنود من ناحية وبين الفرنسيين وحلفائهم الهنود من ناحية أخرى ـ هو الفصل النهائي في مصير السيادة على أمريكا الشمالية لمصلحة الفرنسيين أو الانجليز .

ولم يحدث قط أن اشتدت الحاجة في المستعمرات البريطانية الى العمل والاتحاد كما حدث في ذلك الوقت . إذ كان مركز فرنسا لا يهدد الامبراطورية البريطانية فحسب بل كان يهدد أهالي المستعمرات الأمريكية أنفسهم أيضاً . فكان الفرنسيون باستيلائهم على وادي المسيسيبي يستطيعون صدَّ توسع المستعمرين الأمريكيين غرباً . ولم تكن قوة الحكومة الفرنسية في كندا ولويزيانا قد عظمت فحسب ، بل عظم شأنها في نظر الهنود أيضاً . فاستمالتهم إليها بما في ذلك هنود الإيروكويز حلفاء بريطانيا التقليديين . وهكذا أدرك كل مستعمر بريطاني له إلمام بالأمور الهندية أنه في حالة نشوب حرب جديدة لا بد من اتخاذ تدابير قاسية لتفادي الكارثة .

تمهيد طريق الوحدة

عند ذلك أمرت وزارة التجارة البريطانية ـ التي كانت تصلها التقارير عن تدهور العلاقات مع الهنود ـ حاكم نيويورك ووكلاءها في المستعمرات الأخرى ، أن يدعوا مجلساً من زعماء الايروكويز لعقد معاهدة مشتركة . ومن أجل ذلك الغرض اجتمع في يونيو سنة ١٧٥٤ ممثلو نيويورك ، وبنسلفانيا ، وماريلاند ومستعمرات نيوإنجلند بهنود الإيروكويز في ألباني . فذكر الهنود مظالمهم واوصى المندوبون باتخاذ التدابير اللازمة . ولكن المؤتمر جاوز غرضه الأصلي ـ وهو حل المشاكل الهندية ـ وأعلن أن اتحاد المستعمرات الأمريكية «ضروري جدّاً للمحافظة على كيانها» فأقر ممثلو المستعمرات الحاضرون مشروع ألباني الاتحادي الذي وضعه بنيامين فرانكلين . وقد نص المشروع

على أن يباشر الرئيس الذي يعينه الملك عمله مع مجلس استشاري عال تختار المجالس أعضاءه ، وأن يكون تمثيل كل مستعمرة بنسبة اكتتاباتها المالية للخزينة العامة . كما نص المشروع على أن تكون الحكومة ملزمة برعاية مصالح البريطانيين جميعها في الغرب ، أي برعاية المعاهدات الهندية والتجارة والدفاع والاستيطان. غير أن واحدة من المستعمرات لم تقبل مشروع فرانكلين ، لأنها لم ترد أن تتخلى لهيئة خارجية عن حق فرض الضرائب أو الإشراف على تطور الغرب .

وكانت مساهمة المستعمرات في الحرب محدودة ، وأخفقت جميع الوسائل لاستنهاض إحساسها بواجبها نحو الملك . فلم يرَ أهل المستعمرات في الحرب إلاّ صراعاً بين إنجلترا وفرنسا من أجل التوسع الإمبراطوري ، ولم تؤنبهم ضمائرهم عندما اضطرت الحكومة الانجليزية الى إرسال قوات نظامية كبيرة العدد لتشتبك في معارك استعمارية . كما أنهم لم يأسفوا على كسب أصحاب « الأردية الحمراء » للحرب دون القوات الإقليمية . ولم يجدوا مبرراً لعدم الاستمرار في تجارة كانت تعتبر في الحقيقة « تجارة مع الأعداء » .

وعلى الرغم من قصور تأييد المستعمرات ومن بعض الهزائم الأولى ، فإن تفوق مركز إنجلترا من الناحية الاستراتيجية وكفاءة قوادها قد ساعدا على تحقيق النصر التام . وبعد ثماني سنوات من الصراع ، فتحت كندا ووادي المسيسبي الأعلى نهائياً ، وقضي على حلم الامبراطورية الفرنسية في أمريكا الشمالية .

وكان على بريطانيا بعد انتصارها على فرنسا أن تواجه مشكلة أهملتها حتى ذلك الوقت وهي مشكلة الامبراطورية ، لا في أمريكا فحسب ، بل في الهند أيضاً ، وفي عالم الاستعمار بوجه عام . إذ أصبح من الضروري أن تنظم إنجلترا ممتلكاتها الشاسعة بشكل يسهل مهمة الدفاع ، ويوفق بين المصالح المتباينة للمناطق والشعوب المختلفة ، ويوزع بالتساوي نفقات الإدارة الإمبراطورية .

فقد ازدادت ممتلكات بريطانيا فيما وراء البحار الى أكثر من الضعف في أمريكا الشمالية وحدها ، فأضيفت الى الشريط الضيق على الساحل الأطلنطي مساحة كندا الشاسعة والمنطقة بين نهر المسيسبي وجبال الليجني ، وهذه وحدها تعتبر إمبراطورية قائمة بذاتها . وبينما كان الشعب السائد من قبل من الانجليز البروتستانت أو من الأوروبيين الذين طبعوا بالطابع الانجليزي ، أصبح الآن يشمل فرنسيين كاثوليكاً وعدداً كبيراً من الهنود الذين اعتنق بعضهم المسيحية . ومن هذا يتضح أن الدفاع عن هذه الممتلكات الجديدة وإدارتها ، باستثناء الممتلكات القديمة ، يتطلب مبالغ من المال ضخمة وزيادة كبيرة في عدد الموظفين . وقد بدا جلياً أن النظام الاستعماري القديم ــ إن كان هناك ثمة نظام ــ قد أصبح لا يتلاءم مع الموقف . وحتى في أثناء الحرب التي هددت كيان أهل المستعمرات أنفسهم أثبت النظام القديم عدم قدرته على ضمان تعاون أهل المستعمرات وتأييدهم . فما الذي نتوقعه إذن في زمن السلم حين يختفي من الأفق شبح أي خطر خارجي؟

مقاومة الاجراءات الظالمة

ولم يكن الموقف في أمريكا يسمح بأي تغيير بالرغم من أن الحاجة كانت ماسة لوضع نظام امبراطوري جديد – على الأقل من وجهة النظر البريطانية . ولما كان أهل المستعمرات قد اعتادوا من زمن بعيد أن يتمتعوا بقسط وافر من الاستقلال فإنهم أصبحوا في مرحلة من التطور جعلتهم يطلبون المزيد من هذه الحرية ولا سيا بعد أن زال الخطر الفرنسي . وكان تنظيم الإدارة وتنفيذ أي نظام جديد ، يحتم على ساسة بريطانيا منازعة أهالي المستعمرات الذين تعودوا على الحكم الذاتي وأصبحوا لا يطيقون صبراً على أي تدخل .

وكانت إحدى المشكلات التي عالجتها بريطانيا أولاً هي التنظيم الداخلي ، إذ فرض فتح كندا ووادي أوهايو على البريطانيين وضع سياسات لا تؤدي الى إثارة السكان الفرنسيين أو الهنود . غير أن هذه السياسة تعارضت مع مصالح المستعمرات الساحلية التي كانت ترمي – نظراً إلى تزايد عدد سكانها المستمر – إلى استغلال الأراضي المكتسبة حديثاً . وأدت الحاجة الى أراض جديدة ، الى مطالبة عدد من المستعمرات ، بناء على ما لديها من تراخيص ، بحق التوسع غرباً حتى نهر المسيسيبي .

ولكن الحكومة البريطانية ، خشية منها أن يثير ازدحام طلائع المزارعين في الأراضي الجديدة سلسلة من الحروب الهندية ، شعرت أنه من الواجب أن يعطى الهنود الطموحون الوقت الكافي للاستقرار ، وأنه يمكن فتح هذه الأراضي لأهل المستعمرات بالتدريج . لذلك خصص الإعلان الملكي الصادر في سنة ١٧٦٣ جميع الأقاليم الغربية بين جبال الليجني وفلوريدا ، والمسيسيبي ، وكويبك للهنود . وهكذا حاول التاج ، بضربة واحدة القضاء على مطالب المستعمرات الثلاث عشرة في الأراضي الغربية جميعها ، ووقف التوسع غرباً . ومع أن هذا التدبير لم ينفذ بصورة جدية مطلقاً ، فقد كان في نظر أهل المستعمرات المتذمرين إغفالاً استبدادياً لحقهم الأول في احتلال الأراضي الغربية واستثمارها كلما دعت الضرورة والحاجة .

على أن أثر سياسة بريطانيا المالية الجديدة كان أكثر خطراً . إذ كان على المستعمرات أن تؤدي نصيبها من نفقات الإمبراطورية التي كانت تتزايد يوماً بعد يوم بازدياد حجم الإمبراطورية نفسها ما دام دافعو الضرائب في إنجلترا لن يستطيعوا تأدية النفقات جميعها . وكان تحصيل هذا الدخل لا يتحقق إلا عن طريق إدارة مركزية قوية ، وهذا لا يتأتى إلا على حساب الحكم الذاتي للمستعمرات . وكان إقرار قانون السكر سنة ١٧٦٤ هو الخطوة الأولى في النظام الجديد . فقد كان الغرض الوحيد من هذا القانون ، كما عدل بعد سنتين ، زيادة الدخل دون تنظيم التجارة . والحقيقة انه وضع بديلاً لقانون العسل الصادر في سنة ١٧٣٣ ، والذي فرض ضريبة حظر على استيراد العسل والروم من المناطق غير الانجليزية . وكان قانون السكر المعدل قد حظر استيراد الروم الاجنبي وفرض ضريبة

بسيطة على العسل المستورد من جميع الجهات . كما فرض الضرائب على النبيذ والحرير والبن وبعض الكماليات الأخرى . وقد صدرت تعليمات إلى رجال الجمارك بأن يبدوا نشاطاً أكبر ودقة أكثر في تنفيذ القانون . وزودت السفن الحربية البريطانية في المياه الأمريكية بالتعليمات اللازمة للقبض على المهربين . وصرح لضباط الملك بتفتيش الأماكن المشبوهة .

ضرائب دون تمثيل لا تجوز

ولم تكن الضرائب الجديدة هي التي أثارت الرعب والذعر بين تجار نيوإنجلند ، بل بالأحرى الخطوات الجدية التي اتخذت لتنفيذها . وهو الأمر الذي كان يعد بالنسبة لهم تطوراً جديداً غاية الجدة . ذلك لأن سكان نيوإنجلند كانوا قد اعتادوا منذ أكثر من جيل أن يستوردوا الجزء الأكبر من العسل لصنع الروم من جزر الهند الغربية الفرنسية والهولندية دون أن يدفعوا ضرائب . وهم يدّعون الآن ان دفع حتى الضريبة البسيطة المفروضة يؤدي إلى الإفلاس . وهكذا وجد أهل المستعمرات في ديباجة قانون السكر فرصة سانحة ليسوغوا استياءهم على أساس دستوري . فقد كان من المسلم به منذ زمن بعيد أن للبرلمان من الناحية النظرية (وإن لم يكن دائماً من الناحية العملية) سلطة فرض ضريبة على سلع المستعمرات لتنظيم تجارتها . ولكن سلطة فرض ضريبة « لتحسين دخل هذه المملكة » ، كما جاء في قانون الدخل لسنة ١٧٦٤ ، كان أمراً جديداً يقبل المناقشة .

كانت تلك القضية الدستورية إسفيناً في النزاع الكبير الذي انتهى أخيراً بتقطيع أوصال الإمبراطورية . وقد كتب جيمس أوتيس ، أحد الوطنيين الأوائل ، يقول : « لقد دفع قانون برلماني واحد معظم الناس الى أن يفكروا في ستة أشهر أكثر مما فعلوا طوال حياتهم » ، وقد احتج التجار والهيئات التشريعية والندوات الشعبية على فائدة هذا القانون ، ورأى محامو أهل المستعمرات مثل صمويل آدمز في ديباجة القانون الإشارة الأولى الى فرض « ضرائب دون تمثيل » فكانت تلك الإشارة نداء المعارضة الذي اجتذب كثيراً من الناس إلى جانب الوطنيين ضد بريطانيا (الأم) .

وأخيراً سن البرلمان ــ في السنة نفسها ــ قانوناً للعملة يسلب الأوراق المالية التي تصدرها أية مستعمرة من مستعمرات صاحب الجلالة صفتها القانونية . ولما كانت المستعمرات منطقة تجارية تعاني عجزاً في توازنها التجاري . بالإضافة إلى عوزها للعملة الصعبة ، فقد أضاف هذا القانون حملاً ثقيلاً الى الأعباء التي كان ينوء بها الاقتصاد في المستعمرات . كذلك اعترض سكان المستعمرات على قانون مساكن الجند الذي صدر في أوائل سنة ١٧٦٥ ، والذي يتطلب من المستعمرات إعداد الأماكن التي تعسكر فيها القوات الملكية وإمدادها بكثير من حاجاتها .

ومع أن معارضة هذه القوانين كانت عنيفة . فإن قانون التمغة المشهور ، وهو آخر

التدابير التي اتخذت لتنفيذ النظام الاستعماري الجديد . هو الذي أثار المقاومة المنظمة . وبمقتضى هذا القانون تقرر تخصيص دخل التمغة المفروضة على جميع الصحف ، والبطاقات ، والكتيبات ، والرخص ، والايجارات ، والوثائق القانونية الأخرى ، للإنفاق « على أغراض الدفاع وحماية المستعمرات والمحافظة عليها » . وبدا الحمل خفيفاً وموزعاً بالتساوي ، لدرجة أن البرلمان اعتمد القرار دون كثير من المناقشة .

وقد استقبلت المستعمرات الثلاث عشرة القانون بعنف أثار دهشة المعتدلين في كل مكان . ومن سوء طالع القانون أنه أثار عداوة أكثر الجماعات قوة وأفصحها بياناً في المستعمرات ، أي رجال الصحف والمحامين ورجال الدين والتجار ورجال الأعمال . وقد ظهر أثره جلياً في جميع أنحاء البلاد شمالاً وجنوباً وغرباً . وسرعان ما نظم كبار التجار الذين تعرضت أذون شحن بضائعهم للضريبة . وسائل المقاومة وألفوا الجمعيات لوقف الاستيراد .

وهبطت التجارة مع إنجلترا هبوطاً كبيراً في صيف عام ١٧٦٥ . وألف الرجال البارزون من أنفسهم جماعة « أبناء الحرية » . وسرعان ما لجأت المعارضة السياسية إلى العنف . وسارت الجماهير الملتهبة في شوارع بوسطن . وأبطل عمل القانون من مساتشوستس ، الى كارولينا الجنوبية ، وأرغمت الغوغاء الوكلاء السيئ الحظ على الاستقالة من مراكزهم وإتلاف طوابع التمغة البغيضة .

وبتأثير من باتريك هنري ، وافق مجلس فرجينيا على مجموعة من القرارات يعلن فيها أن فرض الضرائب دون تمثيل بدعة خطيرة لا سابقة لها ، وتهديد لحرية المستعمرات . وبعد أيام قلائل دعا مجلس مساتشوستس جميع المستعمرات الى إرسال مندوبين عنها لحضور مؤتمر يعقد في نيويورك للنظر فيما ينطوي عليه قانون التمغة من خطر . ويعتبر هذا المؤتمر ـ الذي عقد في أكتوبر سنة ١٧٦٥ ـ أول مجلس للمستعمرات جميعاً اجتمع بناء على رغبة أمريكية بحتة . وقد انتهز هذه الفرصة سبعة وعشرون رجلاً قديراً مقداماً ، نابوا عن تسع مستعمرات ، لاستفزاز الرأي العام في المستعمرات ضد تدخل البرلمان في الشؤون الأمريكية . وبعد مناقشات طويلة ، أصدر المؤتمر قرارات عدة تؤكد أنه « لم تفرض عليهم ضرائب قط وأنه لا يمكن فرضها إلا بواسطة مجالسهم التشريعية ، وإن كان قانون التمغة يهدف الى هدم حقوق أهل المستعمرات وحرياتهم » .

تسوية مشكلة الضرائب

وهكذا ارتكزت القضية الدستورية على مسألة التمثيل . فمن وجهة نظر المستعمرات استحال عليها أن تعتبر نفسها ممثلة في البرلمان ما لم يكن لها أعضاء حقيقيون ينتخبون لمجلس العموم ، غير أن ذلك الرأي يتعارض مع المبدأ الانجليزي التقليدي « للتمثيل الواقعي » ، أو التمثيل الذي يقوم على أساس تمثيل الطبقات أو المصالح ، لا

على أساس المكان . وكان معظم الرجال الرسميين البريطانيين يرون أن البرلمان هيئة إمبراطورية تمثل في المستعمرات نفس السلطات التي لها في أرض الوطن وتمارسها ، فيستطيع البرلمان أن يسن القوانين لمساتشوستس كما يسنها ليوركشير في إنجلترا . غير ان الزعماء الأمريكيين كانوا يعتقدون أنه ليس هناك برلمان « إمبراطوري » وأن علاقتهم الشرعية الوحيدة هي مع التاج فقط . فالملك هو الذي وافق على تأسيس المستعمرات فيما وراء البحار ، وهو الذي أقام حكوماتها . فهم يقبلون أن يكون ملك إنجلترا ملكاً على مساتشوستس ، ولكنهم أصروا على أنه ليس للبرلمان الحق في سن القوانين الخاصة بمساتشوستس مثلاً ، كما أنه ليس لهيئات مساتشوستس التشريعية سلطة سن القوانين بانجلترا .

وكان طبيعياً أن يرفض رجال البرلمان الإنجليزي وجهة نظر رجال المستعمرات ، ولكن التجار البريطانيين استخدموا نفوذهم وكان لذلك أكبر الأثر ، إذ دفعهم الشعور بما يترتب على مقاطعة الأمريكيين للتجارة من نتائج ، الى تأييد حركة الإلغاء . وفي سنة ١٧٦٦ خضع البرلمان ، وأبطل قانون التمغة ، وعدل كثيراً من قانون السكر . وقد أثارت هذه الأخبار سروراً بالغاً في المستعمرات ، وعدل التجار عن اتفاقيات عدم الاستيراد ، واستكان « أبناء الحرية » وعادت التجارة إلى مجراها ، وبدا أن السلام قد أصبح قريب المنال .

غير أن ذلك لم يكن سوى هدنة فحسب ، إذ بدأت في سنة ١٧٦٧ سلسلة أخرى من التدابير أثارت من جديد كل عوامل النزاع . في ذلك الوقت كلف شارل تاونشند وزير المالية البريطانية ، بوضع نظام مالي جديد للحكومة . وقد عزم الوزير على تخفيض الضرائب البريطانية بأن يُحكِم جمع الضرائب المفروضة على التجارة الأمريكية. فضيق الخناق على إدارة الجمارك ، وفي الوقت نفسه أيد فرض ضرائب على الورق ، والزجاج والرصاص ، والشاي المصدر من بريطانيا الى المستعمرات . وكان يرمي من وراء ذلك إلى زيادة الدخل حتى يستطيع أن يستخدم جزءاً منه في سد نفقات حكام المستعمرات والقضاة وموظفي الجمارك والجيش البريطاني في أمريكا . واقترح تاونشند قانوناً آخر خوّل المحاكم العليا في المستعمرات سلطة إصدار صكوك المساعدة ، فمنح بذلك صبغة شرعية خاصة لتصاريح التفتيش العامة التي يبغضها أهل المستعمرات .

كان التذمر الذي تلا تطبيق ضرائب تاونشند أقل عنفاً من التذمر الذي أثاره قانون التمغة ، إلا أنه كان مع ذلك شديداً إلى حد أن لجأ التجار ثانية الى اتفاقيات عدم الإستيراد . وارتدى الرجال المنسوجات المحلية ووجدت النساء بديلاً من الشاي ، واستعمل الطلبة ورقاً محلياً من صنع المستعمرات وظلت المنازل دون طلاء . وفي بوسطن حيث كانت المصالح التجارية شديدة التأثر بأي تدخل ، اشتد هياج القوم لتنفيذ تلك الأنظمة الجديدة وثار الشعب على عمال الجمارك ، وحينما بدأوا بجباية الضرائب هاجمتهم الجماهير في عنف ، الأمر الذي أرسلت من اجله فصيلتان من الجند لحمايتهم .

وكان وجود القوات البريطانية في بوسطن ، المعقل القديم للبيوريتان ، مثاراً دائماً للإضطراب . ففي ٥ مارس سنة ١٧٧٠ ، أي بعد ثمانية عشر شهراً من التذمر ، اشتعل العداء بين المواطنين وبين الجنود ، إذ تطور الأمر من مجرد رجم أصحاب الأردية الحمراء بكرات من الثلج لا ضرر منها ، إلى هجوم شنته الدهماء . وصدر الأمر بإطلاق النار ، فسقط ثلاثة من أهل بوسطن صرعى على الجليد . وقد هيأ ذلك الحادث للمهيجين في المستعمرات سبباً يستعينون به في حملتهم التي تهدف الى إثارة العداوة ضد بريطانيا ، فأطلقوا على الحادث اسم « مذبحة بوسطن » وصوروها تصويراً مؤلماً مثيراً ، واعتبروها دليلاً على قسوة الإنجليز وظلمهم .

ولما واجه البرلمان هذه المعارضة قرر في سنة ١٧٧٠ أن يتقهقر تقهقراً منظماً ، فألغى جميع ضرائب تاونشند ما عدا « ضريبة الشاي » التي أبقيت ، لأنه ـ كما قال جورج الثالث ـ « لا بد من أن تبقى دائماً ضريبة واحدة ليبقى حق فرض الضرائب قائماً » . واعتبرت غالبية أهل المستعمرات عمل البرلمان تعويضاً لهم ، وخفت إلى حد كبير حدة الحملة على إنجلترا ، واستمر الحظر مفروضاً على الشاي الإنجليزي . غير ان تدابير الحظر لم تراع بكل دقة . وبدا الموقف مبشراً بتحسن العلاقات الإمبراطورية بوجه عام فازداد الرخاء ولم يعد معظم قادة المستعمرات يفكرون في مشكلات المستقبل . كذلك ظهر أن التغاضي والتغافل قد نجح كلاهما حيث اخفقت الرعونة السياسية والتهور . ورحبت العناصر المعتدلة المنتشرة في كل مكان بالمستعمرات بهذه الفترة من السلم .

« حفلة شاي » بوسطن

وقد ساد الهدوء المستعمرات ثلاث سنوات متواصلة ، ولم يعكره إلاّ عامل واحد فقط ، ذلك أن عدداً صغيراً من الوطنيين أو « الراديكاليين » اعتبر فوز المستعمرات وهماً لا حقيقة ، وهذا هو الذي عمل على بقاء النزاع . فبقاء ضريبة الشاي يجعل حق البرلمان على المستعمرات قائماً ، ويستطيع أن يطبق هذا المبدأ كاملاً بشكل يهدد حرية المستعمرات وفي أي وقت مستقبلاً .

وكان صمويل آدمز ـ ابن مساتشوستس ـ خير مثال للوطنيين وأكثر الأعضاء نفوذاً وتأثيراً ، وقد جاهد دون كلل لتحقيق هدفه الأول والأوحد وهو الاستقلال . ومنذ تخرج آدمز من كلية هارفارد تقلب في مناصب الحكومة فعمل مفتشاً للمداخن ، ومحصلاً للضرائب ، ومنظماً للندوات الشعبية . وعلى الرغم من أنه كان دائم الإخفاق في عمله ، فقد كان داهية في السياسة ، وكان مسرح أعماله في اجتماعات نيوإنجلند الشعبية . وكان الرجال هم عدته وكان هدفه الفوز بثقة ودعم العامة من الناس لتحريرهم من ربقة رؤسائهم الاجتماعيين والسياسيين ، وإشعارهم بأهمية أنفسهم وحثهم على العمل ،

وكي يحقق ذلك نشر المقالات في الصحف . واقترح القرارات في الندوات الشعبية والمجالس الإقليمية وخطب فيها مستميلاً دوافعهم الديمقراطية .

وفي سنة ١٧٧٢ دفع آدمز الندوة الشعبية في بوسطن الى تشكيل « لجنة للمراسلات » كي توضح حقوق أهل المستعمرات ومظالمهم . وتراسل المدن الأخرى لهذا الشأن . وتطلب إليها تدوين إجاباتها . وسرعان ما انتشرت الفكرة وتأسست في جميع المستعمرات لجان كانت نواة للمنظمات الثورية الفعالة .

وفي سنة ١٧٧٣ أعطت بريطانيا آدمز والذين معه ذريعة للعمل يطلبونها . فحينما تأزمت الأحوال المالية في شركة الهند الشرقية لجأت هذه الشركة الى الحكومة الإنجليزية التي منحتها حق احتكار الشاي المصدر الى المستعمرات . وكان أهل المستعمرات قد قاطعوا شاي الشركة بسبب ضريبة تاونشند . وبعد سنة ١٧٧٠ ازدهرت التجارة غير المشروعة حتى أن تسعة أعشار الشاي المستهلك في أمريكا كان مستورداً من جهات أجنبية دون ضرائب .

فصممت الشركة على بيع الشاي بسعر يقل كثيراً عن السعر العادي عن طريق وكلائها وبذلك جعلت من التهريب عملية غير مربحة . وشلت في الوقت نفسه حركة التجار المحليين المستقلين . وقد أثارت هذه الخطوة السقيمة تجار المستعمرات ودفعتهم ثانية إلى التحالف مع الوطنيين . ولم يكن دافع التجار على العمل هو ضياع تجارة الشاي فحسب بل مبدأ الاحتكار أيضاً . فاتخذت التدابير في جميع المستعمرات لمنع شركة الشاي من تنفيذ خططها . وأقنع وكلاء الشركة في جميع الثغور ـ عدا بوسطن ـ بالاستقالة . وأعيدت شحنات الشاي الجديدة الى انجلترا أو وضعت في مخازن . لكن وكلاء الشركة في بوسطن أبوا أن يستقيلوا . واتخذوا بمساعدة الحاكم الملكي كل التدابير اللازمة لتفريغ الحمولة الواردة دون نظر للمعارضة . وكان العنف هو رد الوطنيين بزعامة صمويل آدمز . ففي ليلة ١٦ ديسمبر سنة ١٧٧٣ اعتلت ظهر سفن الشاي الثلاث فرقة من الرجال . متنكرين على هيئة هنود الماهوك . وقذفوا بالشاي إلى الماء .

كبح جماح المستعمرات

وهكذا واجهت بريطانيا أزمة خطيرة . فقد كانت شركة الهند الشرقية تنفذ قانوناً برلمانياً . وإذا مرت حركة تبديد الشاي دون رادع فعلى البرلمان أن يعترف أمام العالم بزوال سلطته على المستعمرات . وقد أجمعت الدوائر الرسمية في بريطانيا تقريباً على وصف عمل « حفلة شاي » بوسطن بالهمجية . وايدت التدابير الخاصة بوقف ثوار المستعمرات عند حدهم . وتجاوب البرلمان مع القوانين الجديدة ـ التي أسماها أهل المستعمرات « القوانين الجائرة » وكان أولها قانون ميناء بوسطن . الذي أغلق الثغر

بمقتضاه حتى يدفع ثمن الشاي . وقد هدد هذا التدبير كيان المدينة نفسها . لأن إقصاء بوسطن عن البحر يعد كارثة . وخولت بعض القوانين الأخرى الملك حق تعيين مستشاري مساتشوستس الذين كان ينتخبهم فيما قبل المستعمرون . واصبح من سلطة العمد وعمال الحاكم استدعاء المحلفين . الذين كانت الندوات الشعبية تختارهم من قبل . كذلك لم يعد للندوات الشعبية حق الاجتماع إلا بتصريح من الحاكم الذي بيده أيضاً حق تعيين القضاة والعمد وعزلهم . وصدر قانون مساكن الجند . الذي يفرض على السلطات المحلية السكن المناسب للجنود البريطانيين . وكذلك صدر في تلك الآونة على وجه التقريب قانون كويبك . حيث وسع حدود إقليم كويبك . ومنح السكان الفرنسيين حق التمتع بالحرية الدينية . وممارسة عاداتهم المعترف بها . وقد عارض أهل المستعمرات في هذا القانون . إذ أنه إلى جانب إغفاله حقوقهم في الأراضي القريبة بمقتضى التراخيص القديمة . هدد بصفة عامة في التوسع نحو الغرب . وكأنه بذلك يعمل على إحاطة المستعمرات في الشمال الغربي بإقليم تسود فيه الكاثوليكية اللاتينية المطلقة . ومع أن قانون كويبك لم يصدر كإجراء عقابي . إلا أن الأمريكيين أضافوه الى القوانين الجائرة . وأصبحت كلها تسمى باسم « القوانين الخمسة التي لا تطاق » .

وبدلاً من أن تخضع هذه القوانين مساتشوستس كما كان منتظراً . هبت اخواتها المستعمرات الأخرى الى مساعدتها . فدعي ممثلو المستعمرات بناء على اقتراح نواب فرجينيا الى الاجتماع في فيلادلفيا في الخامس من شهر سبتمبر سنة ١٧٧٤ « للتشاور في حالة المستعمرات السيئة الراهنة » وكان هذا الاجتماع هو المؤتمر الأول لهذه القارة . وهو هيئة ذات صبغة شرعية إضافية اختارتها المؤتمرات الإقليمية أو الجمعيات الشعبية . وقد أرسلت كل مستعمرة . عدا جورجيا . مندوبا واحدا على الأقل . وكان العدد الكلي خمسة وخمسين عضواً وهو من الكثرة بحيث يدعو الى الاختلاف في الرأي . ومن القلة بحيث يجعل المناقشة جوهرية والعمل منتجاً .

وقد وقع المؤتمر في ورطة مؤلمة بسبب انقسام المستعمرات في الرأي . إذ كان عليه أن يظهر بمظهر الاتحاد الوثيق كي يحمل الحكومة البريطانية على منحه بعض الامتيازات . وفي الوقت نفسه كان عليه أن يتجنب أي مظهر من مظاهر التطرف أو « التشبع بروح الاستقلال » مما يزعج المعتدلين من الأمريكيين . وقد قرر المؤتمرون ــ بعد خطبة افتتاحية لبقة ــ عدم الرضوخ للقوانين الجائرة . ثم وضع المؤتمر إعلان الحقوق والمظالم موجهاً للشعب البريطاني .

ولعل أهم عمل قام به المؤتمر هو تأسيس « الرابطة » التي حبذت إعادة المقاطعة التجارية . ونظام لجان التفتيش لمراقبة تنفيذ القيود الجمركية . وإذاعة أسماء التجار الذين ينقضون الاتفاقيات ومصادرة وارداتهم . وتشجيع التقشف والاقتصاد والصناعة . وتولت « الرابطة » في كل مكان زمام الزعامة وراحت تقيم المنظمات المحلية الجديدة للتخلص من بقايا السلطة الملكية . وقد ألقت الرعب في قلوب المترددين في الانضمام

الى الحركة الشعبية . وعاقبت الأعـداء بقسوة . وأخذت في جمع العتـاد الحربي وتعبئة القوات وإثارة الرأي العام .

وقد وصل الخلاف ـ الذي كان ينمو وئيداً بين أفراد الشعب ـ الى مرحلة لم يعـد يرجى بعدها صلح بسبب ما قامت به « لجان الرابطة » من نشاط وجهود . ذلك لأن كثيراً من الأمريكيين ممن كانوا يعارضون إعتداء البريطانيين على الحقوق الأمريكيـة ، فضلوا المناقشة والتفاهم على تسوية كحل مناسب . وكانت تضم هذه الجماعة معظـم أصحاب المناصب الحكومية (أي موظفي التاج) . وعدداً كبيراً من الكويكرز وأعضاء الطوائف الدينية الأخرى التي تعارض مبدأ استخدام القوة ، وكثيرين من التجار ولا سيما من أهل المستعمرات الوسطى ، وبعض الناقمين من صغار المزارعين . ورجال الحدود من المستعمرات الجنوبية . على أن الوطنيين من ناحية أخرى استمدوا مناصريهـم لا من متوسطي الحال فحسب ، بل من طبقة أصحاب المهن كذلك ، خصوصاً المحامين ومعظم كبار المزارعين في الجنوب وعدد غير قليل من التجار .

وبينما سببت الحوادث التي تلت صدور تلـك القوانين الجائرة حالـة من الذعر والخوف لأولئك الموالين لإنجلترا ، كان في استطاعة الملك أن يحالفهم ويشد من أزرهم ويقوي مركزهم بمنحهم امتيازاً مناسباً بحيث يصبح من العسير على المواطنين متابعـة عدائهم ، غير أن جورج الثالث لم يكن من رأيه منح الامتيازات . وفي سبتمبر سنة ١٧٧٤ كتب موقعاً على التماس رفعـه الكويكرز من فيلادلفيـا « قضي الأمر فإما أن تخضع المستعمـرات أو تنتصر » . ولقـد زلزل ذلـك الموقف الملكيين أو « التـوريز » كمـا بدأوا يلقبون .

كان قائد الحامية البريطانية في مدينة بوسطن ـ التي حـل النشاط السياسي فيها محل التجارة ـ هو الجنرال توماس جيدج وهو سيد إنجليزي لطيف تزوج من فتاة أمريكيـة الأصل . ولقد كتب بريطاني بارز في المدينة هو الدكتور جوزيف وارن إلى صديق إنجليزي في ٢٠ فبراير سنة ١٧٧٥ يقول : « إن الفرصة لم تفلت بعد لمعالجة الشقاق بالوسائـل السلمية ، ولكني أرى أنه إذا حدث أن سار الجنرال جيدج بقواته الى داخل البـلاد لكي ينفذ قوانين البرلمان الأخيرة ، فإن على بريطانيا العظمى بعدئذ ان تنسحب من مستعمرات نيوإنجلند على الأقل ، وإذا لم أخطئ فمن أمريكا كلها . وإذا كان ثمة حكمة في الأمة فلتظهرها مشيئة الله سريعاً » .

غير أن الجنرال جيدج كان عليه أن ينفذ القوانين الجائرة . وقد وصلت إلى مسامعه الأنباء القائلة بأن الوطنيين بمساتشوستس يجمعون البارود والعتاد الحربي عند مدينـة كنكورد الداخلية ، التي تبعد ٢٠ ميلاً من بوسطن . وفي ليلة ١٨ ابريل سنة ١٧٧٥ أرسل الجنرال الإنجليزي جزءاً كبيراً من حاميته ، لمصادرة هذه الذخيرة وإلقـاء القبض على صموئيل آدمز وجون هانكوك اللذين أمر بإرسالهما الى إنجلترا لمحاكمتهما جنائيـاً . ولكن المستعمرة جميعها ثارت فور وصول بول ريفري ورسولين آخرين لاخطارهما بالأمر .

وعندما وصلت القوات البريطانية الى قرية لكسنجتون رأت خلال ضباب الصباح المبكر فرقة مكونة من خمسين رجلاً من المستعمرين المسلحين وقد اصطفوا في الساحة العامة . ومرت لحظة ساد فيها التردد وتجاوبت فيها الصيحات والأوامر من كلا الفريقين ، وفي أثناء تلك الجلبة انطلقت رصاصة فأطلقت النيران من الجانبين وتفرق الأمريكيون وقد تركوا وراءهم ثمانية من القتلى . وهكذا أهدر أول دم في حرب الاستقلال الأمريكية .

وشق البريطانيون طريقهم الى كنكورد حيث « أطلق الفلاحون المناضلون » عند الجسر الشرقي « الرصاصة التي سمع دويها في العالم » . وبدأت الفصائل البريطانية تقفل راجعة بعد أن أنجزت جزءاً من مهمتها . ولكن جنود المليشيا في القرى والضياع كمنوا على طول الطريق خلف الأسوار الحجرية والروابي والبيوت واتخذوا من أصحاب الأردية الحمراء الزاهية هدفاً لهم . وكانت خسائر الجيش المتعب ، عند دخوله بوسطن متعثراً ، قد بلغت ثلاثة أمثال خسائر المستعمرات .

المؤتمر يناقش قضية الاستقلال

وكانت أنباء لكسنجتون وكنكورد قد طارت من لجنة محلية الى أخرى في المستعمرات الثلاث عشرة . وفي خلال عشرين يوماً كانت هذه الأخبار تبث روحاً مشتركة من الوطنية من مين الى جورجيا .

وبينما كانت أنباء لكسنجتون وكنكورد لا تزال تدوي ، اجتمع المؤتمر الثاني للقارة في فيلادلفيا في ١٠ مايو سنة ١٧٧٥ ، برئاسة جون هانكوك ، وهو تاجر ثري من بوسطن. كما حضر توماس جيفرسون ، والشيخ المحترم بنيامين فرانكلين . وكان قد عاد من لندن وحاول عبثاً التوفيق ، بصفته وكيلاً لعدة مستعمرات . وما كاد المؤتمر ينتظم حتى دعي لمواجهة قضية الحرب العلنية . وعلى الرغم من وجود بعض المعارضة ، فإن الاتجاه الحقيقي للمؤتمر قد تكشف بعد صدور الإعلان الذي وضعه دكنسن وجيفرسون مبينين فيه أسباب الحرب وضرورتها والذي يقول :

« إن قضيتنا عادلة ، واتحادنا كامل ، ومواردنا الداخلية عظيمة . وإذا دعت الضرورة ، فإنه يمكن الحصول على المساعدة الأجنبية بغير شك . إن السلاح الذي اضطرنا أعداؤنا الى حمله سوف نستخدمه لحفظ حرياتنا . وقد عقدنا العزم على أنه خير لنا أن نموت أحراراً من أن نعيش عبيداً » .

وفي الوقت الذي كان فيه الإعلان موضع المناقشة . ضم المؤتمر جنود المليشيا إلى قوات القارة ، وعين الكولونيل جورج وشنطن قائداً عاماً للقوات الأمريكية . غير أنه على الرغم من الاشتباك الحربي وتعيين القائد العام فإن كثيرين من أعضاء المؤتمر وقسماً كبيراً من الشعب الأمريكي ظلوا كارهين لفكرة الانفصال التام عن إنجلترا . وكان واضحاً أن المستعمرات لا يمكنها أن تظل الى الأبد تابعة للإمبراطورية من ناحية وخارجة عليها من ناحية أخرى .

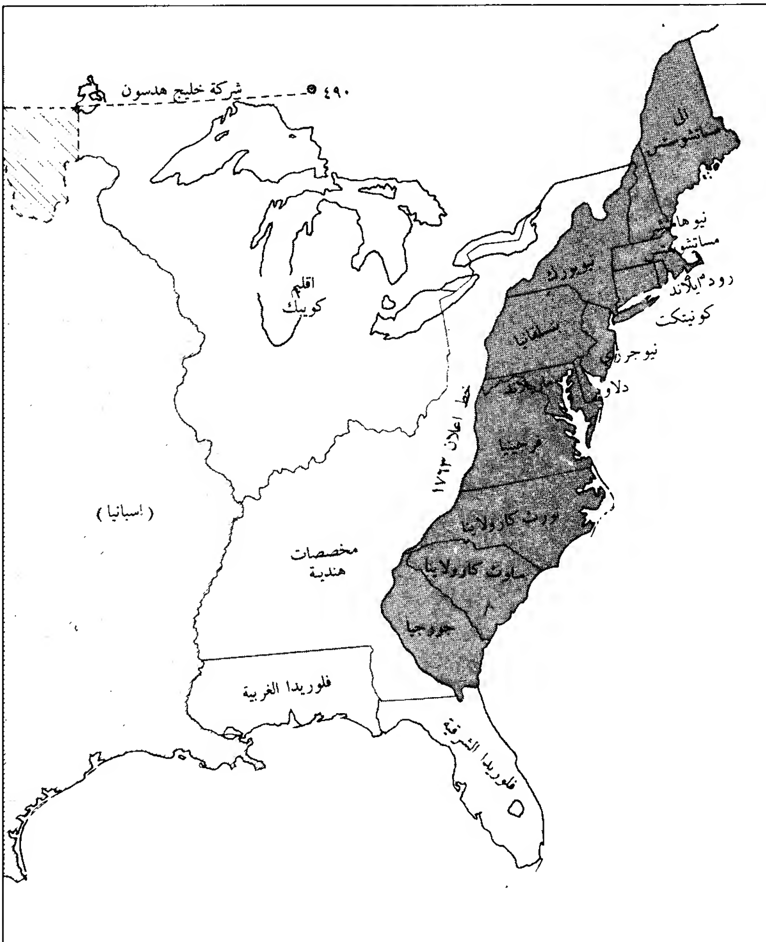
القرار الحاسم

وبمر الشهور . ظهر جلياً أنه من العسير على المستعمرات أن تستمر في الحرب وهي لا تزال جزءاً من الإمبراطورية . ولم تحاول إنجلترا الوصول الى أي اتفاق . وفي ٢٣ من أغسطس سنة ١٧٧٥ أصدر الملك جورج تصريحاً أعلن فيه أن المستعمرات في حالة عصيان . وبعد خمسة أشهر أصدر توماس بين كتابه المسمى « حسن الإدراك » في خمسين صفحة . وبأسلوب قوي مثير . أكد فيه بعبارات قاسية . ضرورة الحصول على الاستقلال وهاجم « بين » بلباقته شخصية الملك . ساخراً من فكرة الملكية المقدسة . وصرح بأن رجلاً أميناً واحداً أجدى للمجتمع من « جميع الأوغاد المتوجين الذين وجدوا على ظهر الأرض » كما أقنع الناس بأن يوازنوا بين خضوع دائم لملك طاغية وحكومة مهلهلة . وبين الحرية والسعادة في ظل جمهورية مستقلة تعتمد على نفسها . وليس هناك أي شك فيما تركه هذا الكتيب من أثر كبير في أنحاء المستعمرات إذ ساعد على بلورة العقائد ولم شعث المترددين حيال قضية الانفصال .

وإذا كان الناس قد شرعوا يعالجون فكرة الاستقلال في هدوء وأناة فقد بقيت هنالك مسألة معلقة هي الحصول على موافقة المستعمرات جميعها على إعلان الانفصال عن إنجلترا بصفة رسمية . وقد كان هناك اتفاق عام على الا يتخذ مؤتمر القارة مثل هذه الخطوة النهائية . وهي الاستقلال . دون أن يتلقى من المستعمرات تعليمات جديدة . غير ان المؤتمر كان يبلَّغ يوميا عن قيام حكومات جديدة في المستعمرات وعن مندوبين خولوا سلطة التصويت من أجل الاستقلال . وفي الوقت نفسه زادت سلطة المتطرفين « الراديكاليين » على المؤتمر . إذ توسعوا في مراسلتهم ودعموا اللجان الضعيفة . وألهبوا عقول الوطنيين بالقرارات المثيرة . وأخيراً اتخذ المؤتمر في ١٠ من مايو سنة ١٧٧٦ . قراراً بحل المشكلة . فلم يبق إلا التصريح الرسمي . وفي ٧ من يونيو قدم ريتشارد هنري من فرجينيا اقتراحاً يحبذ الاستقلال والتحالف الأجنبي والاتحاد الأمريكي . وسرعان ما شكلت لجنة لإعداد الإعلان الرسمي « يبين الأسباب التي دعت الى اتخاذ هذا القرار الخطير » . وعهد إلى هذه اللجنة ـ التي تألفت من خمسة مندوبين برئاسة توماس جيفرسون ـ إعداد الوثيقة .

المستعمرات تقر وثيقة اعلان الاستقلال

وإعلان الاستقلال الذي أقر في ٤ يوليو سنة ١٧٧٦ لم يؤذن بمولد أمة جديدة فحسب . بل وضع فلسفة الحرية البشرية التي أصبحت القوة المحركة للعالم الغربي بكامله . ولم تقم هذه الفلسفة على بيان مظالم خاصة . ولكنها قامت على قواعد واسعة للحرية الفردية التي تجد تأييداً في سائر أنحاء أمريكا . كذلك كانت فلسفته السياسية واضحة في هذا الإعلان :



المصدر : المساحة الجيولوجية الأمريكية

الانتصار على فرنسا في سنة ١٧٦٣ أعطى انجلترا ملكية مناطق شاسعة منها اقليم كويبك ، وهو المنطقة الممتـدة بين جبال الليجيني ونهر ميسيسيبي وبين فلوريدا الشرقية والغربية (تخلت عنهما انجلترا لاسبانيا في سنة ١٧٨٣) . وخوفاً من أن يثير التوسع صوب الغرب حروباً مع الهنـود الحمر ، أعلنت الحكومة البريطانية في سنة ١٧٦٣ أن جبال الليجيني هي الحد الغربي لمستعمراتها الأمريكية . وتبين الخريطة (فوق) الحالة سنة ١٧٧٥ ؛ عندما اتحدت المستعمرات الثلاث عشرة (المساحة ذات اللون القاتم) للاطاحة بالحكم البريطاني . والقسم المتوسط هو منطقة بريطانية أخرى ؛ أما القسم الى اليسار فكان يخص اسبانيا . ويشير القسم الصغير في الزاوية العليا اليسارية بخطوطه المتباعدة إلى منطقة كانت ادعت ملكيتها كل من انجلترا واسبانيا .

« إننا نؤمن بأن الناس جميعاً خلقوا سواسية . وأن خالقهم قد وهبهم حقوقاً لا تقبل المساومة ـ منها حق الحياة وحق الحرية والسعي لتحقيق السعادة . وإنما تقوم الحكومات بين الناس لضمان هذه الحقوق وتستمد سلطانها العادل من رضى المحكومين ومن حق الشعب . وأنه إذا ما قوضت الحكومة هدفاً من هذه الأهداف أصبح من حق الشعب أن يغيرها أو يلغيها ، ثم يقيم بدلاً منها حكومة يضع أسسها على المبادئ وينظم سلطانها في الصيغة التي تحقق له الأمن والسعادة » .

وكان هدف الإعلان « أبعد من مجرد إعلان عام بالانفصال » إذ ألهمت أفكاره الحماسية حماسة الجماهير الشاملة للقضية الأمريكية ، وعلم عامة الشعب الإحساس بأهميتهم وأوحى إليهم بالنضال في سبيل الحرية الشخصية . والحكم الذاتي . والحياة الكريمة في المجتمع .

استمرت الحرب الثورية أكثر من ست سنوات واشتعل القتال في كل مستعمرة ، وحتى قبل اعلان الاستقلال كانت هناك عمليات حربية دائرة كان لها تأثير هام على نتيجة الحرب . ومن أمثلة تلك العمليات سحق الملكيين في كارولينا الشمالية في فبراير سنة ١٧٧٦ . واضطرار القوات البريطانية في شهر مارس الى إخلاء بوسطن . على أن الأمريكيين قاسوا سلسلة من الهزائم الفادحة في الشهور التي تلت الاستقلال . وكانت أولى هذه الهزائم في نيويورك ، وفي معركة لونج ايلاند كان مركز وشنطن قد أصبح حرجاً جداً فقام بحركة تقهقر سريعة بارعة مستخدماً عدداً من السفن الصغيرة ، من بروكلين الى شاطئ مانهاتن ، ولحسن الحظ كانت الرياح شمالية . ولم تستطع السفن الحربية البريطانية الصعود في نهر إيست . ويبدو أن الجنرال وليم هاو كان يجهل مجرى الأمور ، فأضاع أثمن فرصة لديه لضرب القضية الأمريكية ضربة قاسية قاضية ربما كانت قد أنهت الحرب . وإذا كان وشنطن قد اضطر الى التقهقر باستمرار فإنه استطاع أن يحتفظ بقواته سليمة الى درجة ما حتى نهاية العام . ثم أحيت الانتصارات الهامة في موقعتي ترنتون وبرنستون آمال المستعمرات . غير أن الكارثة وقعت مرة أخرى . إذ استولى هاو في سبتمبر سنة ١٧٧٧ ، على فيلادلفيا ، وولى الكونجرس هارباً ، تاركاً وشنطن يقضي الشتاء مع رجاله في وادي فورج .

على أن عام ١٧٧٧ قد شهد كذلك أعظم الانتصارات الأمريكية في الحرب . وكان ذلك بمثابة نقطة التحول في الثورة من الناحية الحربية ، إذ تحرك القائد البريطاني برجوين من كندا جنوباً على رأس قوة تهدف الى الاستيلاء على خط بحيرة شاملين ـ نهر هدسن ، لعزل نيوإنجلند عن المستعمرات الأخرى عزلاً تاماً . وقد وصل الى نهر الهدسن الأعلى حيث اضطر الى انتظار المؤن والمعدات حتى منتصف سبتمبر .

وقد صور له جهله بجغرافية أمريكا أنه من اليسير على قوة مغيرة السير عبر همشاير جرانتس (فرمونت) جنوباً على امتداد نهر كونيكتكت ، ثم تعود في مدى أسبوعين ومعها الاحصنة للفرسان والأبقار والماشية لجر العربات التي يستخدمها جيشه . وقد اختار

لهذه الحملة ٣٧٥ من الجنود المرتزقة الذين اشتهروا باسم الهيسيين وحوالي ثلاثمائة رجل من الكنديين والهنود ، غير أنهم لم يبلغوا حتى خط فرمونت . إذ التقوا برجال المليشيا قرب بيننجتون ولم يرجع إلا قليل من الهيسيين .

وقد جمعت معركة بيننجتون (فرمونت) شمل معظم الشعب المحارب في شمال نيوإنجلند ، كما أدى تأخير برجوين الى تمكين وشنطن من إرسال قوات نظامية من الهدسن الأسفل . وفي الوقت الذي استطاع فيه برجوين أخيراً أن يحرك قواته المبعثرة السيئة النظام ، كان جيش الجنرال جيتس في انتظاره . وقد صد الأمريكيون هجومين قام بهما برجوين ، وارتد البريطانيون إلى ساراتوجا . وفي ١٧ من اكتوبر سنة ١٧٧٧ سلّم برجوين مع جيشه . وهذه الضربة القاصمة في الحرب . جلبت فرنسا الى الجانب الأمريكي .

المستعمرات تحقق النصر والحرية

ومنذ الوقت الذي تم فيه التوقيع على وثيقة اعلان الاستقلال لم تعد فرنسا تقف على الحياد . فقد كانت الحكومة تواقة لأن تنتقم من انجلترا للهزيمة التي منيت بها فرنسا في سنة ١٧٦٣ . ثم ان تحمسها للقضية الأمريكية كان شديداً ، اذ كانت افكار الفرنسيين نفسها ثائرة على النظام الاقطاعي والامتيازات . وعلى الرغم من استقبال بنيامين فرانكلين الحار في البلاط الفرنسي ، وبالرغم من مساعدتها للولايات المتحدة بالذخيرة والمؤن ، فقد احجمت عن التدخل المباشر في حرب علنية ضد انجلترا .

على ان فرانكلين استطاع بعد تسليم برجوين ، ان يعقد معها معاهدات تجارية ومحالفات . بل ان كثيراً من المتطوعين الفرنسيين كانوا قد ابحروا الى امريكا قبل ذلك . وكان من أبرز هؤلاء المتطوعين المركيز دي لافاييت ، وهو ضابط شاب في الجيش الفرنسي ذهب في شتاء ١٧٧٩ ـ ١٧٨٠ الى فرساي وحض حكومته على أن تبذل جهداً حقيقياً لإنهاء الحرب . وعقب ذلك أرسل لويس السادس عشر حملة مكونة من ٦٫٠٠٠ رجل بقيادة الجنرال روشامبو ، وإلى جانب ذلك زادت الأساطيل الفرنسية كثيراً من متاعب البريطانيين في تزويد جيوشهم بالمؤن والإمدادات ، وتكبدت التجارة البريطانية خسائر فادحة بسبب السفن الفرنسية والأمريكية الخاصة التي كانت تخترق منطقة الحصار .

وفي سنة ١٧٧٨ اضطرت القوات البريطانية الى إخلاء فيلادلفيا بسبب تهديد الأسطول الفرنسي . وفي السنة نفسها أكدت سلسلة الهزائم التي نزلت بالإنجليز في وادي أوهايو سلطة الأمريكيين على الشمال الغربي . إلا أنهم استمروا يحاربون في الجنوب واستولوا في أوائل سنة ١٧٨٠ على تشارلستن ـ وهي الميناء الرئيسي في الجنوب ـ واجتاحوا مقاطعة كارولينا . وفي العام التالي حاولوا فتح فرجينيا . ولكن الاسطول الفرنسي الذي تم له الإشراف المؤقت في صيف ذلك العام على المياه الساحلية الأمريكية . قام بنقل قوات وشنطن وروشامبو بالسفن الى خليج تشيزابيك . وطوقت قواتهم المتحالفة وقدرها

١٥,٠٠٠ رجل، جيش اللورد كورنواليس الذي بلغ عدده ٨,٠٠٠ رجل، عند يورك تاون على ساحل فرجينيا. وفي أكتوبر سنة ١٧٨١ سلم كورنواليس.

وحينما وصلت أوروبا أنباء الانتصار الأمريكي في معركة يورك تاون وافق مجلس العموم على إنهاء الحرب. وقد بدأت مفاوضات الصلح في أبريل سنة ١٧٨٢، واستمرت حتى نهاية شهر نوفمبر حينما وقعت معاهدات مبدئية مع الحكومة البريطانية. على أن هذه المعاهدات لم تصبح نافذة المفعول إلا بعد أن عقدت فرنسا معاهدة الصلح مع بريطانيا العظمى. وفي سنة ١٧٨٣ وقعت تلك المعاهدات بصفة نهائية. واعترفت تسوية الصلح باستقلال الولايات المتحدة الثلاث عشرة وحريتها وسيادتها. كما منحتها الأراضي التي كانت تطمع فيها، وهي الأراضي الواقعة غربي المسيسيبي حتى الحدود الشمالية كما هي عليه الآن. على أن يوصي الكونجرس الولايات بإعادة الأملاك التي صادرتها من الأمريكيين الموالين لانجلترا إلى أصحابها.

تأليف الحكومة الوطنية

« ان الحكم الذاتي حق لكل فرد
ولكل جماعة من الناس »

توماس جيفرسون . ١٧٩٠

أتاح نجاح الثورة للأمريكيين الفرصة ليضعوا مثلهم السياسية التي أوضحوها في وثيقة إعلان الاستقلال في الصيغة القانونية . وقد تعود الأمريكيون اليوم أن يعيشوا في ظل الدساتير المكتوبة لدرجة أنهم يعتبرونها شيئاً مفروغاً منه يقبلونه بلا مناقشة . ومع ذلك فإن الدستور المكتوب قد تطور في أمريكا ويعتبر من أقدم الدساتير في التاريخ . وقد كتب جون آدمز ثاني رؤساء الولايات المتحدة يقول :

« إن الدستور هو المرجع النهائي في كل دولة حرة » . وكان الأمريكيون في كل مكان يطالبون « بقانون قائم يعيشون في ظله » .

وفي ١٠ مايو سنة ١٧٧٦ أصدر الكونجرس قراراً ينصح فيه المستعمرات بتشكيل حكومات جديدة « تكفل للأهالي السعادة والسلامة » . وكانت بعض الولايات قد لبت الدعوة ، وفي خلال العام الذي تلى إعلان الاستقلال وضعت جميع الولايات ــ عدا ثلاث منها ــ دستوراً جديداً .

وقد اوضحت معظم الدساتير الجديدة مدى تأثير الأفكار الديمقراطية . ولو أن دستوراً منها لم يقطع صلته بالماضي تماماً . إذ وضعت كلها على أساس متين من خبرتهم أيام الاستعمار . وعلى أساس الأساليب الإنجليزية والفلسفة السياسية الفرنسية . ولم تتم الثورة فعلاً إلا بعد وضع هذه الدساتير . وكان الغرض الأول الذي رمى إليه واضعوهذه الدساتير ــ بطبيعة الحال ــ هو المحافظة على « تلك الحقوق الثابتة » التي كان انتهاكها قد أدى بالمستعمرات السابقة الى إنكار علاقتها بإنجلترا . وكان من أثر ذلك أن استهل كل دستور مواده بإعلان قانون الحقوق . واشتمل دستور فرجينيا ــ الذي كان نموذجاً نسجت على منواله بقية الدساتير ــ على بعض المبادئ مثل السيادة الشعبية . والتناوب في الوظائف . وحرية الانتخاب . وتعديد الحريات الأساسية . والكفالات المعقولة . والعقوبات الإنسانية . ونظام المليشيا بدل الجيش النظامي ، والمحاكمات السريعة بواسطة هيئة المحلفين ، وحرية الصحافة ، وحرية الضمير ، وحق الأغلبية في إصلاح الحكومة أو تغييرها . وتحريم أوامر القبض العامة .

وقد قامت الولايات الأخرى بتوسيع نطاق هذه المبادئ ، حتى شملت حرية الرأي ، والاجتماع ، والالتماس.وحمل السلاح . وعدم حبس الشخص قبل محاكمته ، وعدم انتهاك حرمة المساكن ، والمساواة في الحماية أمام القانون . أضف إلى ذلك أن دساتير الولايات المتحدة كلها كانت تتمسك بنظرية السلطات الثلاث ـ التنفيذية والتشريعية والقضائية ـ التي توازن بعضها البعض الآخر وتخضع كل منها لرقابة غيرها من السلطات .

وبينما كانت المستعمرات الأصلية الثلاث عشرة تتحول إلى ولايات وتهيئ نفسها لأحوال الاستقلال ، قامت هناك ولايات جديدة في المساحات الواسعة الممتدة غربي المستعمرات الساحلية . فلقد تدفق غربي جبال الآبلاش الرواد الذين استهواهم الخصب الوفير في تلك البقاع . ولم تحل سنة ١٧٧٥ حتى كانت تلك الأماكن الشاسعة البعيدة عن العمران على طول الطرق المائية قد ازدحمت بعشرات الآلاف من المستوطنين الجدد . ولما كانت هذه الأماكن تبعد مئات الكيلومترات عن مراكز السلطة السياسية في الشرق وتفصلها عنها سلاسل الجبال ، أقام السكان حكومات خاصة بهم . كما انساب المستعمرون من الولايات الساحلية الأصلية الى أودية الأنهار الخصيبة ، والغابات ذات الأخشاب الصلبة ، والبراري الشاسعة . ولم يأت عام ١٧٩٠ حتى كان تعداد السكان عبر جبال الآبلاش يربو على مائة وعشرين ألف نسمة .

مشكلات تواجه الامة الجديدة

وبانتهاء الثورة كان على الولايات المتحدة ان تواجه مرة اخرى المسألة الغربية التي بقيت بغير حل : مشكلة « الامبراطورية » بما يكتنفها من مشكلات خاصة بالأراضي وتجارة الفراء والهنود ومشاكل الاستيطان ، وحكم المقاطعات التابعة . وكان لعدد من المستعمرات قبل الحرب حقوق واسعة ومتشابكة في كثير من الأحيان في الأراضي الواقعة فيما وراء جبال الآبلاش . وكانت تلك الحقوق التي تخول هذه الولايات الحصول على هذه المساحات الغنية تبدو غير عادلة في نظر الولايات الأخرى التي ليس لها مثل هذه الحقوق في الغرب . ولقد تقدمت ماريلاند ـ وهي الناطقة بلسان الجماعة الأخيرة ـ باقتراح يرمي الى اعتبار الأراضي الغربية ممتلكات عامة يقسمها الكونجرس إلى حكومات حرة مستقلة . ولكن الفكرة لم تقابل بحماسة ، ورغم ذلك فإنه في سنة ١٧٨٠ تنازلت نيويورك عن مطالبها للولايات المتحدة ، وبذلك كانت قدوة لغيرها في هذا المضمار . وسرعان ما حذت المستعمرات الاخرى حذوها . فلم تنته الحرب حتى بدا أن الكونجرس سيمتلك جميع الأراضي الواقعة شمال نهر أوهايو وكذلك الأراضي التي تقع غربي جبال الليجني . وكان الاشتراك في امتلاك هذه الملايين من الأفدنة أقوى دليل على القومية والوحدة اللتين قامتا خلال هذه الأعوام المضطربة ، كما أضفى معنى معيناً على فكرة السيادة الوطنية . ومع ذلك فإن هذه المسألة كانت في الوقت ذاته بحاجة ملحة لحل سريع .

وقد أمكن الوصول الى هذا الحل في مواد دستور جامعة الولايات ، وهو الاتفاق الرسمي الذي كان قد وحد المستعمرات منذ سنة ١٧٨١ توحيداً مبدئياً . وبمقتضى هــذه المواد نجد نظاماً من نظم الحكم الذاتي المحدود (نص عليه قانون الشمال الغربي لسنة ١٧٨٧) قد اقيم لتنظيم المقاطعة الشمالية الغربية باعتبارها قسماً واحـداً يحكمه حاكم وقضاة يعينهم الكونجرس . حتى إذا اشتمل هذا الإقليم على خمسة آلاف من الذكور الذين بلغوا سن الاقتراع أصبح أهلاً لأن تكون له هيئة تشريعية تتألف من مجلسين وأن ينتخب بنفسه اعضاء المجلس الأصغر . أضف إلى ذلك أن هذا الإقليم كان يستطيع في ذلك الوقت أن يوفد الى الكونجرس مندوباً ليس له حق التصويت .

واشترط أن لا تتكون في هذا الإقليم أكثر من خمس ولايات أو أقل من ثلاث . وكلما اشتملت إحدى هذه الولايات على ستين ألفاً من المواطنين الأحرار سمــح لهــم بالانضمام الى الاتحاد وأن تكون ولايتهم على قدم المساواة مع الولايات الأصلية من جميع الوجوه . وقد « كفلت المواد الست التي يتألف منها الاتفاق المبرم بين الولايــات الأصلية وبين ولايات الإقليم السابق الذكر وسكانه » الحقوق المدنية والحريات ، كمــا شجعت التعليم ونصت على « أنه لن يكون ثمة رق أو سخرة في الإقليم المذكور » .

وهكذا بدأت سياسة جديدة مختصة بالمستعمرات تقوم على مبـدأ المساواة . وقد نبذت هذه السياسة الجديدة المبدأ الذي قدسته الأجيال المتعاقبة طوال الزمن والذي ينادي بأن المستعمرات إنما وجدت لمصلحة الأمم الكبرى وأنها خاضعة لها سياسياً وأقل منهــا شأناً من الناحية الاجتماعية . وقد حــل محل هذا المبدأ الرأي القائل بان المستعمرات ما هي إلاّ امتداد لاتساع رقعة أراضي الأمة وأنها أهل لأن تتمتع بجميع مزايا المساواة على أنها حق وليست امتيازاً . وقد وضعت شروط هذا القانون المستنير الأساس الدائم للنظام الإقليمي الأمريكي كما أنها ساعدت الولايات المتحـدة على أن تمد رقعتها غرباً الى المحيط الهــادي وعلى أن تنمو وتتسع في شيء من العسر الطفيف من ثلاث عشرة ولايــة الى خمسين ولاية .

ولكن مواد هذا التحالف لم تنجح لسوء الحظ في حــل المشاكل الأخرى . فمن قصورها الواضح ما كان من إخفاقها في تهيئة حكومة وطنية حقيقية للثلاث عشــرة ولاية التي كانت تتجه لتجاهاً قوياً نحو الاتحاد منذ أن اجتمع نوابها للمرة الأولى في المؤتمر العام للقارة الذي انعقد في سنة ١٧٧٤ لحماية حرياتها من اعتداء السلطات البريطانية .

مفهوم جديد للنظام الحكومي

ولقد ترك الضغط الناجم عن صراعها مع إنجلترا أثراً في تغيير هذا الموقف الــذي وقفته قبل ذلك بعشرين عاماً حينما رفضت الجمعيات الاستعمارية مشروع اتحاد ألباني . فحين ذلك رفضت المستعمرات التنازل عن أي قسط ــ مهما كان صغيراً ــ من الحكم

الذاتي الى أية هيئة ولوكانت من انتخابها . ولكن المساعدة المشتركة في أثناء الثورة كانت ذات أثر عظيم . ولذلك قل الخوف من التنازل عن السلطة الفردية في بعض النواحي إلى حد كبير .

وفي سنة ١٧٨١ دخلت هذه المواد في دور التنفيذ . ومع أنها كانت تعتبر بالنسبة الى النظام المفكك الذي أقامه الكونجرس أكثر تقدماً . فإن النظام الحكومي الذي أقامت المواد بنيانه . كانت تشوبه مواطن ضعف كثيرة . فقام النزاع على تعيين الحدود . وكانت المحاكم تصدر أحكاماً تتضارب بعضها مع بعض . كما أن المجالس التشريعية في مساتشوستس ونيويورك وبنسلفانيا قد سنت من الشرائع الجمركية ما أضر بجاراتها الصغيرة . كما ولدت القيود التي فرضت على التجارة بين الولايات شعوراً معادياً . فلم يستطع رجال نيوجرسي مثلاً أن يعبروا نهر هدسن لبيع الخضر في أسواق نيويورك دون أن يدفعوا رسوماً باهظة للدخول أو للتخليص على بضائعهم .

كان ينبغي أن يكون لدى الحكومة الوطنية القدرة على فرض ما تراه ضرورياً من الرسوم . وأن تنظم التجارة . أو فرض الضرائب للأغراض الوطنية . وكذلك كان ينبغي أن يكون لها وحدها حق الاشراف على العلاقات الدولية . ولكن بعض الولايات كانت قد بدأت تتفاوض بصورة مستقلة مع الأمم الأجنبية . وقد نظمت تسع ولايات جيوشها الخاصة . وامتلك عدد منها أساطيل صغيرة . وكان هناك خليط عجيب من العملة كما كان هناك اختلاف يثير الحيرة في أوراق النقد الوطنية . وتلك الخاصة بالولايات . وكانت قيمتها تهبط بسرعة .

ولقد سببت الصعوبات الاقتصادية التي نجمت عن الحرب ـ الى جانب ما تقدم ـ تذمراً بين الفلاحين بصفة خاصة . فأخذت المحاصيل الزراعية تزيد عن حاجة الأسواق . وظهر القلق العام بصفة خاصة بين المدنيين من الفلاحين الذين طالبوا بإجراءات حاسمة تكفل لهم الاحتفاظ بممتلكاتهم المرهونة . وتجنبهم الحبس وفاء لديونهم . وشغلت المحاكم بقضايا الديون . وفي صيف سنة ١٧٨٦ طالبت المؤتمرات الشعبية والجماعات غير الرسمية في كثير من الولايات بإصلاح النظم الإدارية في الولايات . كما لجأ كثير من صغار الملاك إلى العنف حينما تعرضوا للسجن بسبب ما عليهم من ديون وفقدانهم الضياع التي ورثوها عن أجدادهم .

وفي خريف عام ١٧٨٦ . بدأت جماعات من الفلاحين في مساتشوستس . بزعامة ضابط يسمى « دانييل شيز » تحول بالقوة دون انعقاد محاكم المقاطعات للنظر في القضايا الخاصة بالديون . في انتظار الانتخاب التالي للولاية . ولكن حكومة الولاية قابلت تلك الجماعات بالعنف . وبدا لبعض الوقت ان صغار الملاك الثائرين قد يحاصرون دار الحكومة في بوسطن . ولكن رجال المليشيا ردوا على الثوار المسلحين فتفرقوا بين التلال . ولم يقدر المجلس التشريعي عدالة المظالم التي أدت الى الثورة إلا بعد إخمادها . وعندئذ راح يتخذ التدابير لعلاجها .

وفي هذا الوقت كتب وشنطن أن الولايات لم يكن يربط بعضها ببعض إلا « حبـل من الرمال » . وأن كرامة الكونجرس قد هوت وتدهورت . وأدى النزاع على الملاحة في نهر بوتوماك بين ماريلاند وفرجينيا الى عقد مؤتمر من ممثلي خمس ولايات في آنا بوليس في سنة ١٧٨٦ . ولقد أقنع أحد هؤلاء الممثلين . واسمه الكسندر هاملتون . زملاءه بأن التجارة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمسائل أخرى كثيرة ، وأن الموقف من الخطورة بحيث لا يمكن علاجه على يد جمعية غير ممثلة تمثيلاً صادقاً . وحث المجتمعين على أن يطلبوا إلى جميع الولايات تعيين ممثلين للولايات المتحدة و « لوضع النصوص الضرورية التي تجعل دستور الحكومة الاتحادية مناسباً لحاجات هذا الاتحاد » . واعترض مؤتمر القـارة في أول الأمر على هذه الخطوة الجريئة . ولكن الأنباء التي تواترت بأن فرجينيا انتخبت جورج وشنطن مندوباً عنها قضت على اعتراضاته . ثم أجريت الانتخابات في جميع الولايات . فيما عدا « رود أيلاند » . في خلال الخريف والشتاء التاليين .

كان ذلك اجتماعاً ضم الأشراف الذين اجتمعوا في صورة المؤتمر الاتحادي في دار الحكومة في فيلادلفيا في شهر مايو سنة ١٧٨٧ . وقد أرسلت مجالس الولايات التشريعية زعماء من ذوي الخبرة والمران في حكومات المستعمرات والولايات . وفي الكونجرس وساحة القضاء والحرب . ولقد اختير جورج وشنطن رئيساً للمؤتمر . وكانت البـلاد قاطبة تعده المواطن البارز . وذلك لزعامته الحربية في أثناء الثورة ولنزاهته وسمعتـه . أما بنيامين فرانكلين الذي امتاز بالحكمة والمران وبعد النظر ــ وكان قد بلغ الحادية والثمانين إذ ذاك ــ فقد ترك النقاش للشباب . ولكن روحه الرقيقة وخبرته الدبلوماسية الواسعة ساعدتا على تذليل الكثير من الصعاب التي قامت بين النواب الآخرين . ومن أبرز الأعضاء الذين تميزوا بالنشاط الوفير الحاكم موريس الذي امتاز بالقدرة والجرأة ــ والذي ظهر له أن الحاجة أصبحت تستدعي قيام حكومة وطنية . وجيمس ويلسن الذي كان يعمـل ايضاً دون ملل في سبيل الفكرة الوطنية . وأتى من فرجينيا جيمس ماديسون وكـان شاباً من السياسيين العمليين وعالماً حاذقاً في السياسة والتاريخ . وكان كما يقول أحـد زملائه : « أفضل الرجال معرفة في كل ما يعرض أثناء المناقشات من موضوعـات نتيجـة مثابرته واجتهاده » .

وأرسلت مساتشوستس روفوس كنج . وإيلبريدج جيري وهما من الشبان ذوي الخبرة والمقدرة . كما كان رودجير شيرمان ــ صانع الأحذية الذي أصبح قاضياً ــ أحد ممثلي كونيكتكت . وحضر من نيويورك ألكسندر هاملتون الذي ذاعت شهرته ولم يتجاوز الثلاثين . وكان توماس جيفرسون أحد عظماء الأمريكيين القلائل الذين تخلفوا عن المؤتمر ، إذ كان وقتئذ في فرنسا في مهمة حكومية . وكان الشباب سائداً بين النواب الخمسة والخمسين . إذ كان معدل أعمارهم اثنتين وأربعين سنة فقط .

ولم يخول المؤتمر إلا سلطة تعديل مواد دستور جامعة الولايات . ولكن النواب كما كتب ماديسون فيما بعد « ثقة منهم ببلادهم . طرحوا مواد الدستور جانباً في بساطـة

تامة » وساروا قدماً في سبيل إيجاد نظام جديد للحكومة . واعترف النواب في عملهم بأن الحاجة الملحة كانت هي التوفيق بين قوتين مختلفتين : سلطة الرقابة المحلية التي كانت تمارسها الولايات الثلاث عشرة شبه المستقلة من ناحية . وسلطة الحكومة المركزية من ناحية أخرى . فاختاروا الرأي القائل بأن اختصاصات الحكومة الوطنية وسلطانها يجب أن تكون محدودة مقررة في دقة وعناية . وذلك لكونها جديدة وعامة وشاملة . أما ما عدا ذلك من سلطات واختصاصات أخرى فإنها من حق الولايات . ومع ذلك فإنهم اعترفوا بضرورة منح الحكومة الوطنية سلطة حقيقية أوفى . ثم قبلوا بوجه عام فكرة تخويل الحكومة الوطنية حق سك النقود . وتنظيم التجارة ، واعلان الحرب وعقد الصلح .

الزعماء يحبذون فصل السلطات

وكان ساسة القرن الثامن عشر الذين اجتمعوا في فيلادلفيا من أنصار نظرية مونتيسكيو . وهي نظرية توازن القوى في السياسة . هذا المبدأ الذي كان من الطبيعي أن تؤيده الخبرة الاستعمارية وتدعمه كتابات « لوك » التي كان يعرفها معظم النواب . ولقد أدت هذه التأثيرات الى إدراك ما تقضي به الضرورة من قيام ثلاثة فروع متساوية ومتناسقة للحكومة . وأن تضبط السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية وتحكم ، بحيث تضمن توافر الانسجام في العمل جميعاً. وبحيث لا تطغى إحداها على الاخرى. وقد وافق النواب على أن الهيئة التشريعية يجب أن تتألف من مجلسين شأنها في ذلك شأن المجالس التشريعية في الولايات والبرلمان الإنجليزي .

وقد كانت هذه الآراء العامة متفقاً عليها ، بيد أن التضارب الشديد بين المجتمعين قد نشأ فيما يتعلق بالطرق التي تؤدي الى بلوغ هذه الأهداف المنشودة . فقد اعترض ممثلو الولايات الصغيرة ــ كنيوجرسي مثلاً ــ على التغييرات التي قد تحد من نفوذها في الحكومة الاتحادية ، بجعل التمثيل قائماً على عدد السكان فيها لا على اعتبارها ولاية كما ورد في مواد دستور الجامعة . ومن ناحية أخرى كان ممثلو الولايات الكبرى ــ كولاية فرجينيا ــ يدلون بالحجج الدامغة في صالح التمثيل النسبي . ولقد خشي أن يستمر الجدل حول هذه المسألة ويطول الى ما لا نهاية ، فتقدم مندوب كونيكتكت بمشروع نص فيه على أن يكون التمثيل في أحد مجلسي الكونجرس بالنسبة لعدد سكان الولاية ، وأن يكون متساوياً في المجلس الآخر. وعندئذ حلت المشكلة التي قامت بين الولايات الكبيرة والصغيرة .

ومع ذلك أثارت كل مسألة تقريباً من المسائل التي جاءت بعد ذلك مشاكل جديدة لا تكاد تحل إلا عن طريق تسوية جديدة ، إذ كان بعض الأعضاء لا يرغبون في أن ينتخب الشعب أي فرع من فروع الحكومة الاتحادية انتخاباً مباشراً ، على حين أن غيرهم كانوا يفكرون في ضرورة التوسع في قاعدة الانتخاب بقدر الإمكان . وأراد بعض النواب استبعاد الغرب الذي كان آخذاً في النمو والتقدم من التمتع بحقوق

الولايات ، بينما راح الآخرون يدافعون عن مبدأ المساواة الذي اقره قانون ١٧٨٧ . ولم يكن هناك خلاف خطير في الرأي على المسائل الاقتصادية الوطنية مثل أوراق النقد ، والقوانين التي تعطل من قوة الالتزامات التعاقدية ـ غير أنه كانت هناك حاجة الى الموازنة بين المصالح الاقتصادية المحلية التي تمتاز بها كل ولاية . وكذلك الى الحد من المناقشات الحامية حول سلطات الهيئة التنفيذية وأجلها ونظام اختيارها . وإلى حل المشاكل المتعلقة بمدة خدمة القضاة وبنوع المحاكم التي يجب أن تؤسس .

وقد عمل المؤتمر خلال صيف فيلادلفيا الحار ، على حل المشاكل في عزم وقــوة حتى استطاع آخر الأمر أن يصوغ ـ في وثيقة قصيرة ـ قانوناً مرضياً يشتمل على أعقــد الأنظمة الحكومية التي وضعها الانسان حتى ذلك الوقت . فهي حكومة تتمتع بسلطة عليا في دائرة اختصاصها . ولكن هذه السلطة إنما تقع في داخل نطاق واضح محدود . وكما وضح التعديل العاشر في سنة ١٧٩١ « فإن السلطات التي لم يخولها الدستور للولايات المتحدة والتي لم يحظرها على الولايات ، قد حفظت للولايات أو للشعب » ، وقصر سيادة القوانين الاتحادية « على ما كان منها مطابقاً للدستور » .

وقد منح المؤتمر الحكومة الاتحادية الى جانب السلطات التي خولها إياها سلطـة فرض الضرائب ، وعقد القروض المالية ، وفرض الرسوم الجمركية ، ورسوم الإنتاج . كما منحها سلطة سك العملة ، وضبط الموازين والمكاييل ، ومنح براءات الاختـراع وحقوق التأليف ، وإنشاء مكاتب البريد وطرق البريد . كما خولها سلطــة تعبئة الجيوش وإعداد الاسطول والاحتفاظ بهما وتنظيم التجارة بين الولايات . ومنحها جميع وسائل الإشراف على العلاقات الهندية والعلاقات الدولية وشؤون الحرب . ولها حق سن القوانين الخاصة بمنح الأجانب حقوق الجنسية ، والإشراف على الأراضي العامة . ومن سلطتها أيضاً الاعتراف بالولايات الجديدة على أساس المساواة التامة بغيرها من الولايات القديمة . وبفضل السلطة التي تخولها سن ما تراه ضرورياً من قوانين لتنفيذ سلطاتها المحددة اصبحت الحكومة الاتحادية مرنة مرونة تكفيها لمواجهة مقتضيات الأجيال القادمة ، وتأمــين حاجات الدولة الآخذة في الاتساع .

امتحان المبادئ الجديدة

لقد جرب مبدأ فصل السلطات ، الذي كان مألوفاً في معظم حكومات المستعمرات في كثير من دساتير الولايات وثبتت صلاحيته تماماً . وهكذا أنشأ المؤتمر نظاماً حكومياً ذا سلطات ثلاث منفصلة ـ تشريعية وتنفيذية وقضائية ـ تشرف كل منها على غيرها . ولم تكن قرارات الكونجرس لتصبح قانوناً إلا بعد أن يوافق الرئيس عليها . وعلى الرئيس أن يعرض على مجلس الشيوخ أهم تعييناته وكل ما يعقد من معاهدات للموافقة عليها . وللسلطة القضائية أن تبحث في القضايا التي تنشأ عن تطبيق القانون والدستور . وعـلى

ذلك خولت المحاكم التي كانت تتمتع بنفوذ كبير سلطة تفسير كل من القانون الأساسي والقانون المدوّن . غير أنه كان للكونجرس أن يناقش السلطة القضائية الحساب . وهي السلطة التي يعينها الرئيس ويوافق على تعيينها مجلس الشيوخ .

ورغبة في حماية الدستور من التبديل السيئ . أضيفت المادة الخامسة التي تنص على أنه يمكن إما لثلثي أعضاء مجلس الكونجرس أو لثلثي ممثلي الولايات مجتمعين على هيئة مؤتمر . اقتراح التعديلات الخاصة بالدستور وأن تصبح الاقتراحات قانوناً بإحدى طريقتين : إما بمصادقة المجالس التشريعية لثلاثة أرباع الولايات . أو عن طريق مؤتمر يضم ممثلي ثلاثة أرباع هذه الولايات ويقترح الكونجرس طريقة منها .

وأخيراً واجه المؤتمر أهم مشكلة عرفها . ألا وهي طريقة تنفيذ السلطات المخولة للحكومة الجديدة . وكانت الحكومات الوطنية تملك نظرياً ـ في ظل مواد دستور الاتحاد ـ سلطات كبيرة . وإن كانت غير كافية تماماً . غير أن هذه السلطات كانت عديمة الفائدة من الناحية العملية . لأن الولايات لم تكن توليها عناية أو اهتماماً . فما الذي ينقذ الحكومة الجديدة من مواجهة العقبة نفسها ؟ لم يقترح معظم المندوبين منذ البداية إلا جواباً واحداً وهو استخدام القوة . ولكن سرعان ما ظهر أن استخدام القوة مع الولايات قد يقوض أركان الوحدة . وتقرر ألا تفرض الحكومة سلطتها على الولايات . بل على الشعوب التي تعيش في هذه الولايات . وقد وافق المؤتمر على إجراء موجز عظيم القيمة يعتبر بمثابة حجر الزاوية للدستور :

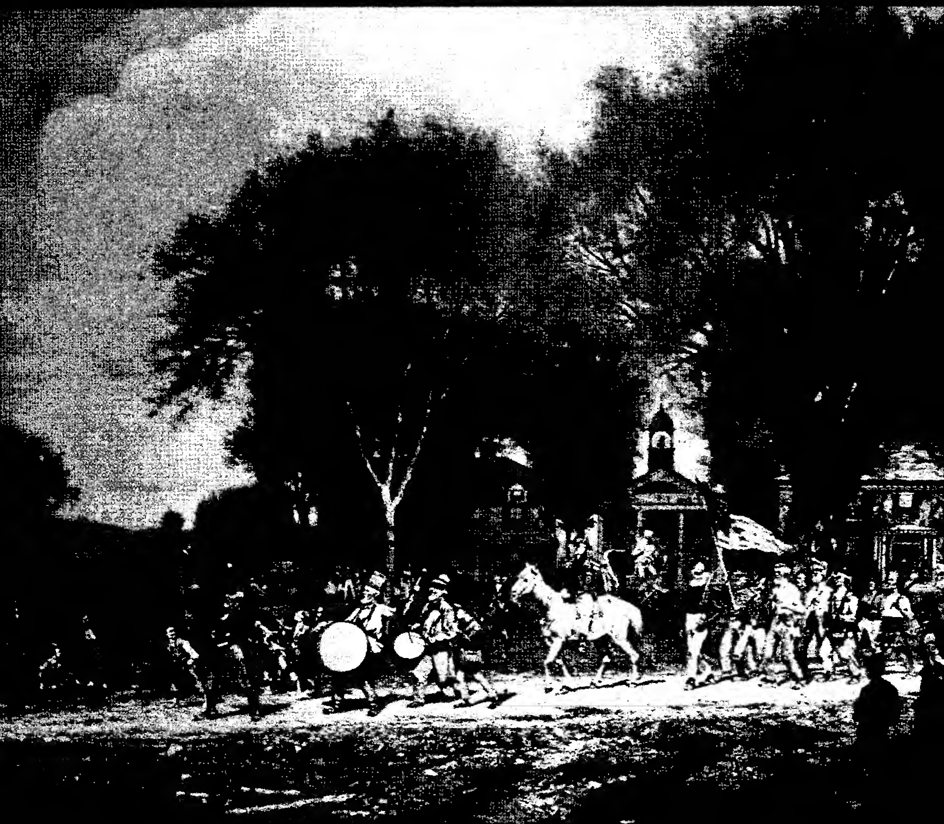
« للكونجرس سلطة سن القوانين الضرورية والملائمة لتنفيذ السلطات التي منحها هذا الدستور لحكومة الولايات المتحدة » . (مادة ١ فقرة ٨) .

« وهذا الدستور وقوانين الولايات المتحدة التي تسن طبقاً له . وكل المعاهدات المبرمة . والتي ستبرم في ظل سلطة الولايات المتحدة . ينبغي أن تكون القانون الأعلى للبلاد . وعلى القضاة في كل ولاية أن يتقيدوا به بصرف النظر عما يخالف ذلك في دستور أو قوانين أية ولاية » . (مادة ٦) .

وعلى هذا أصبحت قوانين الولايات المتحدة نافذة في جميع محاكمها الوطنية عن طريق قضاتها وموظفيها . كما تنفذ أيضاً في محاكم الولايات بواسطة قضاة الولاية حَفَظة القانون فيها .

وبعد ستة عشر أسبوعاً انقضت في تبادل الآراء والتمعن والروية . وقع الدستور الذي تم إنجازه في ١٧ من سبتمبر سنة ١٧٨٧ . وذلك بإجماع آراء ممثلي الولايات الحاضرين . وجلس وشنطن والنواب . وقد تأثروا برهبة الموقف . غارقين في تأملات عميقة . ولكن فرانكلين خفف من حدة هذا التوتر بفكاهة مرحة . عندما لاحظ وهو يشير الى نصف قرص الشمس المرسوم باللون الذهبي وراء مقعد وشنطن . وقال :

« طالما كنت أنظر وأمعن النظر في أثناء انعقاد المؤتمر وفي أثناء تقلبات آمالي ومخاوفي بالنسبة لنتيجته . إلى هذا القرص خلف الرئيس ، دون أن أستطيع التثبت مما إذا كان

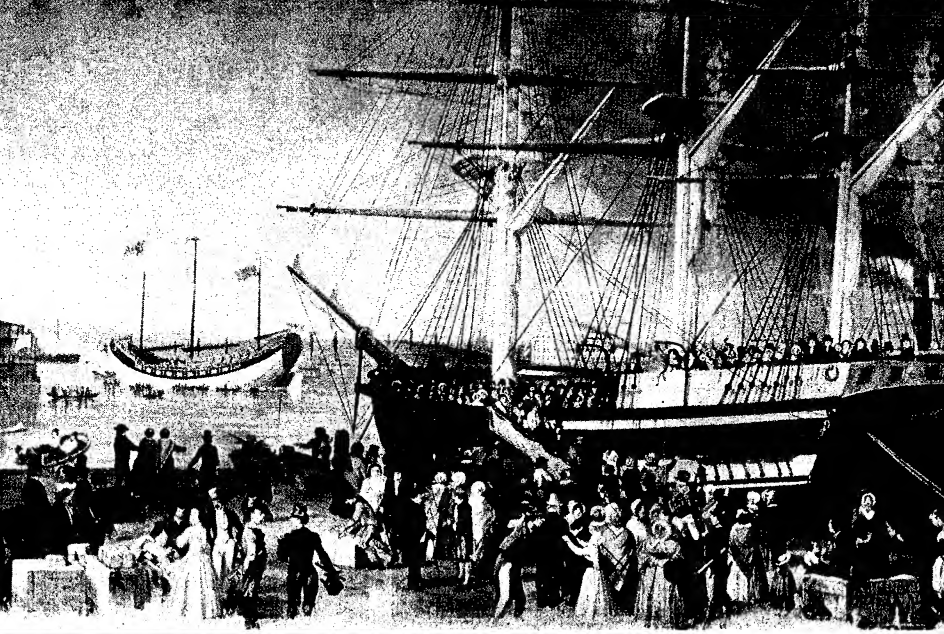


أصبح الاحتفال بالرابع من يوليو تقليداً مرعياً يقترن بالمواكب والنزهات الخلوية والاجتماعات الخطابية .

بعد الفوز بالاستقلال . شاركت المستعمرات السابقة بقية العالم في التساؤل عما يخبئه الغد ؟ أول كل شيء . كان عليها أن تتحد معاً . ثم تنمو . وتبني . وتتاجر . وتستكشف . وتتوغل غرباً . كأمة من الرواد الطامحين . لكل منهم أحلامه .



على مدى حوالي ٢٠٠ سنة من اليسر والعسر لا يزال الشارع النيويوركي «وول ستريت» شريان الحياة المالية.



مع ملايين آخرين ، ساعد المهاجرون الجدد الذين جلبتهم « بطارية » صمويل ووه ، في صياغة التاريخ الأمريكي . أجل ، بدونهم ربما لم يتحقق مشروع قناة ايريه الذي ربط البحيرات الكبرى بالمحيط الاطلنطي ، فاتحاً بذلك عهداً جديداً مباركاً في حركة النقل المائي وفي الصناعة الأمريكية .





مع انتشار الثورة الصناعية في الولايات الشمالية ، حلت المصانع التي تستخدم عدداً كبيراً من العمال ـ كمصنع الحديد الذي تراه فوق ـ محل الصناعات الصغيرة كصناعة عجلات العربات التي يشتغل صاحبها جنباً إلى جنب مساعده بينما جلس الزبون ينتظر انجاز ما أوصى عليه .





صيد الحيتان ، وهو عملية خطيرة وشاقة للغاية ، كان يزود مصابيح أمريكا بالزيت وذلك إلى أن تم اكتشاف البترول . أما الزراعة التي ربما لم تكن تفتن عادة الفتيان الصغار ، ولا هي رومانسية ساحرة كما رسمها «كورببر» و«ايفز» في العديد من لوحاتهما ، فإنها عمرت وازداد انتاجها أكثر من نشاطات أخرى كثيرة كانت تتسم بالمغامرة .









عندما التقى لويس وكلارك بهنود الغرب الشمالي (الصورة فوق من رسم تشارلز راسل) كان قد انقضى وقت طويل على قيادة دانيال بون للمستوطنين إلى كنتاكي عبر ممر كامبرلاند الجبلي . ولم يكن طريق « ناشونال رود » الذي يموج بعربات الكونستوجا المتجهة صوب الغرب قد انشئ بعد . كذلك شهدت الأيام اللاحقة الفنادق الصغيرة المشيدة على جوانب الطرق مثل فندق « المنظر الجميل » (إلى اليمين) لخدمة المسافرين والترحيب بهم .



وسط الزينات وصخب حملة ١٨٥٨ الانتخابية ، أخذ لنكولن يستعد لمناقشة دوجلاس في مناظرته المشهورة .

مشرقاً أم آفلاً ، ولكني الآن وأخيراً أشعر بالسعادة إذ عرفت أنهـا الشمس المشرقـة وليست الشمس الآفلة » .

وانفض المؤتمر ، ولجأ الأعضاء « الى حانة المدينة حيث تناولوا الغـداء جميعاً ، ثم ودع بعضهم بعضاً وداعاً ودياً » . وكان لا يزال هنالك جزء حاسم من الكفـاح الشاق لا بد من مواجهته للوصول الى وحدة أتم . وكان الأمر لا يزال يتطلب موافقة مؤتمرات الولايات الشعبية المنتخبة حتى تصبح الوثيقة نافذة المفعول .

ولقد قرر المؤتمر أن الدستور سيصبح نافذاً حالما توافق عليه مؤتمرات تسع ولايات من الثلاث عشرة ولاية . ولقد انقضت سنة ١٧٨٧ ولم تصادق عليه غير ثلاث ولايات فقط . فهل ستوافق عليه الولايات الست الباقية ؟ لقد بدت الوثيقة للناس البسطاء مليئة بالأخطار ، فتساءلوا أتثقل الحكومة المركزية القوية التي أقامها الدستور ، كواهلهـم بالضرائب ، وتسوقهم الى الحرب ؟ وهذه الأسئلة وأمثالها أخرجت الى الوجود حزبين هما : الاتحاديون ومناهضو الاتحاد. فالاتحاديون يؤيدون قيام حكومة قوية والآخرون يفضلون قيام رابطة مفككة العرى بين الولايات المنفصلة بعضها عن بعض . واحتدمت المناقشات الصاخبة في الصحف ، وفي المجالس التشريعية وفي مؤتمرات الولايات المتحدة ، وكان أقوى هـذه المناقشات ما ظهر في « جرائد الاتحاديين » ــ وهو ما يعتبر الآن من المؤلفـات السياسيـة والكلاسيكيـة ــ بقلم هاملتون ومـاديسون وجون جـاي دفاعاً عن الدستور .

وكان من أثر المعارضة الشديدة التي شبت في مساتشوستس بصفة خاصة ــ حيث كان السخط بين الزراع ما زال سائداً ــ أن أضيف الى الدستور وثيقة الحقوق في صيغة تعديلات . وسرعان ما أدركت الولايات الأخرى أهمية إضافة مثل هـذه التعديلات إلى الدستور ، فأدخلت « الحقوق » التي تضمنتها دساتير الولايات من قبل ضمن قـانون البلاد الأعلى ، وتألفت منها التعديلات العشرة الأولى للوثيقة الدستورية الأصلية . ولقد كفلت هذه التعديلات لمواطني الولايات المتحدة ــ مع ما تضمنته من حقوق أخرى ــ الحرية الدينية وحرية الرأي ، والصحافة ، والاجتماع ، ونظام المليشيا الذي يحل محل الجيش النظامي ، وحق المحاكمة أمام المحلفين ، وسرعة المحاكمات أمام قانون البلاد . وإلغـاء أوامر القبض العامـة . وكان من جراء الأخـذ بقانون « الحقوق » أن أسرعت الولايات المترددة وأيدت الدستور ، فاعتمد في آخر الأمر في ٢٥ يونيو سنة ١٧٨٨ . ثم اتخذ كونجرس الاتحاد التدابير اللازمة لإجراء انتخابات الرئاسة الأولى وأعلـن أن الحكومة الجديدة ستبدأ عملها في ٤ مارس سنة ١٧٨٩ ثم انفض في هدوء .

وشنطن يخطط بدراية وحكمة

ولم يكن هناك على شفاه الجماهير سوى اسم رجل واحد جدير برئاسة الدولة ، هذا الرجل هو وشنطن الذي اختير بالإجماع رئيساً . وفي ٣٠ من أبريل سنة ١٧٨٩ أقسم

وشنطن يمين الإخلاص والولاء ليقوم بأعباء منصب رئيس الولايات المتحدة ، وليبذل في سبيل ذلك أقصى ما في استطاعته « للمحافظة على دستور الولايات المتحدة وحمايته والدفاع عنه » .

كانت هذه الجمهورية التي بدأت حياتها جمهورية قوية . وكانت المشاكل الاقتصادية التي سببتها الحرب في طريقها الى الحل . كما كانت الدولة قد أخذت تنمو حثيثاً وتدفقت جماعات المهاجرين من أوروبا ، وعرضت الضيّاع الجيدة مقابل مبالغ زهيدة ، وكان الطلب على العمال على أشده ، وسرعان ما أصبح الوادي الخصيب ـ الذي يمتد شمال نيويورك وبنسلفانيا وفرجينيا ـ مساحات شاسعة عظيمة زرعت قمحاً .

ومع أن كثيراً من السلع كانت مصنوعات بدائية فإن الصناعات كانت آخذة في النمو والتقدم ، ووضعت كل من مساتشوستس ورود آيلاند أسس صناعات النسيج الهامة . وكانت كونيكتكت قد بدأت في صناعة الساعات ومصنوعات الصفيح . وكانت نيويورك ونيوجرسي وبنسلفانيا تنتج الورق والزجاج والحديد . واتسعت صناعة الشحن البحري ، حتى لم يعد يفوق الولايات المتحدة في البحار إلا إنجلترا . فمن قبل سنة ١٧٩٠ كانت السفن الأمريكية تسافر الى الصين لتبيع الفراء وترجع بصناديق الشاي والتوابل والحرير .

بيد أن معظم النشاط الأمريكي كان يتجه نحو الغرب . فأخذ سكان نيوإنجلند وبنسلفانيا يرحلون إلى أوهايو ، كما كان سكان فرجينيا وكارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية يتوجهون نحو كنتكي وتنيسي وكانت عربات طوابير المهاجرين البيضاء السقوف تتسلق السفوح الطويلة لجبال الليجني ، وكان الصيادون الذين يلبسون جلود الغزال يجوبون كنتكي مع الرواد بعربات الآثاث والحبوب . وآلات الزراعة البسيطة والحيوانات الأليفة . وفي المساحات المطهرة الكثيرة كان الفلاحون الذين يقيمون على الحدود يشيدون وجيرانهم أكواخاً متينة من جذوع الأشجار ، سُدّت شقوقها بالطين وغطيت سقوفها بألواح البلوط . وأخذت الأطواف والقوارب المضطردة الزيادة تنحدر عاماً بعد عام على نهر المسيسبي الى نيوأورليانز محملة بالحبوب واللحوم المملحة والبوتاس . كما أخذت المدن الغربية تزداد أهمية سنة بعد سنة .

تلك كانت حال البلاد عندما تقلد وشنطن زمام الحكم . ولم يكن الدستور الجديد الذي لم يكن في ذلك الوقت غير رسم نظري لما يراد تحقيقه يستند إلى التقاليد والرأي العام المنظم . وقد استمر الحزبان اللذان تكونا في أثناء فترة التصديق يناوئ أحدهما الآخر ، فكان الاتحاديون هم حزب الحكومة المركزية القوية ، والأعمال الناشئة والمصالح التجارية . أما الآخرون فكانوا أنصار حقوق الولايات ونظام تقسيم الأراضي . ولم يكن بد للحكومة الجديدة من أن تخلق لنفسها نظامها الخاص في الحكم ، فلم تكن الحكومة تحصل الضرائب بعد ، كما لم تكن هناك وسيلة لتنفيذ القانون ما لم تقم هيئة قضائية ، وكان الجيش صغيراً ، وأما البحرية فلم يعد لها وجود .

في هذا الوقت الحرج لم يكن للأمة غنى عن زعامة وشنطن الرشيدة . فالصفات التي جعلته الجندي الأول في الثورة ، أهلته أيضاً لأن يكون السياسي الأول في هذه البلاد الحديثة التنظيم . إذ كان قادراً على وضع المشروعات البعيدة المدى ، كما كان رقيقاً إلى أقصى الحدود فأوحى بالاحترام والثقة ، وامتاز بالاستقامة أكثر من امتيازه باللباقة ، وبالجلد أكثر من المرونة ، وبعزة النفس والتحفظ والخجل والتواضع وضبط النفس .

التنافس بين فكرتين

ولم يكن تنظيم الحكومة عملاً هيناً . فلقد أنشأ الكونجرس بسرعة وزارة الخارجية ووزارة المالية . وعين وشنطن توماس جيفرسون وزيراً للخارجية ، وألكسندر هاملتون ، مساعده في أثناء الثورة ، وزيراً للمالية . وفي الوقت نفسه أنشأ الكونجرس هيئة قضائية اتحادية ، ولم يكتف بتأسيس محكمة عليا على رأسها قاض كبير وخمسة أعضاء (وعين في هذه الوظيفة جون جاي) بل انشأ أيضاً ثلاث دوائر قضائية وثلاث عشرة محكمة في الأقسام . كما عين في الحكومة الأولى وزيراً للحربية ونائباً عاماً . ولما كان وشنطن ، يفضل بصفة عامة ، ألا يصدر القرارات إلا بعد استشارة هؤلاء الرجال الذين كان يثق في حكمتهم ، ظهر الى حيز الوجود مجلس الوزراء الأمريكي وكان يتألف من رؤساء جميع الدوائر التي قد يوجدها الكونجرس . وكان هاملتون وجيفرسون يمثلان قوتين عظيمتين في الحياة الأمريكية . على الرغم من مناوأة الواحدة للاخرى الى حد ما . فكان هاملتون يميل الى اتحاد محكم العرى ، والى حكومة وطنية أكثر قوة ، بينما كان جيفرسون يتجه نحو ديمقراطية أكثر اتساعاً وأكثر حرية . وقد حمل هاملتون الى الحياة العامة حبه للدقة والنظام والتنظيم . واستجابة لنداء مجلس النواب لوضع خطة « لدعم مركز أمريكا المالي » وضع هاملتون المبادئ الخاصة بالاقتصاد العام وأيدها ، بل وعمل ايضاً على إقرارها بحكومة قوية فعَّالة . وقد ألمع الى ان امريكا يجب ان تتمتع بمركز مالي قوي يساعد على النهضة الصناعية والنشاط التجاري ومشروعات الحكومة ، وينبغي لها كذلك أن تنال ثقة الشعب وتأييده التام . وقد رغب الكثيرون في نبذ الدين الوطني أو على الأكثر دفع جزء منه . ولكن هاملتون أصر على دفع دين حكومة الاتحاد كاملاً ، كما أصر كذلك على وضع خطة يمكن للحكومة الاتحادية بها أن تدفع ديون الولايات التي شاركت في تحمل أعباء الثورة . وفعل هاملتون اكثر من ذلك ، فأسس « بنك الولايات المتحدة » وخوله حق إنشاء فروع له في جهات مختلفة في أمريكا ، وأيد إنشاء دار لسك النقود كما أيد فرض الرسوم الجمركية لتنشيط الصناعات الوطنية وحمايتها . وكان لهذه الإجراءات أثر سريع ، فقد أقامت المركز المالي للحكومة الاتحادية على أساس متين ، ووفرت له كل الإيرادات التي احتاج إليها ، وشجعت الصناعة والتجارة . ومن ثم خلقت جبهة قوية من رجال الأعمال الذين ثبتوا في تأييدهم ومعاونتهم

للحكومة الوطنية ، وكانوا على أهبة الاستعداد لمقاومة أية محاولة ترمي الى إضعافها .

وكان توماس جيفرسون رجل فكر أكثر منه رجل عمل . وكان هو وهاملتون على طرفي نقيض في كثير من الأحيان من الناحية السياسية . فقد أدرك جيفرسون قيمة الحكومة المركزية القوية من حيث العلاقات الخارجية . ورغم ذلك فإنه لم يرغب في أن تكون الحكومة قوية في نواح أخرى كثيرة حتى لا يفقد الشعب حريته . وكان الغرض العظيم الذي يهدف إليه هاملتون هو أن يوفر للدولة تنظيماً أكثر وأعظم دقة . أما جيفرسون فكان يرمي الى منح الأفراد حرية أوسع . مؤمناً بأن « لكل إنسان ولكل جماعة من الناس تعيش على الأرض الحق في الحكم الذاتي » . وكان هاملتون يخشى الفوضى ويفكر في الأساليب التي تكفل النظام . على حين كان جيفرسون يخاف الطغيان . ويفكر في أساليب الحرية . أما الولايات المتحدة فكانت بحاجة الى الأخذ بهذين الرأيين . وكان من حسن حظ الدولة أن تتاح لها فرصة الانتفاع بهذين الرجلين وأن تتمكن على مر الزمان من أن تمزج آراءهما الخاصة وأن توفق بينهما الى أقصى حد مستطاع .

وذلك الاختلاف في وجهة النظر بين كل منهما قد ظهر بعد أن تقلد جيفرسون منصب وزير الخارجية بوقت قصير . وأدّى الى تفسير الدستور تفسيراً جديداً على جانب كبير من الأهمية . فعندما تقدم هاملتون باقتراح يرمي الى تأسيس بنك وطني واعترض جيفرسون ، وكان وقتئذ يتكلم بلسان من يعتقدون بتعارض حقوق الولايات مع الحقوق الوطنية . وأولئك الذين يخشون الشركات الكبرى . فأعلن جيفرسون في صراحة أن الدستور يحدد بوضوح جميع سلطات الحكومة الاتحادية ، وأنه يحتفظ للولايات بجميع السلطات الأخرى . وليس فيه تفويض للحكومة الوطنية بإنشاء بنك . فاعترض هاملتون بأن سلطات الحكومة الوطنية لا يمكن التعبير عنها في كلمات . لأن ذلك أمر يطول ، وقد يحتمل كثيراً من الشرح والتفصيل مما يبعث على السآمة والملل . وقرر أن عدداً كبيراً من هذه السلطات ينبغي أن تتضمنها المواد العامة . وأن إحدى هذه المواد تمنح الكونجرس « سلطة إصدار القوانين الضرورية التي يتطلبها تنفيذ السلطات التي خولت للحكومة » كما خول الدستور الحكومة الوطنية سلطة فرض الضرائب وجمعها ، وأداء الديون . وعقد القروض ، ووجود البنك الوطني سوف يساعد مادياً في تنفيذ هذه الأعمال بدقة . وعلى هذا فإن الكونجرس يملك الحق في إنشاء البنك مستنداً إلى سلطته الضمنية . وقبل وشنطن والكونجرس ما اتخذه هاملتون من إجراء ، ووضعوا بذلك سابقة اتبعها من جاء بعدهم .

وعلى الرغم من أن المهام الأولى للدولة الناشئة كانت تنحصر في تدعيم الاقتصاد القوي وجعل سلامة الوحدة من الناحية المالية مضمونة فإنها لم تستطع أن تتجاهل الأحداث السياسية في الخارج . وكان حجر الزاوية في سياسة وشنطن الخارجية هو المحافظة على السلام . السلام الذي يمنح للدولة وقتاً تشفى فيه من جراحها . والذي

يسمح للعمل أن يستمر وئيداً في سبيل استكمال الوحـدة الوطنية . غير أن الأحـداث في أوروبا لم تكن تشير بالوصول الى هذا الهدف . ذلك لأن عدداً كبيراً من الأمريكيين كانوا يرقبون الثورة الفرنسية في اهتمام شديد وعطف كبير . وفي أبريل سنة ١٧٩٣ وصل من الأنباء ما جعل لهذا الصراع أثراً في السياسة الأمريكية . فقد كانت فرنسا قد أعلنت الحرب على بريطانيا وأسبانيا . وكان « جينيه » الذي عين وزيراً مفوضاً من قبـل الجمهورية الفرنسية في طريقه إلى الولايات المتحدة .

كانت أمريكا ما تزال حليفة فرنسا رسمياً . كذلك كانت الحرب فرصة تتيـح للأمريكيين رد ما أسدته إليهم فرنسا من جميل في حرب الاستقلال ولكن على الرغم من أن الشعب والحكومة ينشدان الخير لفرنسا ، إلا أنهما كانا أشد رغبة للبقاء خارج ميدان القتال . ولهذا أعلن وشنطن حياد الولايات المتحدة . ولما أقبل « جينيه » استقبل استقبالاً فاتراً . ولما اشتد غضبه بسبب هذه المعاملة . حاول أن يخالف الأمر الذي صدر بمنعه من استخدام الموانئ الأمريكية كقواعد للعمليات الحربية التي يقوم بهـا الوطنيون الفرنسيون ، وبعد مدة وافقت الحكومة الفرنسية على طلب استدعائه .

وكان من أثر حادث « جينيه » أن فترت الحماسة الأمريكية لفرنسا قليلاً . وكانت العلاقات مع بريطانيا العظمى في الوقت نفسه لا تبعث على الرضى . فكانت الفرق البريطانية لا تزال تحتل بعض القلاع في الغرب . ولم تكن الأموال التي استولى عليهـا الجنود البريطانيون إبان الثورة قد استردت أو دفع ثمنها . كما كان الاسطول البريطاني ينزل الخسائر الفادحة بالتجارة الأمريكية . ورغبة في تسوية هذه المسائل . أرسـل وشنطن إلى لندن مندوباً فوق العادة . هو جون جاي الذي كان يشغل منصب رئيس المحكمة العليا . واستطاع جاي . بما عرف عنه من الاعتدال . أن يتفاوض في عقـد معاهدة ضمن بها انسحاب البريطانيين من الحصون الغربية كما حصل على بعض الامتيازات التجارية . وقد أغفلت هذه المعاهدة ذكر الأملاك التي يجب أن تسترد كما أغفلت أمر مصادرة السفن الأمريكية في المستقبل . أو تسخير البحـارة الأمريكيـين في الأسطول البريطاني .

وشنطن يعتزل الحكم

وقد أثارت معاهدة جاي سخطاً عاماً ، ولكن عندما أشرفت مدة رئاسة وشنطن الثانية على الانتهاء . كان واضحاً أن هناك أعمالاً بارزة قد أنجزت في ميادين أخـرى . فقد نظمت الحكومة ، وثبتت دعائم المركز المالي ، ونمت التجارة البحرية ، واسترد الاقليم الشمالي الغربي وأمكن الاحتفاظ بالسلم .

واعتزل وشنطن الحكم في عام ١٧٩٧ ، وأبى أن يظل رئيساً للدولة أكثر من ثمان سنوات . فانتخب نائبه جون آدمز من مساتشوستس رئيساً . وقد تنازع آدمز ، حتى قبل

أن يتقلد الرئاسة ، مع هاملتون الذي أدى للحكومة السابقة خدمات جليلة . وهكذا وجد آدمز نفسه مقيداً لوجود حزب منقسم وراءه . ومما زاد الأمر سوءاً تلبد الجو الدولي مرة أخرى ، إذ أن فرنسا التي ثارت ثائرتها من جراء الاتفاق الذي عقده جاي مع بريطانيا منذ عهد قريب ، قد رفضت أن تقبل تعيين الوزير الأمريكي الذي رشحه آدمز لـدى البلاط الفرنسي . وعندما أرسل آدمز الى باريس ثلاثة مندوبين آخرين قوبلوا هم أيضاً بالرفض ، فثار سخط أمريكا حتى بلغ غايته . فجندت الجنود وعززت الأسطول . وفي سنة ١٧٩٩ ظهر أنه لا مناص من وقوع حرب ، وذلك عقب سلسلة من المعارك البحرية مع السفن الفرنسية انتصرت فيها السفن الأمريكية . وفي هـــذه الأزمة رفض آدمز العمل بمشورة هاملتون الذي كان يرغب في الحرب ، وأرسل وزيراً جديداً الى فرنسا . فاستقبله نابليون الذي كان قد قبض على زمام السلطة بالترحيب وبذلك اختفى خطر النزاع .

افكار جيفرسون الديمقراطية

ولما حلت سنة ١٨٠٠ كانت البلاد التي لم تكن راضية عن سياسة آدامز الداخلية ، مهيأة لتغيير جديد : فقد نظم الاتحاديون حكومة قوية في عهد وشنطن وآدمز . ولكنهم اتبعوا سياسة أثارت عداء جماهير عديدة من الشعب . ذلك لأنهم عجزوا أحياناً عن إدراك حقيقة هامة وهي أن الحكومة ينبغي أن تستجيب لرغبات الشعب .

أما جيفرسون الذي ولد زعيماً شعبياً فقد اجتذب اليه — في هدوء واطراد — جماعات عظيمة من صغار الفلاحين والتجار وغيرهم من العمال الذين أثبتوا أنهم قوة هائلة لها خطرها في انتخابات سنة ١٨٠٠ . ولقد كتب جيفرسون الى أحد أصدقائـــه يقول : « لقد جربت جوانب سفينتنا القوية تجربة تامة ، وسوف نسيرها في طريق الجمهورية ، وستظهر الآن بجمال حركتها مهارة من شيدوها » .

وكان جيفرسون يحظى في الحقيقة بسطوة لا حد لها لأنه كان يستلهم في سياسته مثالية أمريكا وقد وعد في خطبته يوم أن تولى زمام الأمور « بحكومة متزنة مقتصدة » تصون النظام بين المواطنين ولكنها « سوف تتركهم فيما عدا ذلك أحراراً لينظمـــوا شؤونهم الخاصة في نواحي العمل والإصلاح » .

وقد كان مجرد وجود جيفرسون في البيت الأبيض مشجعاً على اتباع الأســاليب الديمقراطية ، فإنه كان يعتقد أن المواطن العادي جدير بالاحترام ، شأنه في ذلك شـــأن أكبر موظفي الدولة ، وعلّم مرؤوسيه أن يعتبروا أنفسهم موضع ثقة الشعب أولاً وقبـــل كل شيء . وشجع الزراعة كما شجع التوسع نحو الغرب . وكذلك شجع على وضع قانون يسهل التجنس بالجنسية الأمريكية لأنه اعتقد أن أمريكا هي ملجأ للمضطهدين . وقبيل نهاية سنة ١٨٠٩ استطاع البرت جالاتين وزير المالية الذي كان بعيد النظر ، أن يخفض الدين الوطني الى أقل من ستين مليون دولار . وبينما كان الإعجاب بجيفرسون في



المصدر : المساحة الجيولوجية الأمريكية

اوج عظمته بين أفراد الشعب جميعاً . ألغت الولايات ـ الواحدة في إثر الأخرى ـ اشتراط الملكية كمؤهل للانتخاب . وسنت قوانين لمعاقبة المذنبين والمجرمين .

وقد تضاعفت مساحة البلاد نتيجة لإحدى الخطوات التي خطاها جيفرسون . إذ كانت أسبانيا تسيطر منذ وقت طويل على البلاد غربي نهر المسيسيبي وعلى ميناء أورليانز القريب من مصب هذا النهر ـ وهو ميناء ضروري لشحن الحاصلات الأمريكية التي تزرع في وادي اوهايو ووادي المسيسيبي . ولكن بعد أن تولى جيفرسون منصب الرئاسة بقليل أرغم نابليون الحكومة الأسبانية الضعيفة على أن تتخلى لفرنسا عن لويزيانا . تلك الأراضي الكبيرة الشاسعة . وهنا ارتعدت فرائض الأمريكان وثارت ثائرتهم . وكانت مشروعات نابليون التي تهدف الى تكوين إمبراطورية استعمارية ضخمة تتاخم الولايات المتحدة من الناحية الغربية ، تهدد الحقوق التجارية لجميع المستعمرات الداخلية وسلامتها .

وقد أكد جيفرسون أنه إذا امتلكت فرنسا لويزيانا فإنه « من تلك اللحظة ينبغي أن نعقد قراننا على الاسطول البريطاني والأمة البريطانية » . وأن أول قذيفة تنطلق في حرب أوروبية ستكون بمثابة إشارة للجيوش الانجليزية الأمريكية بالزحف على نيوأورليانز. وبما أن نابليون كان يدرك أن حرباً أخرى مع بريطانيا توشك أن تقع بعد صلح « أميين » القصير . وأنه إذا بدأت الحرب سوف يفقد لويزيانا قطعاً . فقد قرر أن يملأ خزينته وأن يبعد لويزيانا عن متناول بريطانيا ببيع المنطقة للولايات المتحدة . وهكذا حصلت الولايات المتحدة في عام ١٨٠٣ . نظير خمسة عشر مليوناً من الدولارات . على أكثر من ٢,٦٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربع من الأراضي بالاضافة الى ميناء نيوأورليانز . فاكتسبت البلاد مساحات من السهول الخصبة التي أصبحت في خلال ٨٠ سنة من أعظم مصادر الحبوب في العالم . كما أصبح لها ايضاً السيطرة التامة على سلسلة الأنهار المركزية في القارة .

الحرب الثانية مع الانجليز

لقد ضمنت شهرة جيفرسون الشعبية الواسعة التي كان يتمتع بها في انحاء البلاد . اعادة انتخابه للرئاسة في عـام ١٨٠٤ . فكانت لويزيانا صفقة عظيمة . وكـانت البلاد آخذة في الازدهار . وحاول الرئيس جاهداً ان يرضي جميع الاتجاهات في البلاد . وفي مدة رئاسته الثانية التي بدأت سنة ١٨٠٥ . اعلن جيفرسون الحياد الأمريكي في الصراع الذي قام بين بريطانيا وفرنسا . وكانت كل من الدولتين ضربت الحصار عـلى الاخرى وبذلك وجهت الى التجارة الأمريكية ضربات قاصمة الى درجة تعذر معها على أية سفينة أمريكية أن تتبادل التجارة مع فرنسا او بريطانيا دون أن تتعرض لخطر المصادرة .

وهناك ظلم آخر أثار شعور الأمريكيين ضد بريطانيا العظمى . ذلك أن البريطانيين قد عززوا أسطولهم حتى أصبح عدد قطعه سبعمائة سفينة حربية . يعمل فيها حوالي مائة وخمسين ألفاً من البحارة . ولقد حافظ هذا الدرع على سلامة بريطانيا . وحمى

تجارتها وصان طرق مواصلاتها مع مستعمراتها . غير أن رجال أسطولها كانوا في حالـة سيئة من حيث الأجور والغذاء والمعاملة . حتى استحال على الاسطول أن يحصل على البحارة عن طريق التطوع . وهجر كثير من هؤلاء البحارة الأسطول . ولجأوا إلى السفن الأمريكية . وفي هذه الظروف كان الضباط البريطانيون يعتبرون تفتيش انسفن الامريكية واستعادة الرعايا البريطانيين حقاً من حقوقهم . اضف الى ذلك ان كثيراً ما كان هؤلاء الضباط يرغمون البحارة الامريكيين على العمل في خدمتهم .

ووفق جيفرسون في النهاية في حث الكونجرس على سن قانون الحظر الذي يحرم التجارة الخارجية . وكان هذا القانون كارثة على التجارة . فقد أضرَّ هذا الإجراء بصناعة الشحن البحري ضرراً بليغاً من ناحية . فارتفع السخط في نيوإنجلند ونيويورك . كذلك تحملت الزراعة وطأة هذا الإجراء ، إذ هبطت الأسعار عندما اكتشف فـلاحو الجهات الجنوبية والغربية عجزهم عن شحن الفائض من الحبوب واللحم والتبغ .

وفي خلال عام واحد انخفضت الصادرات الأمريكية الى خمس ما كانت عليه . ولكن الأمل في أن يجوّع قانون الحظر بريطانيا ويرغمها على سلوك سياسة جديدة قد باء بالفشل . وبينما أخذ التذمر يزداد في طول البلاد وعرضها . اتجه جيفرسون الى اتخـــاذ إجراء معتدل يسترضي به المشتغلين بالشحن البحري من الأمريكيين . واستبدل قانون الحظر بقانون آخر يبيح التجارة مع جميع الأقطار ما عدا بريطانيا وفرنسا والبلاد التابعة لهما . ومهد هذا القانون الطريق للمفاوضات بتخويل الرئيس سلطة يوقف بها عملـه مع إحدى هاتين الدولتين إذا ما رفعت القيود التي فرضتها عن التجارة الأمريكية . وفي سنة ١٨١٠ أعلن نابليون رسمياً أنه قد عدل عما اتخذه من إجراءات بينما في الحقيقة استمر متمسكاً بها . ولكن الولايات المتحدة صدقت ذلك وقصرت عدم التعامــل على بريطانيا وحدها .

وفي سنة ١٨٠٩ خلف جيمس ماديسون جيفرسون في الرئاسة وأخذت العلاقات مع بريطانيا تزداد سوءاً . واتجهت كلتا الدولتين سريعاً نحو الحرب . وقدم الرئيس للكونجرس تقريراً مفصلاً يتضمن ٦٠٥٧ حادث اعتقال ارتكبه الانجليز ضد المواطنين الأمريكيين الذين سخروا للعمل في البحرية الانجليزية . أضف الى ذلك ان الـذين استوطنوا الأراضي الشمالية الغربية تحملوا وطأة الهجمات التي شنها الهنود بتشجيـع الوكلاء البريطانيين في كندا حسب اعتقاد الأمريكيين . وفي سنة ١٨١٢ أعلنت أمريكا الحرب على بريطانيا .

معاهدة « غنت » تنهي الحرب

لقد كانت الولايات المتحــدة تقاسي انقساماً داخلياً خطيراً جداً ، فبينما كـــان الجنوب والغرب يؤيدان الحرب ، كانت نيويورك ونيوإنجلند تعارضــان فكرة الحرب

بصفة عامة ، وقد أعلنت الحرب في وقت لم تستكمل فيه الاستعدادات العسكرية تماماً . فكان هنالك أقل من ٧٠٠٠ من الجنود النظاميين موزعين في مراكز مبعثرة على طول الساحل من حدود كندا حتى أقاصي الجهات الداخلية . وكان ينبغي أن تعزز هذه القوات بجنود المليشيا من الولايات وهؤلاء على كثرتهم كانت تنقصهم الدراية والمران .

وبدأ الهجوم بحركة مثلثة لغزو كندا ، وكان المنتظر أن تسفر هذه الحركة عن عملية موفقة ضد مونتريال إذا هي نفذت في الوقت المناسب وبطريقة ملائمة . غير أن الحملة كلها أحبطت وانتهت باحتلال البريطانيين لدترويت . وفي الوقت الذي كان القتال براً يسير سيراً بطيئاً كان الاسطول يستعيد الثقة الأمريكية الى حد ما . فقابلت البارجة « كونستتيوشن » بقيادة الكابتن « إيزاك هل » البارجة البريطانية « جيريير » . جنوب شرقي بوسطن في ١٩ أغسطس ، ودمرتها . وبعد ذلك بشهرين التقت السفينة الأمريكية الصغيرة « واسب » بالسفينة البريطانية « فروليك » وقضت عليها . اضف الى ذلك أن السفن الحربية الأمريكية الخاصة التي كانت تزدحم في مياه الأطلسي ، استولت على خمسمائة سفينة بريطانية في خريف وشتاء ١٨١٢ ــ ١٨١٣ .

وتركزت حملة ١٨١٣ حول بحيرة إيري في ولاية نيويورك . وكان الجنرال وليم هنري هاريسون قد زحف بجيشه من جنود الاحتياط والمتطوعين والنظاميين من كنتكي لاسترجاع ديترويت . وفي ١٢ سبتمبر ، بينما كان هاريسون لا يزال عند مجرى نهر اوهايو الأعلى ، وصلته الأنباء بأن كومودور « أوليفر بيري » قد حطّم سفن العدو على بحيرة إيري. واحتل هاريسون ديترويت واندفع نحو كندا ملحقاً الهزيمة بالبريطانيين وحلفائهم الهنود على نهر التيمس ، واصبحت المنطقة كلها الآن في قبضة الأمريكيين .

وثمة تحول آخر في الحرب حدث بعد مضي عام ، عندما انتصر القومودور توماس ماك دونو في معركة مباشرة تبودلت فيها الرماية مع اسطول بريطاني صغير على بحيرة تشامبلن في اعالي نيويورك . واضطرت قوة بريطانية غازية قوامها ١٠,٠٠٠ جندي للتقهقر متراجعة الى كندا لتعذر الحصول على دعم من البحرية . وفي نفس هذا الوقت تقريباً كان الاسطول البريطاني ، عملاً بالأوامر التي لديه بالتدمير والتخريب ، يضرب الساحل الشرقي ضرباً مركزاً . وفي ليل ٢٤ اغسطس ، انطلقت حملة عسكرية الى وشنطن مقر الحكومة الاتحادية وسلطت عليها نيرانها الحامية مما اضطر الرئيس ماديسون والعديد من الموظفين للهرب الى فرجينيا . وبعد ثلاثة أسابيع هاجم الاسطول البريطاني بلطيمور ، وقصف قلعة ماك هنري التي كانت تحرس المدينة . وصمدت القلعة في وجه الهجوم . وكان يشهد المعركة محام شاب من ماريلاند اسمه فرانسيس سكوت كي كان محتجزاً على احدى السفن البريطانية ، فأوحت له بكتابة مؤلفه الموسوم « الراية المرصعة بالنجوم » .

وانتهت الحرب بعقد معاهدة « غنت » التي تنص على وقف العدوان ، واسترداد الأراضي التي استولى عليها كل منهما خلال الحرب ، وتأليف لجنة لتسوية النزاع الذي نشب بشأن الحدود . وقد جاء الانتصار الباهر الذي حققه اندرو جاكسون على الحامية

البريطانية في نيواورليانز ، بعد توقيع معاهدة الصلح ولكن قبل اذاعة أخبارها في أمريكا .

وأكد ألـــبرت جالاتين ، وزير الماليـــة (من سنة ١٨٠١ إلى سنة ١٨١٣) أن الأمريكيين كانوا قبل هذا النزاع أنانيين شديدي الميل الى التفكير في شؤونهم المحلية وقال : « لقد جددت الحرب الشعور الوطني وشكلت الخلق الوطني على نحو جديد ـ وهـــذا الشعور وذلك الخلق اللذان خلقتهما الثورة كانا يتضاءلان مع الأيام . أما الآن فقد أصبح للشعب أهداف توثق بين أفراده ، أهداف ترتبط بها كرامتهم وأفكارهم السياسيـــة . وقد أصبحوا أمريكيين أكثر من أي وقت مضى . فهم يشعرون ويتصرفون كأمة . وإني شديد الأمل في أن يكون هذا التطور خير ما يضمن دوام الاتحاد » .

التوسع نحو الغرب والفروق الاقليمية

« ايها الشاب . اتجه إلى الغرب .
وليصحب نموك اتساع رقعة وطنك » .

هوراس جريلي . ١٨٥١

كانت حرب سنة ١٨١٢ تعتبر حرب استقلال ثانية . إذ لم تكن الولايات المتحدة حتى ذلك الوقت قد تبوأت مركزاً يجعلها على قدم المساواة مع غيرها من الأمم . غير أنه لم يحدث إطلاقاً أن حرمت الولايات المتحدة المعاملة التي تليق بأية أمة مستقلة بعد أن وقعت المعاهدة التي وضعت حداً للحرب . كما اختفى كثير من المصاعب الخطيرة التي كانت تنوء بحملها الجمهورية الناشئة منذ نشبت الثورة . ونعمت البلاد بعهد مشرق يسوده السلام والرخاء والتقدم الاجتماعي بعد أن تحقق التوازن بين الحرية والنظام في ظل الوحدة القومية . وانخفض الدين الوطني وأصبحت القارة العذراء تتطلب الاستثمار .

أما من الناحية السياسية فقد كان هذا العهد « عهد النيات الحسنة » على حد قول الذين عاشوا فيه . إذ ربطت التجارة الشعب الأمريكي برباط وثيق من الوحدة القومية . وكان الحرمان الذي شعر الشعب بوطأته إبان الحرب دليلا واضحاً على أهمية حماية الصناعات الأمريكية الى ان تتمكن من الصمود أمام المنافسة الأجنبية . وبدا جلياً أن الاستقلال الاقتصادي لا يعادل في أهميته الاستقلال السياسي فحسب . بل إن الاستقلال السياسي لا يصبح حقيقة واقعة إلا إذا أصبحت البلاد قادرة على أن تكفي نفسها بنفسها من الناحية الاقتصادية . ولما كانت الثورة قد نشبت لتحقيق الاستقلال السياسي . فقد آن الأوان لتحقيق الاستقلال الآخر . وقد آمن هنري كلاي . وجون كالهون . وهما من أقطاب الكونجرس في ذلك الوقت . بأهمية مبدأ « الحماية » أي فرض تعريفة جمركية تساعد على ازدهار الصناعة الأمريكية .

وكان الوقت مناسبا لزيادة الضرائب الجمركية . إذ كان رعاة فرمونت وأوهايو يرغبون في حمايتهم من تدفق الصوف الانجليزي . وفي كنتكي هددت صناعة الجيش الأسكتلندي صناعة القنب المحلي المستخدم في صنع أكياس القطن . كما أن بتسبرج التي كانت مركزاً هاماً لصهر الحديد كانت تريد أن تسد حاجة البلاد بدلا من الحديد الذي

كان يستورد آنذاك من انجلترا والسويد . ومن ثم فرضت التعريفة . التي فرضت في سنة ١٨١٦ . نسباً من الضرائب العالية كانت كافية لأن تذيق الصناع طعم الحماية الحقيقية . وبالإضافة إلى ذلك نادت فئة من الناس بانشاء شبكة من الطرق والقنوات في طول البلاد وعرضها . مشيرة الى ان تحسين المواصلات سيؤدي الى ربط الشرق بالغرب بصورة اوثق .

وقد دعمت قرارات المحكمة العليا مركز الحكومة الاتحادية في ذلك الوقت إذ عين جون مارشال من فرجينيا . قاضياً للقضاة في سنة ١٨٠١ . وظل في منصبه إلى أن توفي في سنة ١٨٣٥ . فجعل من ساحة القضاء . التي عانت ضعفاً شديداً قبل رئاسته . محكمة قوية ذات مركز لا يقل أهمية عن مركز الكونجرس أو مركز الرئيس . وفي سلسلة من القرارات التاريخية لم ينحرف مارشال قيد أنملة عن مبدأ أساسي واحد هو سيادة الحكومة الاتحادية .

ولم يكن مارشال قاضياً عظيماً فحسب . بل كان سياسياً ضليعاً في القانون الدستوري إذ فصل في خلال مدة خدمته الطويلة في حوالي خمسين قضية تضمنت مسائل دستورية بحتة . ومن أشهر آرائه تلك الآراء التي تضمنتها قضية ماربري ضد ماديسون سنة ١٨٠٣ . إذ قرر بصورة قاطعة حق المحكمة العليا في إعادة النظر في أي قانون يصدره الكونجرس أو أي مجلس تشريعي في الولايات . كذلك تناول في مشكلة ماك كولوك ضد ماريلاند سنة ١٨١٩ . المشكلة القديمة المتعلقة بالسلطات الضمنية التي تتمتع بها الحكومة في ظل الدستور . فقد وقف هنا موقفاً جريئاً مدافعاً عن نظرية هاملتون القائلة بأن الدستور يعطي الحكومة ضمناً سلطات أخرى . بالإضافة الى تلك السلطات التي يقرها نص الدستور . وبمثل هذه القرارات قام مارشال بدور كبير يعادل ما قام به أي زعيم آخر في جعل حكومة الشعب الأمريكي المركزية قوة حية .

الأدب وحياة الحدود

وفي ميدان آخر مختلف تمام الاختلاف قامت أدلة ساطعة على ظهور الوعي القومي ، إذ سجلت هذه الفترة ظهور الأدب الأمريكي الحق . ومن أبرز كتاب هذه المدرسة الأمريكية الجديدة وشنطن إيرفنج . وجيمس فينيموركوبر . فكتاب إيرفنج الهزلي عن « تاريخ نيويورك » لـ ديتريتش نكربوكر الذي نشر سنة ١٨٠٩ . قد استلهم وحيه كله من البيئة الأمريكية المحلية . وهناك بعض كتب إيرفنج القيمة مثل قصة « رب فان ونكل » التي تدور حوادثها حول وادي هدسون بنيويورك ، قد أظهرت أمريكا كأرض الأساطير والخيال .

كذلك تجلت مواهب كوبر في مؤلفاته ذات الطابع المحلي . فبعد محاولته كتابة قصة على النمط الإنجليزي المألوف . نشر « الجاسوس » . وهي قصة عن الثورة لقيت رواجاً سريعاً . وبعد ذلك ظهر كتاب « الرواد » وهو صورة نثرية حية عن الحياة

وبساطتها على الحدود الأمريكية . وقد استطاع كوبر في سلسلته التي أسماها « حكايات جوارب الجلد » والتي نشرت بين عام ١٨٢٣ و١٨٤١ أن يجعل من أحد الرواد . وهو « ناتي بامبو » ومن الزعيم الهندي ذي القدم الخفية . شخصيتين خالدتين في الأدب العالمي. كذلك كتب كوبر قصصاً عن البحر تعد نتاجاً تظهر فيه المؤثرات الأمريكية .

ويعتبر إصدار مجلة « أمريكا الشمالية » في سنة ١٨١٥ من الأحداث الهامة الأخرى في عالم الأدب . وقد وصلت في عهد محررها القدير « جارد سباركس » الى مستوى رفيع اجتذب المفكرين من شباب نيوإنجلند فساهموا في تحريرها وتأييدها وبذلك تبوأت مركزاً ثابتاً في تطور الأمة الثقافي .

ويبدو أن الحدود كانت أشد أثراً في تشكيل الحياة الأمريكية . من أي عامل آخر . فإن الأحوال على طول ساحل الأطلسي بأسره أدت الى الهجرة الى المناطق الجديدة . إذ عجزت تربة سفوح تلال نيوإنجلند عن إنتاج حبوب تنافس تلك التي تنتجها الأراضي الغربية الرخيصة الخصبة . وسرعان ما هجر سيل متدفق من الناس مزارعهم وقراهم الساحلية لاستئجار الأراضي الداخلية الغنية : كذلك شجعت الأحوال في الجنوب وقلة الطرق والقنوات المؤدية الى الأسواق الساحلية ، سكان المستعمرات الداخلية ـ كارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية وفرجينيا ـ الذين كانوا يقاسون من السيطرة السياسية التي فرضها أصحاب المزارع الساحلية ، على الهجرة نحو الغرب . وقد أثرت هذه الحركة تأثيراً عميقاً في الخلق الأمريكي إذ شجعت الجهود الفردية ، ومهدت للديمقراطية السياسية والاقتصادية . كما أنها خشنت الطباع ، وحطمت روح المحافظة . وخلقت في الناس نوعاً من تقرير المصير في الشؤون المحلية مقروناً باحترام السلطة الوطنية .

ومع تصرم الأعوام انساب تيار الهجرة الى الغرب . الى ما وراء منابع الأنهار الساحلية عبر جبال الآبلاش . وحوالي سنة ١٨٠٠ كانت أودية المسيسيبي وأوهايو تتطور الى منطقة ذات حدود عظيمة . وترددت على شفاه آلاف المهاجرين أغنية « هيا نذهب بعيداً مع نهر أوهايو » . وترتب على هجرة السكان هجرة شاملة بعيدة المدى في أوائل القرن التاسع عشر . أن انقسمت الأقاليم القديمة . ووضع تخطيط جديد للحدود . وعندما انضمت الولايات الجديدة استقرت الخريطة السياسية شرقي المسيسيبي . وفي خلال ست سنوات ظهرت في عالم الوجود ست ولايات ـ هي إنديانا (سنة ١٨١٦) ومسيسيبي (سنة ١٨١٧) وإلينوى (سنة ١٨١٨) وألباما (سنة ١٨١٩) ومين (سنة ١٨٢٠) وميسوري (سنة ١٨٢١) . وكانت الحدود الأولى شديدة الارتباط بأوروبا . أما الثانية فقد كانت مرتبطة بالمستعمرات الساحلية . لكن وادي المسيسيبي كان قائماً بذاته . وكان سكانه يتطلعون الى الغرب أكثر منه الى الشرق .

وكان من الطبيعي أن يكون سكان الحدود من أجناس متنوعة ، فقد سار في طليعة المهاجرين القناصة والصيادون الذين وصفهم رحالة انجليزي يدعى « فورد هام » بأنهم « جنس من البشر يتميز بالجرأة والقوة ويعيش في أكواخ حقيرة ... وهم قوم لم تصقلهم

مدنية ولكنهم كرماء يعطفون على الغريب . هذا الى أنهم يتصفون بالأمانة كما يمكن أن يوثق بهم . إنهم يزرعون قليلاً من القمح الهندي والقرع ويربون الخنازير . ويملك الواحد منهم بقرة أوإثنتين في بعض الأحيان . إلا أنهم يعتمدون اعتماداً رئيسياً على السلاح في كسب ما يقيم أودهم » . وكان هؤلاء القوم يجيدون استخدام البلطة ، والشرك ، والصنانير وقد شقوا الشعاب وبنوا الأكواخ من الخشب لأول مرة ، وصدوا غارة الهنود .

وبتوغل المستعمر في البراري ، امتهن الكثيرون الفلاحة الى جانب الصيد وحلت البيوت المريحة المصنوعة من الخشب محل الأكواخ ، كما حفرت الآبار بدلاً من الينابيع . وسرعان ما كان الرجل النشيط يطهر أرضه من الغابات ، ويحرق الخشب لاستخراج البوتاس ، تاركاً الجذوع تتحلل ، ثم يزرع حبوبه وخضرواته وفاكهته ويتوغل في الغابات بحثاً عن لحوم الصيد ، والديكة البرية ، والعسل ، ويصيد الأسماك من المجاري المائية القريبة ، ويعنى بماشيته وخنازيره . أما المستعمرون الذين كانوا أقل استقراراً فقد لجأوا الى شراء المساحات الواسعة من الأراضي الرخيصة ، وكلما ارتفع سعر الأرض باعوا ما يملكون من أفدنة ، واتجهوا غرباً مفسحين المكان لغيرهم .

وسرعان ما انضم الى الفلاحين الأطباء والمحامون ، وأصحاب المتاجر ، والصحفيون والوعاظ ، والميكانيكيون ، والسياسيون ــ والطوائف التي يتألف منها المجتمع القوي كافة . وكان الفلاحون أهم هؤلاء جميعاً ، فقد فضلوا البقاء طول حياتهم في المناطق التي استعمروها ، ورغبوا في أن يخلفهم أبناؤهم فيها ، وبنوا مخازن للمحاصيل الزراعية تفوق في سعتها تلك التي شادها أسلافهم من قبل ، كما بنوا بيوتاً من اللبن أو الخشب وجلبوا فصائل منتقاة من الماشية والأغنام ، وحرثوا الأرض بمهارة فائقة ، واستخدموا بذوراً تدر محاصيل أوفر ، وشيد بعضهم طواحين الغلال ومصانع لنشر الخشب ، ومعامل للتقطير ، وعبدوا الطرق الجديدة ، وبنوا الكنائس والمدارس . وفي سنين معدودة تطور الغرب تطوراً سريعاً يدعو الى الدهشة . فشيكاغو مثلاً لم تكن في سنة ١٨٣٠ سوى قرية تجارية لها حصن لا تنتظر أي تقدم أو رقي ، غير أنها أصبحت قبل موت بعض مستعمريها الأصليين بسنوات عديدة من أكبر مدن العالم وأغناها .

ولقد تصاهر عدد كبير من الأجناس التي تسكن القرى الجديدة في الغرب : الإسكتلنديون والإيرلنديون ، والمان بنسلفانيا ، وأهل نيوانجلند وغيرهم . وفي سنة ١٨٣٠ كان أكثر من نصف سكان أمريكا قد نشأ في بيئة لم تعرف تقاليد العالم القديم وعاداته ، أو كانت تعرفها ولم يكن لهذه التقاليد عليها تأثير واضح . إذ كانت قيمة الفرد في الغرب تقدر بما يستطيع أن يؤديه من خدمات وبما يتحلى به من مميزات لا بتاريخ أسرته أو بماله الموروث أو بما قضاه من سنوات في الدرس والتحصيل . فكانت المزارع في متناول أي شخص مقتصد ، إذ كان يمكنه الحصول على أرض الحكومة بعد سنة ١٨٢٠ ، بسعر دولار وربع للفدان ، ولكنه بعد عام ١٨٦٢ كان يستطيع أن يمتلك تلك الأراضي بمجرد الإقامة فيها وتحسينها ، كذلك كان من السهل الحصول على أدوات الفلاحة . وذلك

هو الزمن الذي قال فيه الصحفي هوراس جريلي : « إن الشباب يستطيع أن يذهب إلى الغرب ويترعرع مع الاقليم » . وقد حمل مستعمرو نيوانجلند والجنوب عند رحيلهم الى الغرب كثيراً من نظم الأقاليم التي وفدوا منها ومثلها العليا .

القطن يعزز الرقيق

ولم يكن الشعب حتى ذلك الوقت يعير مشكلة الرقيق اهتماماً يذكر . ولكن تلك المشكلة احتلت فجأة مركزاً مهماً ، أوكما قال جيفرسون : «كانت مثل جرس الحريق في دجى الليل » . في السنين الأولى من حياة الجمهورية . عندما نصت الولايات الشمالية في تشريعها على إعتاق العبيد سريعاً أو بالتدريج . توقع كثير من الزعماء زوال الرقيق في الحال . ولقدكتب وشنطن في سنة ١٧٨٦ قائلاً : « انه يرغب رغبة صادقة في اتخاذ خطة يمكن عن طريقها إلغاء الرق على مراحل مطردة أكيدة وغير ملحوظة » . كما كتب عبارات مشابهة لذلك كل من جيفرسون . وماديسون . ومونرو . وآخرون من اقطاب السياسة في الجنوب . وحوالي سنة ١٨٠٨ . عندما ألغيت تجارة الرقيق . اعتقد الكثيرون من أهل الجنوب أن الرق سينتهي عما قريب .

غير انه سرعان ما ثبت ان هذا الاعتقاد كان خاطئاً . وقد تحول الجنوب خلال الجيل التالي الى جبهة متحدة تؤيد نظام الرقيق نتيجة لظهور عوامل اقتصادية جديدة جعلت الرق اكثر فائدة مما كان عليه قبل عام ١٧٩٠ .

وكان أحد ابرز هذه العوامل انتشار زراعة القطن بشكل واسع في الجنوب . يعززها ادخال انواع جديدة من القطن ، واختراع ايلي هويتني دولاب حلج القطن لفرز البذور عن زهرة القطن . وفي الوقت نفسه زاد الانقلاب الصناعي الذي وسع نطاق صناعة النسيج . في الاقبال على طلب القطن الخام . كذلك كان استثمار الاراضي الجديدة في الغرب بعد سنة ١٨١٢ ذا أثر كبير في ازدياد مساحة الأراضي المتاحة لزراعة القطن . وما لبثت زراعة القطن ان امتدت بسرعة من الولايات الساحلية عبر الكثير من الجهات الجنوبية المنخفضة الى نهر المسيسبي وبالتالي الى تكساس .

وهناك عامل آخر وسع من نظام الرق . هو زراعة القصب . فقد ثبت أن الأراضي الحارة الفتية الواقعة جنوب شرقي لويزيانا كانت خير تربة لإنتاج محصول وافر من قصب السكر . وما إن حل عام ١٨٣٠ حتى كانت الولاية تمد الأمة بحوالي نصف حاجتها من السكر . وأخيراً انتشرت زراعة الدخان في الغرب حاملة معها الرق .

وعندما تلاقى في الغرب مجتمع الشمال الحر مع مجتمع الرقيق القادم من الجنوب ، كان لا بد . من الناحية السياسية . من ايجاد توازن تقريبي بين الولايات الجديدة التي كانت في مرحلة الإنشاء والتأسيس . ففي سنة ١٨١٨ عندما اعترف بولاية إلينوى عضواً في الاتحاد . كانت هناك عشر ولايات تجيز الرق وإحدى عشرة ولاية تحرمه . ولم يلبث التوازن أن عاد بينهما عندما انضمت ألباما الى الاتحاد كولاية من ولايات الرقيق .

ولما أجمع أهل الشمال على معارضة انضمام ميسوري ما لم يكن انضمامها على أساس أنها ولاية حرة ، انتشرت في البلاد عاصفة من الاحتجاج وأصبح الكونجرس في حيرة . غير أنه بفضل قيادة هنري كلاي السليمة ، أمكن الوصول الى حل وسط فسمح لميسوري بالانضمام على أنها ولاية رق . وفي الوقت نفسه أجيز انضمام مين على أنها ولاية حرة . كما أصدر الكونجرس قراراً بالغاء نظام الرق تماماً في تلك المنطقة التي حصلت عليها الحكومة من شراء لويزيانا شمال حدود ميسوري الجنوبية .

وإذا استثنينا هجرة واحدة إلى تكساس ، وراء حدود الولايات المتحدة ، نجد أن التقدم الزراعي لم يتعد نطاق ولاية ميسوري إلا بعد سنة ١٨٤٠ . وفي هذا الوقت أصبحت أقصى مناطق الغرب ميدان نشاط واسع لتجارة الفراء التي كان لها في التاريخ أهمية تفوق جميع الجلود . فكان التاجر هو رائد الطريق أمام المستعمرين في بداية حركة الاستكشاف الفرنسية في وادي المسيسيبي ، بل وفي المراحل الأولى لتقدم الإنجليز والهولنديين من ساحل المحيط الأطلنطي نحو الغرب . وقد سهل استكشاف القناصة الفرنسيين والاسكتلنديين والايرلنديين للانهار العظيمة وروافدها ، وعثورهم على جميع ممرات جبال روكي وسييرا ، الهجرة في العقد الخامس من القرن الماضي عن طريق البر ، ثم احتلال الجهات الداخلية فيما بعد . وفي سنة ١٨١٩ ووفاء لما في ذمتها من حقوق المواطن الأمريكي التي بلغت قيمتها ٥ ملايين دولار ، حصلت الولايات المتحدة من اسبانيا على كل من فلوريدا وحقوق اسبانيا في اقليم اوريجون في اقصى الغرب .

وفي سنة ١٨١٧ تولى جيمس مونرو الرئاسة خلفاً للرئيس جيمس ماديسون . ويعرف الحدث الذي وقع في عهد توليه الرئاسة والذي خلد اسمه بمبدأ مونرو .

كانت جميع العناصر لهذه السياسة في جوهرها مبادئ أمريكية معروفة تماماً . فأولاً نصح وشنطن وماديسون وجيفرسون بعدم التورط في معاهدات دائمة تسبب ارتباكاً ، ثم أعلن جيفرسون بعد ذلك المبدأ الخاص باهتمام الولايات المتحدة البالغ بتقرير مصير الممتلكات المجاورة ، وذلك عندما احتج على أسبانيا إذا تخلت عن لويزيانا لأية دولة غير الولايات المتحدة ، أما العنصر الثالث فهو مبدأ تقرير المصير الذي عبر عنه شعب الولايات المتحدة عندما شارك سكان المستعمرات الأسبانية شعورهم في نضالهم من أجل الاستقلال .

استقلال أمريكا اللاتينية

ومنذ نالت المستعمرات الإنجليزية حريتها ، والأمل يدفع شعب أمريكا اللاتينية للحصول على حرية مشابهة . وقبل سنة ١٨٢١ حصلت الأرجنتين وشيلي على استقلالهما ، وفي سنة ١٨٢٢ نال الاستقلال عدد من دول أمريكا الجنوبية الأخرى بفضل قيادة جوزي دي سان مارتن وسيمون بوليفار . ولما حل عام ١٨٢٤

لم يبق هناك سوى مستعمرات صغيرة في جزر الهند الغربية وعلى الساحل الشمالي لأمريكا الجنوبية تملكها بعض الدول الأوروبية .

وقد أحسَّ شعب الولايات المتحدة باهتمام عميق في ما بدا انه تكرار لتجربته الخاصة في التحرر من الحكم الأوروبي . وفي سنة ١٨٢٢ خول الرئيس مونرو ـ تحت ضغط شعبي قوي ـ سلطة الاعتراف بالدول الجديدة التي كان من بينها كولومبيا ، وشيلي ، والمكسيك ، والبرازيل . وسرعان ما تبادل معها الممثلين الدبلوماسيين كدول تحكم نفسها بنفسها ومستقلة ، وفي حل تام من روابطها الأوروبية السابقة .

وفي هذا الوقت بالذات شكلت دول وسط اوروبا اتحاداً عرف باسم « الحلف المقدس » ، وذلك لحماية نفسها ضد الثورات . وقد اعتنقت دول هذا الحلف مبدأ التدخل في البلاد التي هددت فيها الحركات الشعبية عروش الملوك ، على أمل منع امتداد الثورات الى ممتلكاتها الخاصة . وكانت هذه السياسة تناقض تماماً المبدأ الأمريكي الخاص بحق تقرير المصير .

الولايات المتحدة تقاوم التهديد الاوروبي

وعندما وجه الحلف انتباهه الى اسبانيا ومستعمراتها في العالم الجديد . كان ذلك بمثابة صدمة عنيفة لثقة الولايات المتحدة في دوام الحكومات الجديدة في أمريكا الجنوبية . فقد بدا ذلك العمل في نظر الولايات المتحدة التي سارت منذ سنين على سياسة العزلة التي وضعها وشنطن وهاملتون وجيفرسون ، محاولة فاضحة من جانب عدة دول اوروبية لاحتلال الممتلكات التي حررت نفسها من اسيادها السابقين .

وفي ٢ ديسمبر ١٨٢٣ ، قدم مونرو إلى الكونجرس رسالته السنوية التي اشتملت عدة فقرات منها على جوهر مبدأ مونرو وهي :

١ ـ إن قارتي أمريكا ، بما تتمتعان به وتحافظان عليه من حرية واستقلال ، أصبحتا غير خاضعتين لاستعمار أي دولة أوروبية في المستقبل .

٢ ـ إن النظام السياسي للدول المتحالفة يختلف تماماً عن نظام أمريكا . ويجب أن نعتبر أية محاولة من جانب تلك الدول لفرض نظامها على أي جزء في هذا النصف من الكرة الأرضية خطراً على سلامنا وأمننا .

٣ ـ لم نتدخل ولن نتدخل في شؤون المستعمرات القائمة أو البلاد التابعة لأية دولة أوروبية .

٤ ـ لم نساهم بتاتاً بأي نصيب في الحروب التي نشبت بين الدول الأوروبية لأمور خاصة بها . كما أنه ليس مما يتفق مع سياستنا أن نفعل ذلك .

وفي الوقت الذي أوضح فيه مبدأ مونرو السياسة الأمريكية والشؤون الدولية ، وتركز الاهتمام الداخلي في حملة الرئاسة الانتخابية القادمة ، وأسفر النضال العنيف بين خمسة من المرشحين للرئاسة بينهم أندرو جاكسون بطل معركة نيوأورليانز ، عن انتخاب

جون كوينسي آدمز نجل جون آدامز ، الرئيس الثاني للولايات المتحدة .

وأثناء مدة رئاسته حدثت تشكيلات حزبية جديدة فأطلق أتباع آدمز على أنفسهم اسم « الجمهوريين الوطنين » ، ثم أصبح يطلق عليهم فيما بعد اسم « الهويجز » . ورغم انه ادار دفة الحكم بأمانة وكفاية ، لم يكن آدامز بالرئيس الشعبي واتسمت ادارته بسلسلة من المشروعات الفاشلة . من ذلك مثلاً فشله في جهوده من أجل انشاء شبكة قومية للطرق والقنوات . كما بدت سنوات حكمه عبارة عن حملة طويلة لاعادة انتخابه . وبرودة مزاجه الفكري لم تكسب اصدقاء . وعلى العكس كان جاكسون يتمتع بجاذبية شعبية كبيرة لا سيما بين اتباعه في الحزب الديمقراطي الجديد . وفي انتخاب سنة ١٨٢٨ تفوقت قوات جاكسون تفوقاً ساحقاً على آدمز ومؤيديه .

وسجل رجال الغابات الداخلية العصاميون الذين شيدوا صرح الولايات غرب الليجني ، في دساتيرهم ، الأفكار الديمقراطية التي تتصف بها الحدود . فما حلت سنة ١٨٢٨ حتى كان لفلسفتهم أثر كبير في تحرير الجماهير في معظم الولايات القديمة . وكان الغرب منذ حرب سنة ١٨١٢ يحفظ توازن القوى في الاتحاد ، فتحول الآن مركز الثقل السياسي نهائياً – كما انتقل مركز السكان – عن الجهات الساحلية عندما بلغت ديموقراطية الغرب الفتية أشدها . وساعد على اعتلاء ابن المسيسيبي المفضل جاكسون ، الرئاسة .

جاكسون رئيس قوي

وفي أواخر فترة رئاسته الاولى ، اضطر جاكسون مرغماً لأن يقسو على ولاية كارولينا الجنوبية فيما يختص بموضوع تعريفة الحماية . لقد كان رجال الأعمال في الولاية يأملون ان يستخدم الرئيس جاكسون سلطته لتعديل قوانين التعريفة التي عارضوها مدة طويلة . فقد كان يبدو لهم ان جميع فوائد الحماية كانت تذهب الى أرباب المصانع في الشمال ، وانه في الوقت الذي كان يزداد رخاء البلاد ككل ، كانت تزداد كارولينا الجنوبية فقراً بسبب تحمل زراعتها عبء ارتفاع الاسعار. ومع ذلك فعندما أقرّ الكونجرس في سنة ١٨٣٢ قانوناً خاصاً بتعريفة جمركية جديدة ، بادر جاكسون إلى توقيعه دون تردد .

ومن ثمَّ شكل سكان كارولينا الجنوبية « حزب حقوق الولايات » الذي أقرَّ مبدأ « الالغاء » والذي يقول بان لمجلس نواب الولاية الحق في اعتبار اي قانون يسنه الكونجرس باطلاً من الناحية الدستورية ولا يكون نافذ المفعول داخل حدود الولاية . وذهبت كارولينا الجنوبية الى أكثر من ذلك فهددت بالانفصال عن الاتحاد اذا أجاز الكونجرس اي قانون باستخدام القوة ضدها .

ورداً على هذا التهديد ارسل جاكسون في نوفمبر سنة ١٨٣٢ ، الى تشارلستون سبعة مراكب بحرية صغيرة وسفينة حربية مزودة بالأوامر كي تكون على أهبة العمل

في الحال. وفي ١٠ ديسمبر اصدر تصريحاً ضد اصحاب « الالغاء » كان له صدى كبير. فأعلن الرئيس ان كارولينا الجنوبية تقف على « شفير حفرة من العصيان والخيانة » ودعا أهالي الولاية الى أن يؤكدوا من جديد ولاءهم للاتحاد الذي حارب أسلافهم من اجله.

فكرة الاتحاد تنتصر

عندما عرضت مسألة الضرائب الجمركية على الكونجرس مرة أخرى. سرعان ما بدا جلياً للعيان أن رجلاً واحداً هو الذي يستطيع أن يدير دفة الأمور في الكونجرس للوصول الى حل وسط. ذلك هو الشيخ هنري كلاي أكبر دعاة الحماية. واجيز مشروع القانون الذي وضعه كلاي بسرعة في سنة ١٨٣٣. ونصت التعريفة الجديدة على خفض الضرائب التي تزيد قيمتها على ٢٠ ٪ من قيمة البضاعة المستوردة على مراحل يسيرة بحيث تصل الضرائب على جميع السلع، عندما يحل عام ١٨٤٢. إلى مستوى التعريفة المعتدلة التي قررت سنة ١٨١٦.

وكان زعماء الإلغاء في كارولينا الجنوبية يتوقعون تأييد الولايات الجنوبية الأخرى. غير أن هذه الأخيرة أعلنت. بلا استثناء. أن مسلك كارولينا الجنوبية يتنافى مع الحكمة والدستور. وفي النهاية الغت كارولينا الجنوبية قرارها وخرج الفريقان وكل منهما يدعي النصر. وقد أدى ذلك العمل الى اضطرار جاكسون لتقييد الحكومة الاتحادية بمبدأ سيادة الاتحاد. ولكن ظهور كارولينا الجنوبية بمظهر المقاومة حقق لها عدداً كبيراً من المطالب التي كانت تنشدها. واثبتت ان اية ولاية تستطيع بمفردها ان تملي سياستها على الكونجرس.

وحتى قبل ان تسوّى قضية الالغاء حدث خلاف آخر مثير تحدى زعامة جاكسون. ويتعلق بموضوع تجديد امتياز بنك الولايات المتحدة الثاني. فقد تأسس البنك الأول للولايات المتحدة في سنة ١٧٩١ بفضل هاملتون وحصل على امتياز مدته عشرون سنة. وعلى الرغم من ان الحكومة كانت تمتلك بعض اسهمه فلم يكن بنكاً حكومياً، وانما كان شركة خاصة تؤول ارباحها الى حملة الأسهم. وقد كان هدف البنك تدعيم النقد وتنشيط التجارة. غير انه كان موضع سخط بعض الناس الذين شعروا ان الحكومة انما تمنح امتيازات خاصة الى رجال قلائل من ذوي النفوذ.

وفي خلال السنوات القليلة التالية كانت الأعمال المصرفية في ايدي بنوك رخصت الولايات بانشائها. فأحدثت ارتباكاً كبيراً من جراء اصدار من العملة كميات عجزت عن تغطيتها. وبدا عجز البنوك عن امداد الدولة بعملة واحدة واضحاً. وفي سنة ١٨١٦ منح بنك ثان للولايات المتحدة ـ وهو شبيه بالأول ـ امتيازاً مدته عشرون سنة.

ومنذ تأسيسه، لم يلق البنك الثاني تأييداً من المناطق الحديثة في البلاد، او من أصحاب الأعمال الصغيرة. وادعى معارضوه ان البنك قد احتكر السمعة المالية والعملة

في البلاد وانه يمثل مصالح نفر قليل من الأثرياء . وقد كانت إدارة هذا البنك حسنة على وجه العموم وقام بخدمات جليلة للأمة ، ولكن جاكسون . الذي انتخب باعتباره زعيماً شعبياً لمناهضة هذا البنك ، اعترض اعتراضاً شديداً على مشروع القانون الخاص بتجديد امتيازه ، وهاجم شرعية البنك كما قاوم الرغبة في استمراره وبقائه .

وفي الحملة الانتخابية التالية كانت مسألة البنك ـ التي تضاربت الآراء فيها بين الطبقات التجارية والصناعية والمالية من جهة ، وبين عناصر العمال والمزارعين من جهة أخرى ـ أي بين أولئك الذين كانوا يحسون تطرف الديمقراطية الجديد وبين الذين رغبوا في أن يؤيدوا جاكسون تأييداً تاماً ـ هي الموضوع الذي احتل مركز الصدارة ، وجاءت النتيجة إقراراً رائعاً « لنظرية جاكسون » .

وقد اعتبر جاكسون إعادة انتخابه بمثابة تفويض من الشعب لسحق البنك سحقاً لا قيام له بعده . وكان في عقد البنك نص يخول الرئيس سلطة سحب الأموال الحكومية . فاستخدم الرئيس ذلك السلاح . وفي أواخر سبتمبر سنة ١٨٣٣ أصدر جاكسون أمراً بعدم إيداع الأموال الحكومية في بنك الولايات المتحدة . وسحب الأموال التي في عهدة البنك تدريجياً لمواجهة مصروفات الحكومة العامة ، ثم عمد الى مصارف الولايات فاختار أكثرها تدعيماً وفرض عليها قيوداً مشددة .

وقد امتاز جاكسون في معالجة الشؤون الخارجية بنفس الحيوية والصراحة التي صاحبت تصرفاته في تصريف الشؤون الخارجية . فعندما توقفت فرنسا عن أداء بعض ديونها الى الولايات المتحدة أمر جاكسون بالاستيلاء على الممتلكات الفرنسية مما أجبر فرنسا على الدفع ، ولما ثارت تكساس على المكسيك وطلبت الانضمام الى الولايات المتحدة آثر بحكمته ودبلوماسيته اتخاذ موقف التريث .

ولأنه لم يكن لدى الأحزاب السياسية المعارضة لجاكسون أمل في النجاح طالما كانت منقسمة على نفسها وتعمل من أجل أغراض متضاربة ، فقد بذلت محاولات لجمع شتات العناصر الساخطة تحت لواء حزب واحد عرف باسم « الهويجز » . ورغم أن هذه العناصر نظمت صفوفها بعد الحملة الانتخابية في سنة ١٨٣٢ ، إلا أنها قضت أكثر من عشر سنوات قبل أن توفق بين وجهات النظر التي تمثلها وقبل أن تتمكن من وضع خطة لها . وبفضل جاذبية وقوة هنري كلاي ودانيال ويبستر . أقدر سياسيين وأبرز رجلين . استطاع الحزب حفظ تماسكه . ولكن في انتخابات سنة ١٨٣٦ ، كان « الهويجز » ما يزالون جماعة بعيدة عن الانسجام بعداً شاسعاً . فلم يجمعوا رأيهم على شخص واحد أو برنامج مشترك . ولذا فاز في النضال مارتن فان بورين الذي كان يتمتع بتأييد جاكسون . غير أن فترة التدهور الاقتصادي التي صاحبت عهده ، وطغيان شخصية سلفه . قد غطيا على مزاياه . فلم يقابل الناس قوانين « فان بورين » العامة ـ مثل قانون العشر ساعات لعمال الحكومة ـ بأية حماسة . ذلك لأنه كانت تنقصه صفات الزعامة القوية والطابع المثير ، وهي الصفات التي صاحبت جميع تصرفات جاكسون .

وجرت انتخابات سنة ١٨٤٠ والبلاد تنوء تحت ضغط الظروف الناشئة والأجور المنخفضة فوقف الديمقراطيون موقف الدفاع .

وكان مرشح « الهويجز » للرئاسة هو وليم هنري هاريسون (من أوهايو) وكان يعتبر ـ مثل جاكسون ـ ممثلاً حقيقياً للغرب الديمقراطي . وكان يتمتع بسمعة شعبية طيبة باعتباره بطل معركة تيبكانو في حرب سنة ١٨١٢ . وكان المرشح لمنصب نائب الرئيس هو جون تايلر الذي شاعت في الجنوب آراؤه الخاصة بحقوق الولايات والتعريفة المخفضة . ثم كانت النتيجة نصراً مبيناً « للهويجز » . ولم ينقض شهر على تولية هاريسون سلطته الدستورية ـ وكان في الثامنة والستين من عمره ـ حتى وافته المنية وخلفه تايلر في منصب الرئاسة . وكان تايلر يختلف في ارائه مع كلاي وويبستر اللذين كانا أبعد الرجال أثراً وأقواهم نفوذاً في البلاد حتى ذلك الوقت . وكان خليقاً بهذه الخلافات أن تؤدي إلى انقسام صريح قبل أن ينتهي عهد تايلر . فنبذ الحزب الرئيس الذي انتخبه .

التحرير السياسي يغزو المجتمع

وعندما تولى أندروجاكسون منصب الرئاسة سنة ١٨٢٩ . كان هناك تيار من القلق والثورة يشق طريقه في أنحاء العالم الغربي كله . ومع أن روح الإصلاح في أمريكا اعتمدت على قوتها الخاصة . إلا أنها كانت منسجمة تماماً مع تيار التطور العالمي . ولم يكن تطرف الديمقراطيين السياسي في الحركة التي أوصلت جاكسون الى الرئاسة . سوى مظهر من مظاهر تقدم الشعب في سبيل اكتساب حقوق أعم وفرص أوسع .

وقد رافقت حركة التحرير السياسي بداية التنظيم العمالي . وفي سنة ١٨٣٥ نجحت هيئات العمال في فيلادلفيا في إقرار ما كانت تنشده من إصلاح . وهو العمل عشر ساعات يومياً بدلاً من اليوم القديم الذي كان يبدأ مع الفجر وينتهي في الغروب . ولم يكن هذا العمل سوى مقدمة لاصلاحات مشابهة في أماكن أخرى مثل نيوهامشير . وورود أيلاند ، وأوهايو وولاية كاليفورنيا الجديدة التي انضمت الى الاتحاد سنة ١٨٥٠ .

وكان نشاط العمال وتحمسهم للإصلاح الإنساني من العوامل الأساسية في الحركة التقدمية في ذلك الوقت لا سيما في نضالهم من أجل الديمقراطية للتعليم . وقد أدى انتشار حق البالغين في الانتخاب الى نشوء نظرية جديدة في التعليم . إذ أدرك بعض الساسة من ذوي الفكر الثاقب خطورة حق التصويت العام إذا ما اقترن بجهل عام . وكانت تؤازر جهود أمثال « ديويت كلنتن » في نيويورك . وابراهام لنكولن في إلينوى . وهوراس مان في مساتشوستس ، أعمال الإثارة المستمرة التي تقوم بها منظمات العمال في المدن الذين طالب زعماؤهم بفتح مدارس مجانية لجميع الأطفال تنفق عليها الدولة ولا يطبعها طابع الإحسان . وما لبثت الولايات ـ واحدة إثر أخرى ـ أن أقرت القانون الذي يكفل التعليم المجاني . وانتشر نظام المدارس العامة في الشمال . واستمر الجهاد من أجل هذا النظام قائماً في أماكن أخرى لسنوات طويلة .

وكان للاصلاحات التي حررت الرجال من كثير من قيودهم القديمة ، فضل في إدراك النساء أنهن لا يتمتعن بمركز المساواة في المجتمع . فمنذ أيام الاستعمار كانت المرأة غير المتزوجة تتمتع في كثير من النواحي بالحقوق الشرعية التي يتمتع بها الرجل سواء بسواء ، ولكن العرف كان يتطلب منها الزواج المبكر . فيفقدها الزواج شخصيتها المستقلة في نظر القانون . ولم يكن يسمح للمرأة بمزاولة حق الانتخاب . وكان تعليمها يقتصر الى حد كبير على القراءة والكتابة والموسيقى . والرقص ، واشغال الإبرة .

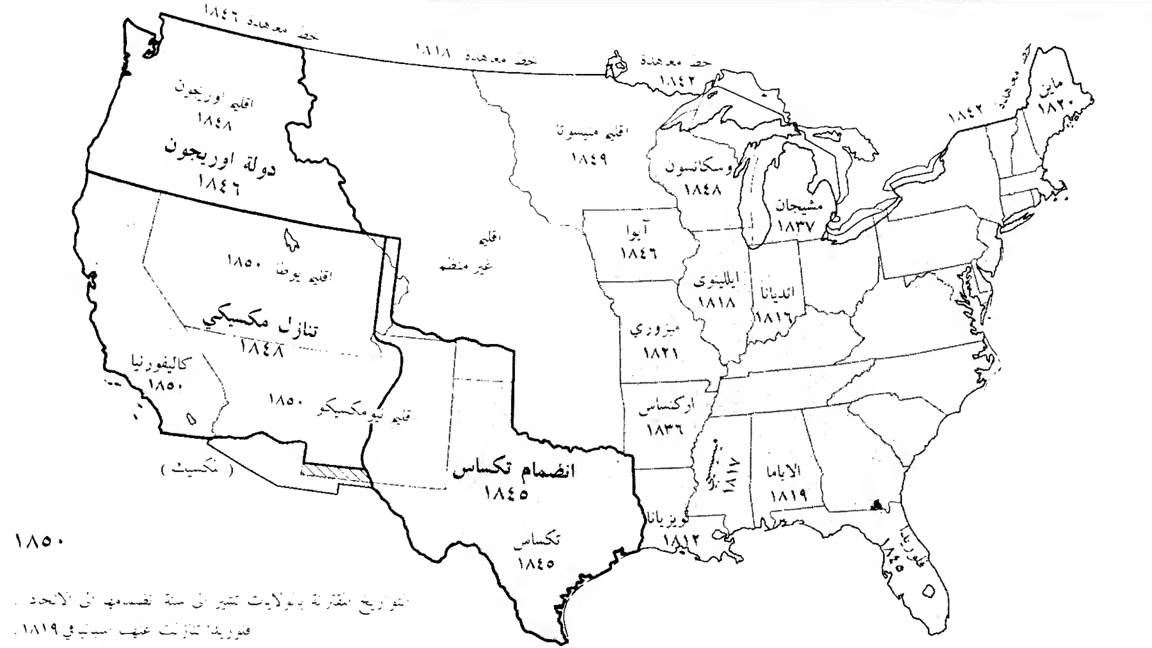
ولقد بدأت النهضة النسوية عندما زارت أمريكا فرنسيس رايت وهي سيدة اسكتلندية لها آراء تقدمية . وقد أذهل الجمهور ظهورها أمام المستمعين لإلقاء محاضرات في اللاهوت وحقوق المرأة . ومهما يكن من أمر فقد دفع الاقتداء بها شخصيات كبيرة في الحركة النسوية الأمريكية الى العمل مثل لوكريشياموت ، من جماعة « الكويكرز » بفيلادلفيا ، وسوزان أنتوني ، وإليزابث كادي ستانتن اللائي لم يعبأن بازدراء الرجال ، وكثيرات من النساء أيضاً ، عندما وجهن نشاطهن الى إلغاء الرق وإلى الحركة النسائية ، وإلى الخدمة الاجتماعية في محيط العمال .

ولم تعدم زعيمات الحركة النسوية مؤيدين لهن ، فقد حاضر وعمل من أجلهن رجال بارزون امثال رالف والدوامرسن . وابراهام لينكولن . وهوراس جريلي . وعلى الرغم من أن هذه الفترة كانت فترة إثارة وتحريض أكثر منها فترة إنجاز عمل ـ فقد تمت فيها تحسينات ملموسة . ففي سنة ١٨٢٠ فتحت إماويلارد كلية للبنات . وفي سنة ١٨٣٧ تأسس معهد ماونت هليوك للنساء وكان في مستوى الكليات . غير أن هناك حدثاً اتسم بالجرأة وأثار اهتماماً شديداً ، ذلك هو التعليم المشترك بين البنين والبنات وهو الذي تولت زعامته كليات ثلاث في أوهايو ، وهي أوبرلين في سنة ١٨٣٣ ، وأربانا في سنة ١٨٥٠ ، وأنتيوك في سنة ١٨٥٣ . وفي سنة ١٨٤٨ ، عقد مؤتمر حقوق المرأة ، وهو أول مؤتمر في تاريخ العالم ، في سنيكافولز ، بنيويورك . وقد أصدرت العضوات بياناً طالبن فيه بالمساواة مع الرجال امام القانون وبتكافؤ الفرص التربوية والاقتصادية ، وحق الانتخاب .

دور الثقافة والصناعة

وفي هذه الأعوام وجدت ثقة الشعب بنفسه متنفساً فعبرت عن نفسها في صورة سيل متدفق من الأدب . في نهاية العقد الرابع من ذلك القرن كان هناك نتاج وافر من الأدب الأمريكي . فبدأ هنري وادسورث لونجلفو ، وجون جرينليف ويتير ، وأوليفر وندل هولمز ، وجيمس روسيل لوويل قرض الشعر . وبشر الفيلسوف رالف والدو إمرسن بمبدأ الانفرادية ونبل الإنسان في شعر ونثر خالدين . وكان نثانائيل هوثورن وإدجار ألن بو مثالاً لمرونة الفكر الأمريكي ، وذلك بالتعبير عن خبرة الناس وما فيها من غموض ومظاهر خارقة لطبيعة الأشياء .

وعلى الرغم من أن أكثر أولاء الرجال نالوا شهرتهم الخالدة عن طريق الكتابة



١٨٥٠

التواريخ المقترنة بالولايات تشير الى سنة انضمامها الى الاتحاد .

فلوريدا تنازلت عنها اسبانيا في ١٨١٩ .

كانت تكساس جمهورية مستقلة من ١٨٣٦ الى ١٨٤٥

دولة اوريجون ، تسمية تقررت بمعاهدة مع بريطانيا العظمى .

صفقة شراء الجزء الغربي من تكساس من المكسيك تمت في سنة ١٨٥٠ .

المصدر : المساحة الجيولوجية الأمريكية

والتأليف فإن كثيرين منهم قد ساهموا بنصيب وافر في النضال الإنساني والسياسي في ذلك العصر . فكان ويتير أمير الشعراء بلا منازع في الحملة ضد الرق . ونشر لونجفلو ديوانه المسمى « قصائد عن الرق » في سنة ١٨٤٢ . وشغل لوويل مركز رئيس تحرير مجلة « بنسلفانيا فريمان » . واقترن نشاط وليم كالن برايانت الرائع في ميدان الشعر برئاسته البارزة لتحرير صحيفة « نيويورك إيفننج بوست » من سنة ١٨٢٩ الى سنة ١٨٧٨ .

وقد أيقظت اتجاهات هذا العصر شغفاً جديداً بدراسة تاريخ الجمهورية . وكان ذلك بداية المنح الدراسية (جوائز التفوق الدراسي) في التاريخ . ففي خلال العقد الرابع من ذلك القرن اضطلع جيرد سباركس ـ الذي كان قد بدأ قبل ذلك بسنوات في تحرير مجلة « نورث أميريكان رفيو » ـ بعبء تحقيق الوثائق التاريخية . من بينها مجموعات من كتابات وشنطن وفرانكلين بصفة خاصة . والمراسلات الدبلوماسية الخاصة بالثورة . وفي سنة ١٨٣٤ نشر جورج بانكرفت المجلد الأول من تاريخ الولايات المتحدة ، من زمن الاكتشافات الأولى حتى وضع الدستور . وقد ازدادت رفاهية الشعب في حياته بشكل ملموس . فبدأت بعد سنة ١٨٢٥ آلة الدرس تحل محل المدق والنورج . وبعد ذلك بقليل اخترعت آلات الحش والحصاد . وهكذا استطاعت عبقرية الشعب ـ عن طريق هذه المخترعات ـ أن تذلل إلى حد ما مهمة الاحتفاظ بوحدة الدولة أمام التوسع الجغرافي السريع . وازداد استخدام سكك الحديد في الأسفار . وفي سنة ١٨٥٠ كان باستطاعة الإنسان أن يسافر بالسكك الحديدية من ولاية مين إلى كارولينا الشمالية . ومن ساحل المحيط الأطلسي شرقاً إلى مدينة بافلو على بحيرة إيري . ومن أقصى غرب بحيرة إيري الى شيكاغو أو الى سنسناتي . واستخدم لأول مرة في سنة ١٨٤٤ التلغراف الكهربائي الذي اخترعه صموئيل مورس في سنة ١٨٣٥ . وفي سنة ١٨٤٧ استخدمت آلة الطباعة الدوارة التي وضع تصميمها ريتشارد هو والتي أحدثت انقلاباً في وسائل النشر كما لعبت دوراً كبيراً في رفع الصحافة الى مركز الزعامة في الحياة الأمريكية .

ومما يدل على نمو الأمة من سنة ١٨١٢ إلى سنة ١٨٥٢ ازدياد عدد السكان الذي ارتفع من ٧.٢٥٠.٠٠٠ نسمة تقريباً إلى أكثر من ٢٣.٠٠٠.٠٠٠ نسمة . وفي تلك الفترة ازدادت مساحة الأراضي الصالحة للاستقرار والاستعمار الى ما يقرب من مساحة أوروبا . أي من ٤.٤٢٠.٠٠٠ كيلومتر مربع إلى حوالي ٧.٨٠٠.٠٠٠ كيلومتر مربع . وإلى جانب الزراعة التي انتعشت . قامت صناعات أخرى مختلفة أخذت تتقدم تقدماً سريعاً . لا في الساحل الشرقي فحسب . بل في مدن الغرب السريعة النمو أيضاً . وهكذا توطدت دعائم الأمة في جميع نواحي استقرار حياتها الاقتصادية ونظمها السياسية وأسباب حيويتها جميعاً . غير أن المشاكل الأساسية التي استمدت أصولها من الاختلافات المحلية بقيت بدون حل إذ كان مقدراً لها أن تشعل نار الحرب الأهلية في خلال العقد التالي مباشرة .

الصـــراع الاقـــليمي

« ان بيتاً منقسماً على نفسه لا يستطيـــع البقـــاء ،
واني اعتقد ان هــذه الحكومة لن يكتب لها استقرار
أو بقـــاء ما دام نصفهـــا ارقاء والنصف الآخر أحراراً » .

ابراهام لنكولن
سبرنجفليد . الينوى ، ١٧ يونيو ١٨٥٨

في منتصف القرن التاسع عشر ، لم يكن هناك بلد في العالم تتجه اليـــه انظار الدول الاخرى اكثر من الولايات المتحدة . وقليل منها وفد اليها من مشاهير الزائرين اكثر مما وفد الى العالم الجديد . من هؤلاء الكاتب السياسي الفرنسي الكسيس دي توكفيل ، الذي لاقى كتابه « الديموقراطية في أمريكا » ، الصادر في عام ١٨٣٥ ، ترحيباً حاراً في القارة الأوروبية . واصبح الناس ينظرون الى الأمة الجديدة بعطف متزايد . وجاء الزائرون ليجدوا مدينة بوسطن وخليجها شيئاً رائعاً ، وليروا بعـــين الاعجاب الطريقة التي قامت بها « المدن الزاهرة واحـدة بعد الأخرى » في الـــبراري المقفرة ، مثل يوتيكا ، وسيراكيوز ، واوبرن ، وليجدوا في كل مكان . فيمـا هم يجتازون الولايات الشمالية « البراهين القاطعة على ما وصلت اليه البلاد من ازدهـــار وتقدم سريع في الزراعة والتجارة والمرافق العامة العظيمة » .

وفي ذلك الحين ، امتدت البلاد في جميع أنحاء القارة الى الغابات والسهول والجبال . وأقام في هذه الأرجاء النائية ثلاثة وعشرون مليون نسمة في اتحاد يضم إحدى وثلاثين ولاية . ولم تبد هذه البلاد ، التي كانت أرض الأمل ، مسرحاً للنشاط والإنتاج والعمل كما بدت في هذه الفترة . ففي الشرق ازدهرت الصناعـات . وفي أواسط الغرب والجنوب كانت الزراعة عملاً يدر الربح الوفير ، وربطت السكك الحديدية بين جميـــع المناطق الآهلة بالسكان برباط وثيق ، وتدفق الذهب الذي تفجر من مناجم كاليفورنيا في جميع ميادين التجارة .

ولكن سرعان ما تكشف لهؤلاء الزائرين أن أمريكا ليست أمريكا واحدة ، بـــل اثنتين ، واحدة في الشمال والثانية في الجنوب . كما أدركوا أن سرعة التقدم تحمل في

طياتها أخطاراً كامنة تهدد استمرار التوافق والانسجام الاقليمي . فكانت ولاية نيوإنجلند وولايات ساحل المحيط الأطلنطي هي المراكز الرئيسية للصناعة والتجارة والمال . وكانت أهم منتجات هذه المناطق المنسوجات ، والمصنوعات الخشبية ، والملابس ، والآلات ، والجلود والمصنوعات الصوفية . وفي الوقت نفسه بلغت الملاحة أقصى مراحل التقدم ، وجابت البحار السبعة سفن يرفرف عليها العلم الأمريكي توزع البضائع التي تستوردها من جميع أنحاء العالم .

وفي الجنوب كان القطن المصدر الرئيسي للثروة ، وانتشرت زراعته رغم انتشار الأرز على طول الساحل وقصب السكر في ولاية لويزيانا ، والتبغ وغيره من الحاصلات في ولايات الحدود ، كما انتشرت صناعات أخرى هنا وهناك . وتضاعف إنتاج القطن خلال العقد الخامس بعد استغلال سهول الخليج ، وهي تلك الأراضي الفتية السوداء . وحملت العربات والسفن والسكك الحديدية الأكياس الضخمة للأسواق في الشمال والجنوب . وكان القطن يزود أصحاب مصانع النسيج في الشمال واكثر من نصف صادرات البلاد ، بالمواد الخام .

وقد تمتعت بهذا الرخاء أيضاً مناطق الغرب الأوسط بمراعيها الشاسعة وسرعة ازدياد السكان فيها . وكانت كل من أوروبا والولايات الأمريكية القديمة في حاجة إلى قمح هذه الأقاليم ومنتجات لحومها . وقد سهلت سرعة استخدام الآلات تسجيل رقم قياسي في الإنتاج . وكان من أهمها آلة ماكورميك للحصاد التي استخدم منها خمسمائة في حصاد سنة ١٨٤٨ وما يزيد على مائة ألف في سنة ١٨٦٠ ، وزاد محصول القمح في الوقت نفسه من ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠ بوشل في سنة ١٨٥٠ إلى ١٧٣,٠٠٠,٠٠٠ في سنة ١٨٦٠ ، أنتج الغرب الأوسط أكثر من نصفه .

وكان تحسين وسائل النقل وتسهيلاته من أهم أسباب الرخاء في الغرب ، فقد اخترقت جبال الآبلاش خمسة خطوط حديدية بين سنتي ١٨٥٠ و١٨٥٧ . ولم يكن للجنوب نصيب كبير في شبكة الخطوط الحديدية ولم يتم إنشاء خط مستمر يخترق الجبال ويربط حوض المسيسيبي الأدنى بساحل المحيط الأطلنطي الجنوبي إلاّ في أواخر العقد الخامس .

الرق عنصر أساسي في الاقتصاد

وعلى مر السنين أخذت المصالح المتعارضة بين الشمال والجنوب تزيد بدرجة ملحوظة ، وكان أهل الجنوب يستنكرون الأرباح الضخمة التي يربحها رجال الأعمال من أهل الشمال من بيع محصول القطن وفسروا تأخرهم بتوسع الشماليين ومحاولتهم بسط نفوذهم . ومن ناحية أخرى أعلن الشماليون أن الرق ـ وهو ذلك « النظام الشاذ » الذي أقر أهل الجنوب ضرورته لحفظ كيانهم الاقتصادي ـ هو السبب في التأخر النسبي لتلك المنطقة .

ومنذ سنة ١٨٣٠ . أخذت بوادر الخلاف تظهر بل وتشتد حول مسألة الرقيق . وقد أخذ شعور المعضدين لإلغاء الرقيق يزداد قوة في ولايات الشمال . وقامت في الوقت نفسه حركة « الأرض الحرة » . وهي حركة تعارض انتشار الرقيق في المناطق التي لم تتمتع بعد بحقوق الولايات معارضة شديدة . وفي منتصف القرن التاسع عشر . كان الرقيق في رأي الجنوب تراثاً أسوة بما ورثوه من عادات وتقاليد ونظم في التمثيل السياسي واللغة الإنجليزية سواء بسواء . ومن ثم فإنهم لا يعتبرون أنفسهم مسؤولين عنه . وفي سنة ١٨٥٠ كان قد مر على الرقيق مائتا عام أو يزيد في بعض المناطق الساحلية . وكان في الواقع جزءاً لا يتجزأ من اقتصاد هذا الإقليم . وفي خمس عشرة ولاية من ولايات الجنوب والحدود بلغ الزنوج من الكثرة ما جعلهم يقاربون في العدد نصف عدد البيض . بينما كانوا في الشمال لا يتجاوزون نسبة ضئيلة لا يعتد بها .

ومنذ منتصف العقد الخامس من القرن التاسع عشر احتلت مشكلة الرقيق المكانة الأولى في السياسة الأمريكية . وكان الجنوب ــ من المحيط الأطلنطي إلى نهر المسيسبي وفيما وراء المسيسبي ــ وحدة سياسية متماسكة نسبياً ومتفقة في جميع الخطوط الرئيسية المتصلة بسياسة الرقيق وزراعة القطن . وكانت أغلبية المزارعين من أهل الجنوب تعتبر الرقيق عاملاً أساسياً في كيانها الاقتصادي وكانت زراعة القطن في ذلك الوقت تلائمها عملية استخدام العبيد ملاءمة تامة . اذ كانت الآلات البدائية فقط هي التي تستخدم في إنجاز العمل الذي كان يستغرق تسعة شهور من العام . ولذا استخدمت النساء والأطفال أيضاً .

احتدام الجدل حول مشكلة الرقيق

وفي ذلك الحين أصبح زعماء الجنوب . وأصحاب المهن . ومعظم رجال الكنيسة لا يعتذرون عن وجود الرقيق . بل أصبحوا من الداعين له في حماسة وبطولة . إذ كانوا يعتقدون أن ذلك النظام يعود على الزنوج بالنفع العظيم . وأصرّ كتاب الجنوب على أن الصلة بين رأس المال والعمل . ظاهرة إنسانية أشد وأقوى في ظل نظام الرقيق منها في ظل نظام الأجور عند أهل الشمال . وكان « نظام الأبوة » في حكومة المزرعة قبل سنة ١٨٣٠ . الذي اشتهر بأساليبه اللينة القائمة على حكم السيد لعبيده واشرافه الشخصي عليهم لا يزال السمة المميزة . غير ان تغيراً ملحوظاً بدأ يتجلى في الموقف بعد سنة ١٨٣٠ . باستخدام وسائل انتاج القطن على نطاق اوسع في اقصى الجنوب . فقد تلاشى تدريجياً الاشراف الشخصي الدقيق للسيد (صاحب الأرض) على عبيده . وبدأ السيد في استخدام الملاحظين المحترفين الذين كانت سمعتهم تعتمد على مقدرتهم في استغلال العبيد الى أقصى حدّ مستطاع .

وفي الوقت الذي كان عدد من المزارعين لا يزالون يعاملون الزنوج معاملة طيبة ، كانت هناك أمثلة للقسوة والغلظة ولا سيما تلك التي أدت إلى تحطيم الروابط العائلية . ولم تكن وحشية الملاحظين هي سبب الانتقاد الصارم للرق . بل كان السبب هو انتهاك ما يتمتع به كل إنسان من حق طبيعي في أن يكون حراً .

وعلى مر السنين أصبحت زراعة القطن ونظام العمل الذي تسير عليه مجالاً واسعاً لاستثمار رؤوس أموال ضخمة . فبعد أن كان محصول القطن تافهاً قفز في سنة ١٨٠٠ إلى ما يقرب من ١٦ مليون كيلوجرام . وفي سنة ١٨٢٠ ارتفع الى ٧٢ مليون كيلوجرام . وفي سنة ١٨٤٠ وصل الا الى ما يزيد على ٣٠١.٥٠٠.٠٠٠ كيلوجرام . وفي سنة ١٨٥٠ كانت سبعة أثمان حاجات العالم من القطن تزرع في الولايات الأمريكية الجنوبية .

وقد استتبع هذه الزيادة زيادة أخرى في الرقيق وأصبح الهدف الرئيسي لسكان الجنوب في مضمار السياسة الوطنية ، الدفاع عن مصالحهم التي تتمثل في زراعة القطن وحيازة الرقيق ثم تدعيم هذه المصالح والتوسع فيها . فكان من أهدافهم الرئيسية توسيع حدود المنطقة المزروعة قطناً إذ كانت الضرورة تقضي بذلك التوسع ، لأن نظام زراعة المحصول الواحد ، وهو القطن ، قد أنهك خصوبة لأرض . فكان لا بد من الحصول على مناطق خصبة جديدة . وكان الجنوب في حاجة أيضاً ــ من ناحية النفوذ السياسي ــ إلى أراض جديدة تقوم عليها ولايات أخرى من أصحاب الرقيق بحيث تحفظ التوازن مع الولايات الحرة الجديدة . ولكن الشماليين المناهضين للرق ما لبثوا أن أدركوا ذلك الهدف واعتبروه مؤامرة دنيئة هدفها التوسع في بسط نظام الرقيق . وفي العقد الرابع من القرن التاسع عشر تجلت مناهضة الرق على أشدها .

على أن هنالك حركة سبقت هذه الحركة في ميدان مكافحة الرقيق . وكانت هذه الحركة إحدى النتائج التي تمخضت عنها الثورة الأمريكية وحققت أغراضها بالنصر النهائي حين ألغى الكونجرس تجارة الرقيق مع إفريقيا عام ١٨٠٨ . ثم اقتصرت المعارضة بعد ذلك على جماعة « الكويكرز » الذين دأبوا على إعلان احتجاجهم . وكانت معارضتهم تتسم باللين ، كما كانت عديمة الأثر في الوقت الذي كانت مصانع حلج القطن تتطلب مزيداً من العبيد . وشهد العقد الثالث من القرن التاسع عشر مظهراً جديداً من مظاهر الإثارة والتحريض مرجعه الحركة المطردة نحو المثل الديموقراطية العليا التي خلقها ذلك العصر والاهتمام الجديد بالعدالة الاجتماعية لجميع الطبقات .

وكانت حركة إلغاء الرق في أمريكا ــ في مراحلها المتطرفة ــ حرباً لا هوادة فيها ، وتصر على الغائه فوراً . وقد وجدت هذه الحركة المتطرفة في شخص وليم لويد جاريسون زعيماً ملهماً ، وهو شاب من ولاية مساتشوستس جمع بين بطولة الاستشهاد والفدائية وبين مقدرة الخطيب المفوّه في دعوته .

وفي أول يناير سنة ١٨٣١ ، ظهر العدد الأول من جريدته « لبريتور » معلناً « إني سوف أكافح بكل جهدي في سبيل تحرير الرق بين السكان فوراً ... لست أريد أن

أفكر أو أتكلم أو أكتب باعتدال في هذا الموضوع ... إنني جاد فيه ... لن أرائي ولن أتلمس الأعذار ولن أتراجع قيد أنملة . سوف أسمع العالم صوتي » . وقد أيقظت أساليب جاريسون المثيرة كثيرين من أهل الشمال . وفتحت عيونهم على مساوئ ذلك النظام الذي طالما اعتبروه ثابتاً لا يتغير . وكان يرمي في سياسته الى إظهار بشاعة نظام الرق والتنديد بها أمام الرأي العام ، كما ندد بسادة هؤلاء العبيد ومن يدافعون عنهم ، واتهمهم بأنهم جلادون يتجرون في بني الانسان . وكان لا يعترف للسادة بأي حق . كما لا يعترف بأوساط الحلول ولا يسمح بأي تأخير . بيد أنه كان بين الشماليين قوم معتدلون لا يرغبون في مشاركته هذه الأساليب التي تتحدى القانون وكانوا يعتقدون أنه يجب أن يتم الإصلاح بطريق سلمي مشروع .

ولقد مرت حركة مكافحة الرق بمرحلة بدأت فيها مساعدة العبيد على الفرار في جنح الظلام الى ملاجئ آمنة في الشمال أو عبر الحدود إلى كندا . وعرفت هذه الحركة باسم « الطريق الحديدي السري » . ولقد أنشئت في العقد الرابع شبكة مستديمة دقيقة من الطرق السرية في جميع أنحاء الشمال يسلك الهاربون سبيلها . وكانت هذه الحركة أكثر نجاحاً في الإقليم الشمالي القديم . وقد قدر عدد العبيد الذين ساعدتهم هذه الحركة على التحرر بما لا يقل عن أربعين ألف هارب في أوهايو وحدها . وذلك في المدة بين سنة ١٨٣٠ وسنة ١٨٦٠ . وازداد عدد الجمعيات المحلية المناهضة للرقيق زيادة عظيمة . حتى بلغ عددها في سنة ١٨٤٠ نحو ألفين . وبلغ عدد أعضائها مائتي ألف على وجه التقريب .

وعلى الرغم من جهود أنصار حركة الإلغاء واهتمامهم بجعل الرق مسألة ضمير بالنسبة لكل رجل وكل امرأة ، كان أهل الشمال عامة ينفرون من الاشتراك في هذه الحركة . واعتقدوا نظراً لأنهم كانوا منهمكين في شؤونهم الخاصة . أن الرق مشكلة يقع عبء حلها على أهل الجنوب عن طريق التشريع في الولايات .

وفي سنة ١٨٤٥ تحولت مشكلة الرق من مسألة أخلاقية الى قضية سياسية لا تخمد نارها ، وكان ذلك بفضل انضمام تكساس ثم المقاطعات الواقعة في الجنوب الغربي التي تم الاستيلاء عليها نتيجة لحرب المكسيك . وحتى ذلك الحين . كان يبدو أن نظام الرقيق سوف يقتصر على مناطقه الحالية التي حددتها اتفاقية ميسوري سنة ١٨٢٠ والتي لم تكن هناك فرصة للتغاضي عنها أو تخطيها . ولكن فكرة التوسع في نشر ذلك النظام الشاذ قد تجددت بعد أن ضمت للاتحاد ولايات افترضت صلاحيتها لنظام الرقيق وأصبح ذلك حقيقة محتملة .

كان كثيرون من أهل الشمال يعتقدون أنه إذا انحصر ذلك النظام في حدود ضيقة فإنه سوف يزول في النهاية . وقد أشاروا في تبريرهم مقاومة الزيادة في ولايات الرقيق إلى ما قاله وشنطن وجيفرسون . وإلى قرار سنة ١٧٨٧ الذي حظر امتداد الرقيق إلى الشمال الغربي . ولما كان في تكساس عبيد من قبل . كان من الطبيعي أن تدخل

الاتحاد كولاية رقيق . ولكن كاليفورنيا ، ونيومكسيكو ، ويوتاه لم تكن تعرف نظام الرقيق . ولما تهيأت الولايات المتحدة لضم تلك المناطق سنة ١٨٤٦ ، كانت هنـــاك اقتراحات متضاربة عما يجب أن يصنع بها . فأشار أهل الجنوب المتطرفون بفتح هــذه الأراضي التي حصلت عليها أمريكا من المكسيك على مصراعيها لملاك العبيد . وطالب الشماليون الأقوياء المناهضون للرق ، بان تقفل كل المناطق الجديدة في وجـه الرق . واقترحت جماعة المعتدلين أن يمتد خط اتفاق ميسوري إلى المحيط الهادي على أن تكون الولايات الحرة إلى شماله وولايات العبيد إلى جنوبه . وكانت هناك جماعة معتدلــة أخرى افترضت ترك مسألة « السياسة الشعبية » ، أي أن تسمح الحكومة بتدفق المهاجرين إلى الأرض الجديدة بعبيدهم إن شاءوا أو بدون عبيد ، وعندما يحل وقت تنظيم المنطقة وتقسيمها إلى ولايات يكون للناس أنفسهم حتى الفصل في تلك المسألة .

وكان رأي أهل الجنوب يقول بحق وجود الرقيق في جميع المقاطعات بينما أكـد أهل الشمال الرأي القائل بأن لا حق هناك لوجود الرقيق في أي منها . وفي سنة ١٨٤٨ صوت نحو ثلاثمائة ألف رجل لمرشحي « حزب الأرض الحرة » الذي اعلن أن أفضل سياسة هي تلك التي « تحد من العبودية وتحصرها وتناهضها » .

وقد عجل اكتشاف الذهب في كاليفورنيا في يناير سنة ١٨٤٨ ، باندفـــاع أكثر من ٨٠ ألف مهاجر من الباحثين عن الذهب في سنة ١٨٤٩ وحدها . وأصبحت كاليفورنيا مشكلة معقدة إذ كان على الكونجرس أن يقرر مصير هذه المنطقة الجديدة قبل أن تنشأ فيها حكومة منظمة . وأصبح السناتور هنري كلاي محط آمال الأمة بعد أن تصــدر الصفوف مرتين من قبل وفي أوقات عصيبة ، وتقدم باتفاقيات وحلول للمشاكل ، وقد حال الآن مرة أخرى وبخطة بارعة ، دون نشوب نزاع اقليمي خطر .

وكان مشروعه ، بعد تعديله في الكونجرس يقترح – مع ما تضمنه من مسائــل أخرى – الاعتراف بكاليفورنيا كولاية ذات دستور يحتم « حرية الأرض » (أي يحرم فيها الرق) بينما يقسم ما تبقى من الأراضي المنظمة إلى مقاطعتي نيومكسيكو ويوتا دون إشــارة الى الرقيق ، كما يقترح أن تتنازل تكساس عن الجزء الذي تطالب بـــه من نيومكسيكو مقابل دفع عشرة ملايين دولار ، وأن تتخذ الإجراءات الفعالة للقبض على العبيد الهاربين وإعادتهم الى سادتهم ، وأن تلغى النخاسة (لا الرق) في مقاطعة كولومبيا . فوافق الكونجرس على هذه التدابير التي اشتهرت في التاريخ الأمريكي باسم « اتفـــاق سنة ١٨٥٠ » وتنفست الأمة الصعداء .

وقد بدا في السنوات الثلاث التالية أن ذلك الاتفاق سوّى جميع أسباب الخلاف على وجه التقريب . أما التوتر فقد ظل في الخفاء وأخذ في الازدياد ، إذ أغضب قـانون العبيد الهاربين الجديد كثيرين من أهـل الشمال ، فرفضوا المساهمة في القبض على العبيد ، بل ساعدوهم على الفرار ، وأصبحت جمعية « الطريق الحديدي السري » أكثر مهـارة وأكثر جرأة مما كانت من قبل .

تفاقم النزاع بين الأقاليم

اولئك الذين اعتقدوا ان مشكلة الرقيق ستحل من تلقاء نفسها . انما كانوا يعتمدون على السياسيين والصحفيين فقط . وقد برهنت الأيام على ان كتابا واحداً . صدر في سنة ١٨٥٢ . سيحدث من الاثر ما يفوق اثر رجال التشريع والصحافة : وهو « قصة كوخ العم توم » لـ هاريت بيتشر ستو.

وعندما جلست السيدة ستو لتكتب روايتها كانت تعتبرها مجرد عرض بسيط . غير انها اخذت تزداد عمقاً مع تقدم العمل . وقد احدثت على الفور . عند نشرها . هزة عنيفة . وبيع منها أكثر من ٣٠٠.٠٠٠ نسخة في السنة الاولى . واضطرت ثماني مطابع الى العمل ليل نهار لتلبية الطلبات التي انهالت عليها . وسرعان ما ترجمت الى عدة لغات.

لقد أظهرت الرواية أنه لا يوجد فاصل بين القسوة والاستعباد وأنه من الصعب التوفيق بين مجتمع الأحرار ومجتمع العبيد . ولقد تأثر بهذه القصة الجيل الناشئ من الناخبين في الشمال تأثراً عميقاً . وألهبت الحماسة الدافقة في كل مكان وبين الصغار والكبار من أجل الدعوة الى مناهضة الرقيق والغضب من أجل ذلك المخلوق الضعيف الذي لا حول له ولا قوة . والشفقة على كل من يتعرض للقسوة الغاشمة .

وفي سنة ١٨٥٤ تفاقم الجدل حول موضوع الرقيق القديم في الأقاليم وازداد النزاع مرارة . وكانت المنطقة التي تشمل الآن ولايتي كانساس ونبراسكا الخصبتين تجتذب المستوطنين وتبشر بتقدم سريع إذا قامت في كل منهما حكومة قوية .

الانقسام يزداد عمقاً

وطبقاً لاتفاق ميسوري كانت هذه المنطقة كلها مقفلة في وجه الرق . ولكن بعض العناصر القوية من ملاك العبيد في ميسوري عارضت في جعل كانساس . المتاخمة لها من الغرب . أرضاً حرة اذ ستجد ميسوري نفسها محاطة بثلاث جارات حرة . واذا هي اذعنت للحركة القوية الراهنة . فقد تجد نفسها مضطرة لأن تصبح ولاية حرة . وأخذ ممثلو ميسوري في الكونجرس يعرقلون مؤقتاً كل المحاولات التي ترمي إلى تنظيم تلك المنطقة يعضدهم في ذلك الجنوبيون .

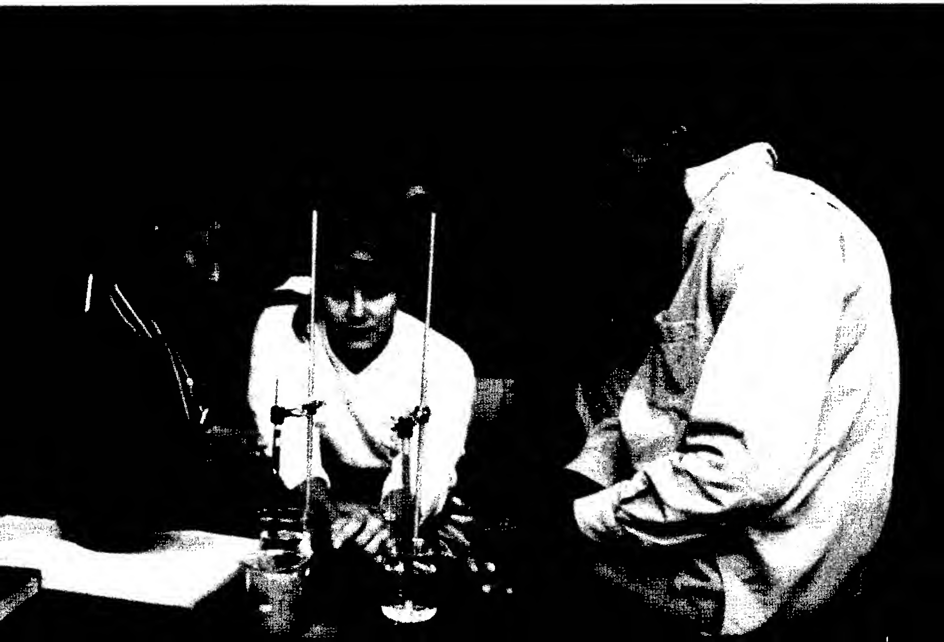
في هذا الوقت أثار ستيفن دوجلاس . عضو الشيوخ القديم عن ولاية إلينوى . عاصفة بتقديمه مشروع قانون أغضب فريق « الأرض الحرة » . وكانت حجة دوجلاس أنه لما كان اتفاق سنة ١٨٥٠ ينص على ترك ولايتي يوتاه ونيومكسيكو حرتين في إقرار الرق أو إلغائه . فإن اتفاق ميسوري يكون قد نقض من زمن طويل . وقد عنى مشروعه بتنظيم ولايتي كانساس ونبراسكا . والسماح للمستوطنين باصطحاب عبيدهم إليها .



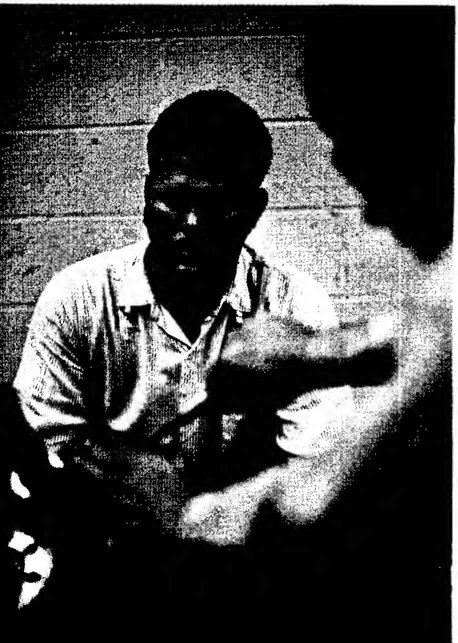
مبنى الأمم المتحدة وقد انعكست عليه أشعة الشمس المشرقة . انهـا تجسّد أمـل الناس في السـلام .

بانتهاء الحرب العالمية الثانية . وولادة الأمم المتحدة . وتقدم التقنيات البيولوجية والزراعية بشكل مذهل . وقيام الكثير من الدول الجديدة ـ بدا العالم والقرن العشرون مشرقا بتباشير غد أفضل لجميع الشعوب .









أصبحت كلمة « الالتزام » من الكليشهات العصرية ، ولكنها ذات معنى خاص بالنسبة لشباب الستينـــات والسبعينات . والمثالية هي جزء منها ولكنها ليست كل شيء . ولا بد كذلك من الاهتمام ـ بالآخرين وبالبيئة ـ ومن التصميم على اختيار القيم والحياة تبعاً لها . وغالباً ما تعني الكلمة طرقاً جديدة لرؤية التقاليد ، وأحياناً تعني السلوك غير المألوف (وهو ما سيكون من تقاليد الغد) ، ودائماً في الأغلب تكون تعبيراً عن الاهتمام . ان تجمع « المحبة » في سنـترال بارك بـداه الشباب ، ثم أصبح احتفالاً ربيعياً سنوياً يمثل تجدد الحياة للجميع . والى اليسار ، جانب عملي في طابعه لواحد من متطوعـي « فيستا » يتقاسم مهارته الميكانيكية مع شخص متعطل . والى اليمين فوق : شباب من سكان الضواحي يشاركون سكان المدن في مشروع للنظافة . وتحت : متطوعة من كتيبة السلام سافرت إلى بتشوانا في (افريقيا) للتعليم .



إن كولمبيا وغيرها من « المدن الجديدة » تحاول الجمع بين مزايا الحياة الحضرية والريفية معاً .



النمو المخطط بدلاً من النمو العشوائي يتمثل في كولمبيا بولاية ماريلاند ، وفي تطلعاتها إلى المستقبل .

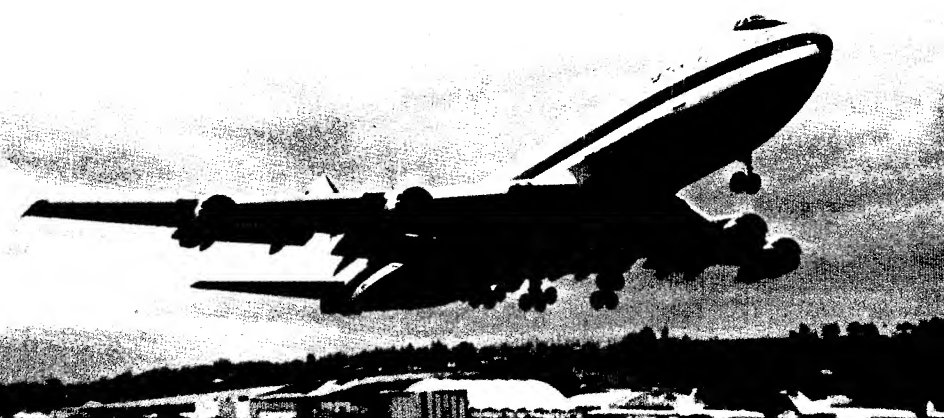


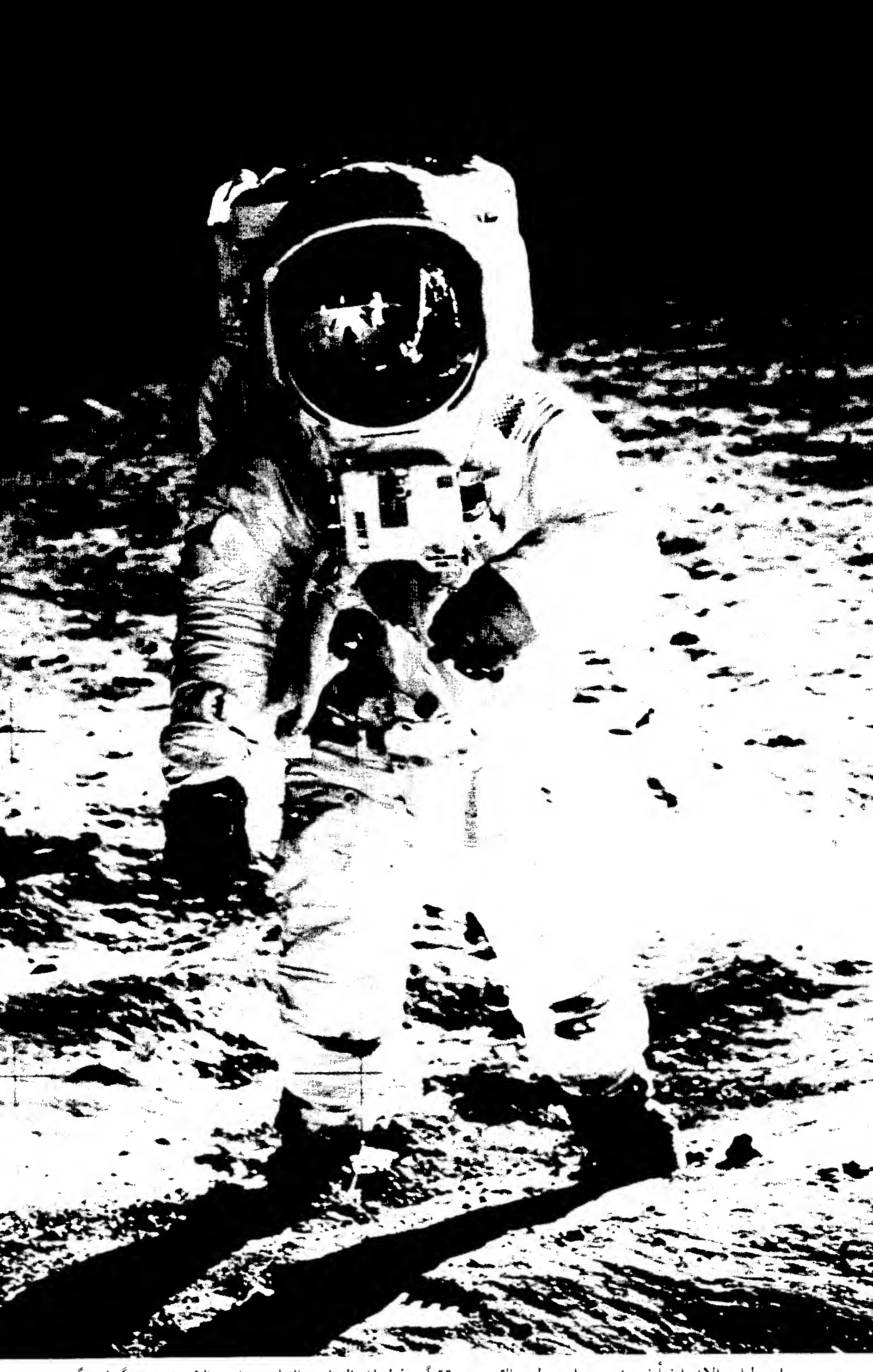
هناك خطوط بحرية منتظمة للرحلات والتنزهات تؤمنها بواخر فخمة كهـذه التي تمر تحت جسر « فيرازانو - نارو » النيويوركي وطولها ٤٢٦٠ قدماً (١.٢٩ كيلومتر) . ان الأمريكيين يفضلون الحركة والتحرر من جداول المواعيـد وقيودها ، وهم يقطعون بالسيارات طرقاً طولها ١٤٠٠ مليون كيلومـتر كـل سنـة .





حب التنقل التقليدي لدى الأمريكيين أدّى إلى ابتكار وسائل سفر متزايدة السرعة أبداً . فوق : القطار التوربيني الحديث يسير بسرعة ٢٧٤ كيلومتراً (١٧٠ ميلاً) في الساعة . وتحت : طائرة البوينج النفاثة الضخمة « ٧٤٧ » . التي تتسع لـ ٣٠٠ راكب وتطير بسرعة ألف كيلومتر (٦٢٥ ميلاً) في الساعة .





استطاع الإنسان أن يمشي على سطح القمر محققاً بذلك الحلم الذي راود الإنسانية زمناً طويلاً . . .

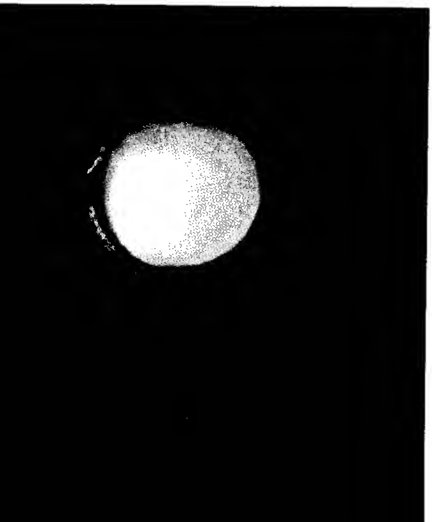


غواص يهبط إلى مسكن الأعماق في مشروع «تيكتايت» للبقاء ٦٠ يوماً والقيام باستكشافات علمية .









اذا كان ثمة نشاط يمثل هذا القرن ، فما هو الا البحث العلمي. ان ثماره تتجلى في كل مكان ؛ والكثير من المنجزات العلمية قد انبثقت من برنامج الفضاء . من ذلك تطوير عقول الكترونية دقيقة للمساعدة في انزال انسان على سطح القمر (كما ترى في مركز هيوستن الى اليمين) ، وللاستعمالات الطبية المتقدمة . في الصورة العليا الى اليمين ، تجري مراقبة حالة المريض باستمرار بينما يتعاون الجراح والأطباء للقضاء على خلايا المخ المصابة . وفوق شعاع ضوئي مركز بواسطة الليزر يلحم قطعتين معدنيتين ؛ ويستعان بأشعة الليزر أيضاً لمعالجة شبكية العين المصابة . وإلى اليسار فرن يحول المواد إلى وقود يستخدم في المفاعلات النووية للتجارب أو لانتاج الكهرباء .

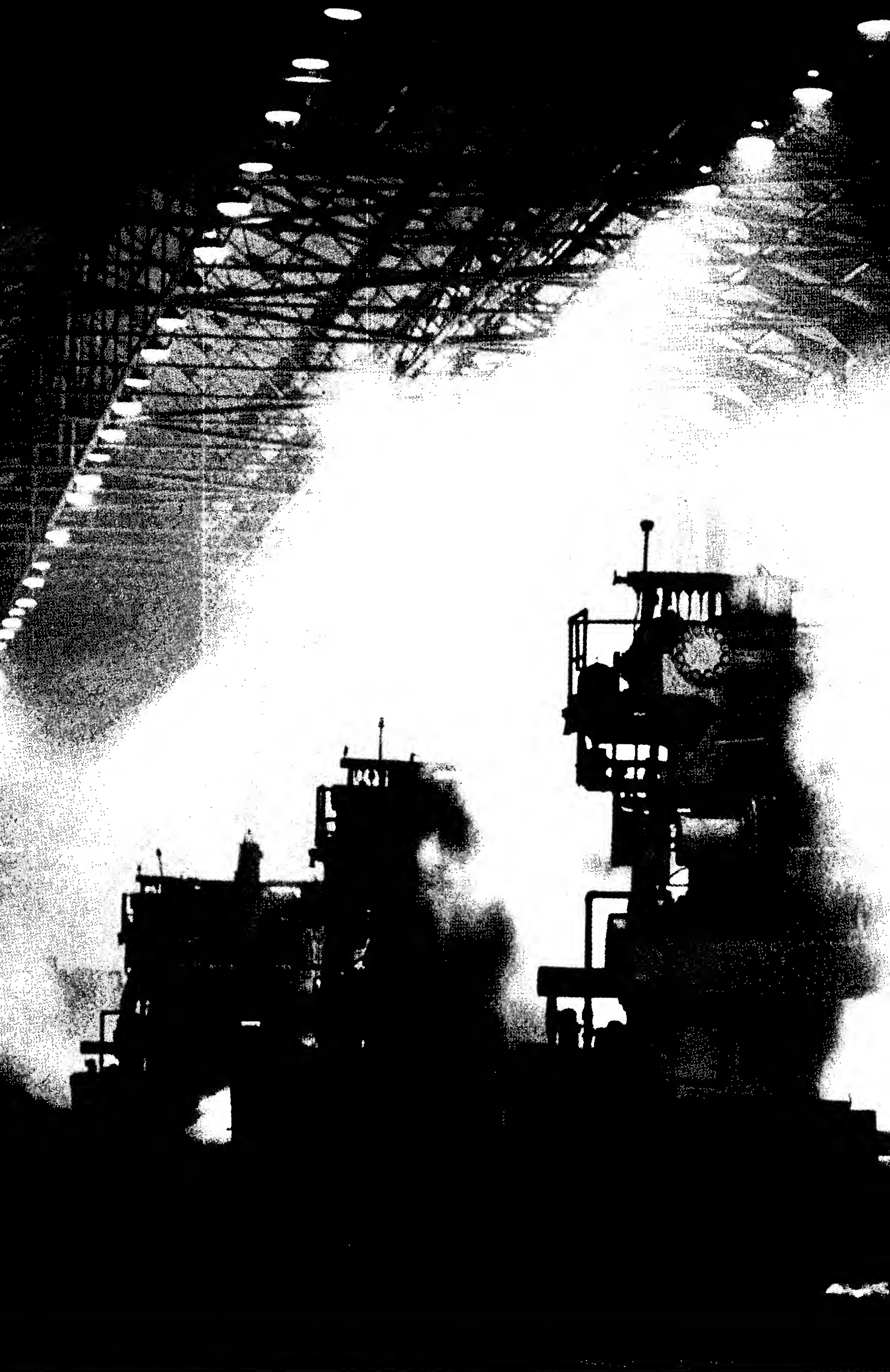


بواسطة الدمج غير الاعتيادي للمؤثرات الفنية والملابس المسرحية ، يستخدم « الوين نيكوليس » الفن القديم للرقص كي يستكشف الحاضر والمستقبل . تحت : في سنة ١٧٧٦ ، ظهر شكل مسرحي جديد نسبياً يحول صفحة من صفحات الماضي إلى مسرحية موسيقية تروي قصة « اعلان الاستقلال » .

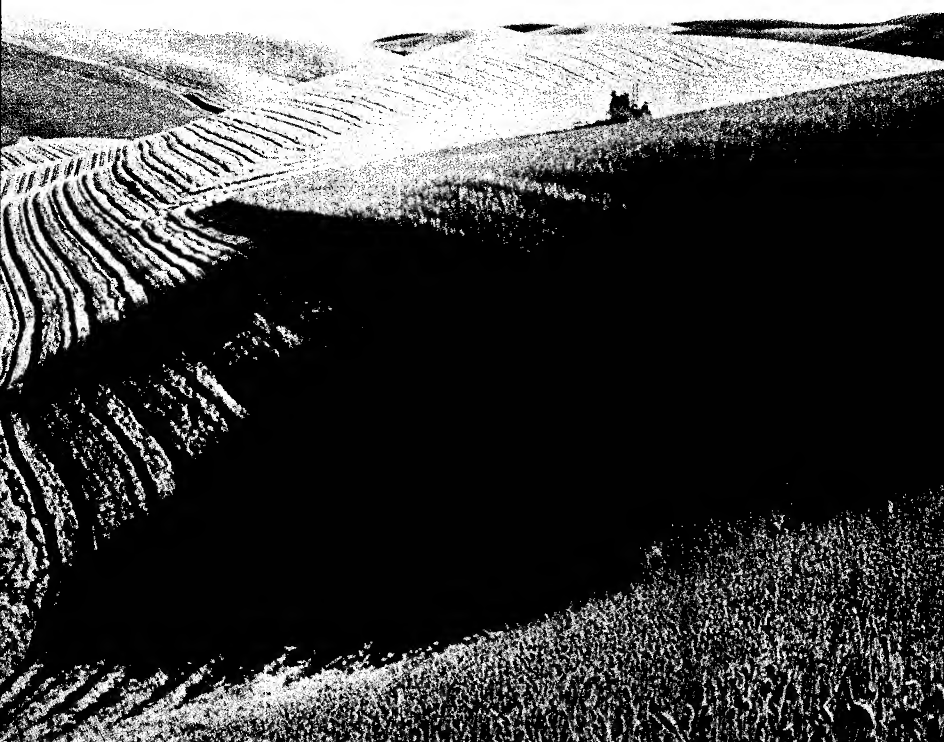




التفاؤل الغريب الذي اشتهر به الفنان الكسندر كالدر اعطى الفن اشكالاً متحركة وثابتة .



بريق ودخان أفران الصهر المكشوفة ، يعطيان ألواناً ساحرة لعمليات تحويل الحديد إلى صلب .



الرخـاء الزراعي يتجلى في حقول القمـح المترامية . وفي مخـازن التموين « السوبر ماركت » التي تزخر بشتى الأغذيـة . ورغم ان البرامج الحكومية تساعد على منع تراكم الفائض المتلاف من المحاصيل ، فقـد كان هـذا الفائض في حـد ذاته بمثابة حياة وغوث لكثير من المنـاطق المنكوبة .





بعد وقت قصير من انتخابه رئيسا للبلاد ، تحدث رونالد ريغان لأعضاء الكونغرس خارج مبنى المجلس .

وعلى السكان أنفسهم أن يقرروا انضمامهم للاتحاد كولايات للرقيق أو ولايات حرة .

وقد اتهم الشماليون دوجلاس باستجداء الحظوة لدى الجنوب كي يفوز برئاسة الجمهورية في عام ١٨٥٦ . وقد تميز المشروع بالمناقشات الصاخبة التي صاحبت عرضه ، وعارضته صحف الأحرار معارضة قاسية . وحمل عليه رجال الدين من الولايات الشمالية . وانقلب رجال الأعمال عليه فجأة بعد أن ظلوا حتى ذلك الحين يظهرون الود لأهل الجنوب . ومع ذلك ففي صباح يوم من شهر مايو . وافق مجلس الشيوخ على هذا القانون على طلقات المدافع التي أطلقها الجنوبيون المتحمسون . ولكن سالمون ب . تشيز ، وهو أحد زعماء حركة مناهضة الرق ، تكهن في الوقت نفسه « بأنهم اليوم يحتفلون بنصرهم ولكن لن يهدأ الصدى الذي احدثوه حتى تندثر العبودية نفسها » . وعندما زار دوجلاس بعد ذلك مدينة شيكاغو مدافعاً عن نفسه . نكست السفن أعلامها في الميناء ودقت الكنائس أجراسها طوال ساعة . وصاحت جموع من الناس بلغت عشرة آلاف نسمة صاخبة حتى لا يستطيع أحد أن يسمعه .

وكانت النتائج المباشرة لتدابير دوجلاس السيئة الحظ خطيرة جداً وهامة . فقد قضت على حزب « الويجز » الذي أيد مسألة التوسع في الرق ، وقامت بدلاً منه منظمة قوية جديدة هي « الحزب الجمهوري » الذي كان مطلبه الرئيسي هو الغاء الرق في جميع المقاطعات .

وفي سنة ١٨٥٦ ، رشح عنه لرئاسة الجمهورية جون فريمونت الذي اكتسب شهرته عن جدارة واستحقاق نتيجة رحلاته الاستكشافية الخمس في أقصى مناطق الغرب . وعلى الرغم من أن الحزب خسر الانتخاب فقد اكتسح عدداً عظيماً من ناخبي الشمال وضمهم إليه . وعظم نفوذ زعماء الأحرار أمثال تشيز ووليم سيوارد وظهر معهم محام طويل القامة من إلينوى هو إبراهام لنكولن . وقد أدَّى تدفق ملاَّك العبيد ومناهضو الرق الى كنساس الى نشوب نزاع مسلح ، وسرعان ما سميَّت الأرض الجديدة ، «كانساس الدامية » . وثمة حوادث اخرى قربت الأمة من الصراع المحتوم ، كان أبرزها قرار المحكمة العليا المشهور في قضية دريد سكوت في سنة ١٨٥٧ .

وكان سكوت عبداً في ميسوري أتى به سيده منذ حوالي ٢٠ عاماً ليعيش في مقاطعتي ألينوى ووسكنسن حيث كان الرق محظوراً . ولما عاد الى ميسوري لم يرض بحاله فرفع دعوى تحرير مستنداً الى اقامته على أرض حرة . وقد فصلت المحكمة التي يسيطر عليها الجنوبيون في الدعوى قائلة إنه بعودته مختاراً الى ولاية للعبيد ، فَقَدَ كل حق يملكه في الحرية . وحكمت أيضاً بأن أية محاولة للكونجرس لمنع الرق في المقاطعات لن تجدي . وقد أحدث هذا القرار اضطراباً عظيماً في جميع أنحاء الشمال . ولم يسخط الناس على القضاء في يوم من الأيام مثلما سخطوا عليه حينذاك . ومن الناحية الأخرى كان ذلك القرار بالنسبة للديموقراطيين من أهل الجنوب نصراً عظيماً ، لأنه أقر شرعية النظرية التي تحبذ الرق في المقاطعات .

لنكولن يشدد حملته على الرقيق

كان ابراهام لنكولن دائماً يعتبر الرق شراً . وقد اعلن في خطبة ألقاهـا في بيوريا ، بولاية الينوى ، سنة ١٨٥٤ ، ان كل تشريع وطني ينبغي ان يصاغ على أساس المبدأ الذي يقول ان الرق يجب حصره والحد منه وفي النهاية الغاءه . واعلن ايضاً ان مبدأ السيادة الشعبية كان زائفاً ، لان الرق في المناطق الغربية كان يشغل بال السكان لا في هذا الاقليم فحسب ، بل في الولايات المتحدة بأسرها . وقد كانت هذه الخطبة سبباً في شهرته في انحاء الغرب كله .

وفي سنة ١٨٥٨ ، نافس لنكولن ستيفن دوجلاس في انتخابات مجلس الشيوخ عن ألينوى . وفي الفقرة الاولى من الخطاب الذي افتتح به حملته الانتخابية ، في ١٧ يونيو سنة ١٨٥٨ ، ضرب لنكولن على الوتر الحساس في التاريخ الأمريكي للسنوات السبع التالية ، فقال : « إن بيتاً منقسماً على نفسه لا يستطيع البقاء . وإنني أعتقد أن هذه الحكومة لن يكتب لها بقاء أو استمرار مـا دام نصفها أرقاء والنصف الآخر أحراراً . إنني لا أتوقع أن تنفصم عرى الاتحاد ولا أن ينهار البيت من أساسه ، ولكني أرجو أن يوضع حد لانقسامه » .

واشتبك لنكولن مع دوجلاس في مناظرات سبع خلال الصيف والخريف من سنة ١٨٥٨ . وكان السناتور دوجلاس الذي عرف بـ « المارد الصغير » ، يحسد على شهرته كخطيب مفوه ، غير انه وجد نظيره في لنكولن الذي تحدى ببلاغة متناهية مفهوم السيادة الشعبية . وفي النهاية ، وعلى الرغم من اعـادة انتخاب دوجلاس بفارق بسيط من الأصوات ، فقد فاز لنكولن بمركزه كشخصية وطنية . واحتدم الصراع الحزبي مرة أخرى ، وفي ليلة ١٦ اكتوبر ١٨٥٩ استولى جون براون الذي كال للرق ضربة قاصمة في كنساس قبل ذلك بثلاث سنين ، بمساعدة نفر من مؤيدي الالغـاء المتطرفين ، على الترسانة الحكومية في هاربرز فيرى في ما يعرف الآن بولاية فرجينيا الغربية وعندما طلع الفجر ، تدفق سكان المدينة وهم مسلحون إلى القرية وبدأوا هجومهم المضاد بمساعدة بعض فرق المليشيا . وأسر براون والأحياء من رجاله .

وسرى الخبر في أنحاء البلاد . وقد أثبتت محاولة براون للكثيرين من أهل الجنوب أن أقسى ما كانوا يخشونه قد تحقق ، بينما نادى المتحمسون من معارضي الرق بأن جون براون شهيد مخلص لقضية عظمى . ولكن غالبية أهل الشمال نفروا من ثورته لأنهم لمسوا فيها اعتداء على القانون وعلى النظام والأساليب الديموقراطية لبلوغ التقـدم الاجتماعي المنشود . وقد حوكم براون بتهمة التآمر والخيانة والقتل ، وشنق في ٢ ديسمبر سنة ١٨٥٩ معتقداً حتى النهاية أنه آلة تسيرها يد الخالق .

وفي انتخابات الرئاسة سنة ١٨٦٠ قرر الحزب الجمهوري ترشيح ابراهام لنكولن . وقد بلغ التضامن الحزبي أقصاه عندما اعلن زعماؤه انهم لن يسمحوا للرق بالانتشار

أبعد من حدوده الحالية . ووعد الحزب أيضاً بفرض تعريفة جمركية لحماية الصناعة . وتعهد بأن يسن قانوناً يمنح الأراضي دون مقابل للمستوطنين الذين يساعدون في فتح القطاع الغربي . وقد ساعد تفكك الديموقراطيين المعارضين بقيادة ستيفن ودوجلاس . ساعد الحزب الجمهوري على الفوز في الانتخابات .

وكان المعروف من قبل أن كارولينا الجنوبية ستنفصل عن الاتحاد إذا انتخب إبراهام لنكولن رئيساً . فطالما ترقبت هذه الولاية فرصة توحد فيها الجنوب ضد القوى المناهضة للرق . وما ان تأيدت نتائج الانتخاب حتى أعلن مجلس كارولينا الجنوبية الذي انعقد بدعوة خاصة القرار التالي : « إن الاتحاد القائم بين كارولينا الجنوبية وباقي الولايات تحت اسم . الولايات المتحدة الأمريكية . قد انحل بهذا القرار » . وحذت حذوها ولايات جنوبية اخرى في الحال . وفي ٨ فبراير سنة ١٨٦١ ألفت جميعها جامعة الولايات الأمريكية .

بداية الحرب الأهلية

وفي ٤ من مارس سنة ١٨٦١ . أي قبل أن ينقضي شهر على ذلك . احتفل رسمياً بتنصيب إبراهام لنكولن رئيساً للولايات المتحدة . وقد رفض لنكولن في خطابه الافتتاحي الاعتراف بذلك الانفصال إذ اعتبره « باطلاً من الناحية القانونية » وختم خطابه بكلمات بليغة مؤثرة مطالباً بإعادة روابط الاتحاد السالفة . ولكن الجنوب لم يستجب لهذا النداء . وفي ١٢ أبريل أطلقت المدافع نيرانها على ميناء فورت صمتر في شارلستون . بكارولينا الجنوبية . وزال كل شك كان يساور الشماليين. ولبى أهل الولايات السبع المنفصلة نداء رئيسهم جيفرسون ديفز . وكان الطرفان ينتظران في قلق تحديد موقف ولايات العبيد . تلك الولايات التي ظلت حتى تلك اللحظة على ولائها . وفي ١٧ أبريل اتخذت فرجينيا خطوتها المشؤومة . وسرعان ما تبعتها أركنساس وكارولينا الشمالية . ولم تشعر ولاية من الولايات التي هجرت الاتحاد مثلما شعرت فرجينيا من المرارة . فلم يقم زعماؤها بدور عظيم الأهمية في نيل الاستقلال وصياغة مواد الدستور فحسب . بل إنها أنجبت أيضاً خمسة رؤساء للجمهورية . وبانفصال فرجينيا انفصل أيضاً الكولونيل « روبرت لي » الذي اعتذر عن قيادة جيش الاتحاد وفاء منه لولايته . وكانت تقع بين جامعة الجنوب وبين أرض الشمال الحرة . تلك الولايات الحدودية التي أثبتت على غير انتظار ولاءها للوطن وأبقت على الرابطة بينهما وبين الاتحاد .

وخاض أفراد الشعب من الطرفين غمار الحرب . تملأ نفوسه الآمال الكبيرة في نصر حاسم سريع . كان الشمال يتميز بثروته المادية تميزاً ظاهراً . إذ كان يتألف من ثلاث وعشرين ولاية مجموع سكانها ٢٢ مليون نسمة مقابل إحدى عشرة ولاية في

الجنوب يسكنها تسعة ملايين . وكان تفوق الشمال في الصناعة يفوق ما يتميز به من ازدياد في عدد سكانه . وكانت لدى الولايات الشمالية تسهيلات وافرة لصناعة الأسلحة والذخائر والملابس والمهمات الأخرى . وبالمثل ساعد ازدياد انتشار السكك الحديدية في الشمال على نجاح الاتحاد العسكري .

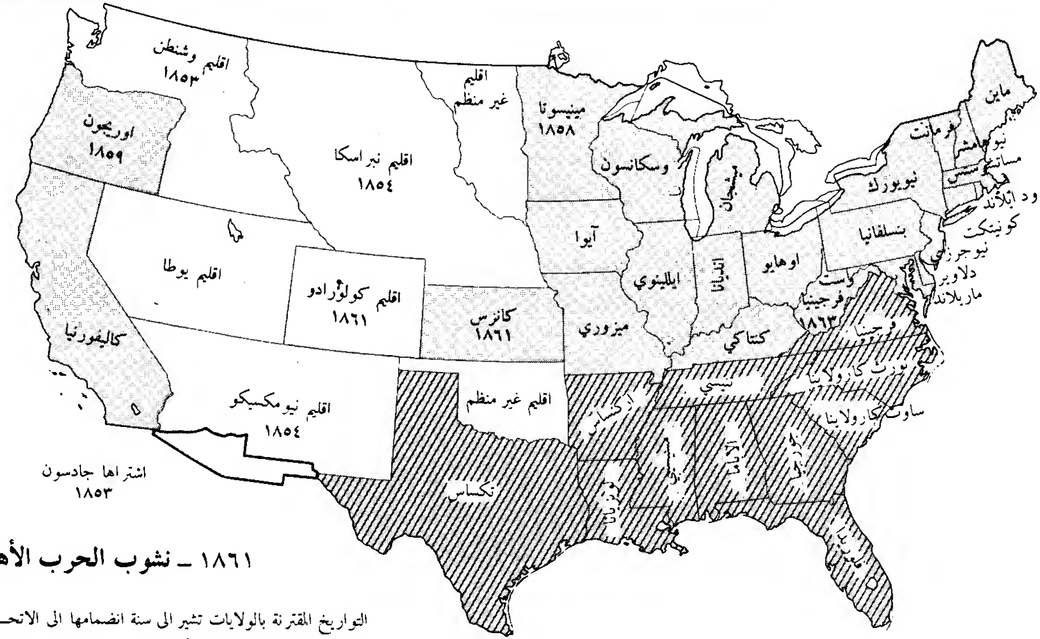
معارك دموية ضارية في الشرق والغرب

كانت البحرية كلها تقريباً في بداية الصراع في أيدي الشمال ، ولكنها كانت مبعثرة وضعيفة . وسرعان ما أعاد وزير البحرية « جيديون ويلز » تنظيمها وتقويتها . ثم أعلن لنكولن ضرب الحصار على الشواطئ الجنوبية . وعلى الرغم من أن هذا الحصار لم يؤد إلى نتائج كبيرة في بادئ الأمر ، فقد عمل في سنة ١٨٦٣ على الحيلولة دون شحن القطن إلى أوروبا واستيراد الذخائر والملابس والأدوات الطبية التي كان الجنوب في أشد الحاجة إليها . وفي تلك الأثناء بزغ نجم القائد البحري النابه « ديفيد فاراجوت » الذي قاد معركتين عظيمتين . ففي الأولى سير أسطولاً للشماليين في خليج المسيسبي وأرغم الجنوبيين على تسليم مدينة من أكبر مدن الجنوب هي نيوأورليانز . وفي المعركة الثانية شق طريقه عبر المدخل المحصن لخليج « موبيل » واستولى على سفينة مصفحة من سفن الجنوب وأقفل الميناء .

وفي وادي المسيسبي احرزت قوات الاتحاد عدة انتصارات متصلة . فقد بدأت باختراق خط الجنوب عند تينيسي ، ومهدت بذلك السبيل لاحتلال معظم الجزء الغربي من الولاية . وباستيلاء قوات الشمال على ميناء « ممفيس » الهام الواقع على المسيسبي أصبح في وسعها التقدم مسافة ٣٢٠ كيلومتراً في قلب الجنوب . وبوجود الجنرال يوليسيس جرانت القوي الشكيمة على رأس القيادة ، شنت قوات الاتحاد هجوماً مفاجئاً على « شيلوه » الواقعة على الحاجز المشرف على نهر تينيسي . وقد صمدت محافظة على مواقعها حتى وصل المدد الذي مكنها من رد العدو على أعقابه . ثم تقدمت قوات جرانت في بطء وثبات نحو الجنوب وهدفها الاكبر السيطرة التامة على المسيسبي الذي كان الجزء الأدنى منه قد اخلي من الجنوبيين باستيلاء فاراجوت على نيواورليانز .

وكان جرانت قد حوصر مدة في فكسبرج ، حيث تحصن الجنوبيون على قمم الشاطئ العالية التي لا تستطيع البحرية ضربها . وفي سنة ١٨٦٣ ، بدأ جرانت الزحف إلى أسفل وحول فكسبرج ، وحاصر ذلك الموقع ستة أسابيع . وفي ٤ يوليو استولى على المدينة وعلى أقوى جيش جنوبي في الغرب . وأصبح النهر كله الآن في قبضة الاتحاد . وبهذا فصل الجنوبيون الى قسمين ، وأصبح من المستحيل تقريباً جلب المؤن من ولايتي تكساس وأركنساس .

وفي فرجينيا ، من الناحية الاخرى ، مني الشماليون بهزائم متتالية . فنشبت



١٨٦١ ـ نشوب الحرب الأهلية

التواريخ المقترنة بالولايات تشير الى سنة انضمامها الى الاتحـاد .

المساحة المخططة القائمة تشير الى الاحدى عشرة ولاية الكونفدراليـة ١٨٦١ ـ ١٨٦٥ .

الجزء الشمالي الغربي من فرجينيا رفض الانضمام الى الولايات الكونفدرالية ودخل الاتحاد باسم ولاية وست فرجينيا .

صفقة جادسون المشتراة من مكسيكو كانت آخر إضافة إلى الولايات المتحدة المشتركة الحدود .

المصدر : المساحة الجيولوجية الأمريكية

سلسلة من المعارك الدامية حاول الشماليون فيها الاستيلاء على ريتشموند . عاصمة الجنوب . ولكنهم كانوا يردون على أعقابهم . فقد كان الجنوبيون يتمتعون بمزيتين عظيمتين معاقل دفاعية قوية بفضل المجاري المائية العديدة التي تقطع الطريق بين وشنطن وريتشموند ومقدرة القائدين روبرت لي وتوماس ستونوول جاكسون اللذين كانا يفوقان قواد الشمال الأولين . وقد قام قائد الشمال جورج ماكيلان بمحاولة يائسة لاحتلال ريتشموند . ولكن في معارك الأيام السبعة من ٢٥ يونيو الى اول يوليو سنة ١٨٦٢ . ارتدت قوات الشمال على اعقابها بعد ان تكبد الطرفان خسائر فادحة .

المد يبلغ ذروته ثم ينحسر

وفي الأول من يناير عام ١٨٦٣ . اصدر الرئيس لنكولن اعلان التحرير الذي قضى بتحرير العبيد في الولايات المتمردة ودعوتهم للانضمام الى القوات المسلحة في الشمال . وقد جاء الاعلان بالتالي ليؤكد الغاء الرق كهدف للحرب بالاضافة الى هدف انقاذ الاتحاد .

واستمر أهل الشمال يواجهون ظروفاً صعبة ويقاسون الهزائم . وكان التقدم الى ريتشموند عن طريق البر ما زالت تحف به الصعاب . وفي تشانسيلورزفيل تقهقر الشماليون بعد معركة دامية . ولكن الجنوب دفع ثمن ذلك النصر غالياً فقد كلفه حياة ستونوول جاكسون .

ومع ذلك فإن أياً من هذه الانتصارات التي أحرزها الجنوب لم يكن حاسماً . وأخذت حكومة الشمال تجند القوات من جديد . واستأنف القتال . وفي يوليو سنة ١٨٦٣ . حدثت نقطة التحول في الحرب . فقد تقدم الجنرال لي نحو الشمال وهاجم بنسلفانيا معتقداً أن الفرصة قد سنحت بعد هزيمة تشانسيلورزفيل الساحقة . وكاد جيشه يصل الى العاصمة . ولكن جيشاً شمالياً قوياً اعترض سيره عند جتسبورج . وهناك في معركة دامت ثلاثة أيام قام الجنوبيون بمحاولة باسلة لاختراق خطوط الاتحاد ولكنهم أخفقوا . وتقهقر جنود الجنرال لي الى نهر بوتوماك بعد أن تكبدوا خسائر فادحة . وكانت قوات جرانت في تلك الأثناء تدخل فيكسبورج على المسيسيبي وأصبح حصار السواحل الجنوبية نطاقاً حديدياً لم تستطع اختراقه سوى سفن قليلة . وكانت موارد الجنوبيين توشك ان تنضب . وبدت الولايات الشمالية من ناحية اخرى اكثر رخاء من أي وقت مضى . فمطاحنها دائرة الرحى ومصانعها تعمل بكل طاقتها . ومزارعها تصدر كميات عظيمة من المحصولات إلى أوروبا . وعدد رجالها يتجدد بسبب الهجرة المستمرة .

وكان تقدم جرانت البطيء والحاسم الى ريتشموند سنة ١٨٦٤ ينذر بالنهاية . فقد أطبقت القوات الشمالية من جميع الجهات . وفي أول فبراير سنة ١٨٦٥ بدأ جيش الجنرال شيرمان الغربي زحفه نحو الشمال . من جورجيا . وفي ١٧ فبراير انسحب

الجنوبيون من كولومبيا عاصمة كارولينا الجنوبية . وسقطت تشارلستون في قبضة أسطول الاتحاد دون قتال عندما قطع الخط الحديدي الذي يصلها بالداخل . وفي تلك الأثناء أصبح موقف الجنوبيين في بيترزبورج وريتشموند غاية في الحرج . وفي ٢ أبريل سنة ١٨٦٥ انسحب الجنرال « لي » منه وبعد أسبوع وجد نفسه في أبوماتوكس في فرجينيا يحاصره العدو ولا مناص له من التسليم .

كانت شروط التسليم سمحة تتسم بالشهامة ، وعندما عاد جرانت من الاجتماع هدّأ مظاهرات جنده وصخبهم مذكراً إياهم « بأن الثوار عادوا لنا مواطنين » وأصبحت حرب الجنوب لنيل الاستقلال « قضية خاسرة » . وكان بطل تلك « القضية الخاسرة » هو روبرت لي الذي أثار الإعجاب ببراعته في القيادة ، وبعظمته في الهزيمة . .

كذلك انجبت هذه الحرب للشمال بطلاً اعظم هو ابراهام لنكولن . رجل كان اهتمامه الأكبر ، وقبل أي شيء آخر ، هو ان يجمع الامة ثانية في اتحاد لا بالقوة والقمع وانما بالسماحة والمشاعر الكريمة والدفء . وعلى الرغم من انه استخدم سلطات جديدة لم يسبقه اليها غيره من الرؤساء ، سواء في الحرب ام في السلم . فلم يحاول ان يخالف في وقت من الاوقات مبادئ الديموقراطية وحكمها الذاتي . وفي سنة ١٨٦٤ اعيد انتخابه لرئاسة الجمهورية .

« بعيداً عن الحقد والحسد ... »

اختتم لنكولن خطابه التنصيبي الثاني بهذه الكلمات : « فلنجاهد في سبيل اتمام العمل الذي بدأناه ، جهاداً بعيداً عن الحقد والحسد ، مشوباً بالعطف على الناس والصلابة في الحق ، الحق الذي وهبنا الله القدرة على معرفته وادراكه ، لنضمد جراح هذه الأمة . لنعتن باولئك الذين خاضوا غمار المعركة ، وبأراملهم وايتامهم . ولنعمل كل ما يؤدي الى السلم الدائم العادل فيما بيننا وبين انفسنا وفيما بيننا وبين سائر الأمم » . وبعد ثلاثة أسابيع ، اي بعد يومين من تسليم الجنرال « لي » القى لنكولن خطابه العام الأخير الذي كشف فيه عن سياسة انشائية كريمة .

وفي ليلة الخميس ١٣ أبريل ، كانت مدينة وشنطن مضاءة بالانوار الساطعة احتفاء بتسليم الجنرال « لي » ، وكان هتاف الفرح ينبعث من الجماهير المحتشدة التي تموج بها الطرقات . وفي اليوم التالي عقد الرئيس ما قدر له ان يكون آخر اجتماع لمجلس وزرائه . في تلك الليلة حضر لنكولن – مع زوجته وضيفين لهما – احدى التمثيليات في مسرح فورد . وكان جالساً في مقصورة الرئاسة . وقتل بيدي ممثل متهور أحمق يدعى جون ويلكز بوث ، الذي وثب من المقصورة الى المسرح وفر هارباً . وبعد ايام اعتقل بوث في مخزن للحبوب في ريف فرجينيا . ومات لنكولن في غرفة نوم في بيت يقع مقابل مسرح فورد ، صباح يوم ١٥ ابريل .

وقد قال الشاعر راسل لوويل : « لم يحدث قبل ذلك الصباح المضطرب من إبريل

أن ذرفت مثل هذه الجموع الغفيرة الدمع الهتون لموت رجل لم تره قط ، فكأن شيئاً عزيزاً قد انتزع من حياتها تاركاً إياها أشد برودة وظلمة . وكانت تلك النظرة الصامتة التي يتبادلها الغرباء في ذلك اليوم حينما تلاقوا وما تحمله من أسى ولوعة ، هي خير تكريم وأكبر عزاء تعبر به النفس البشرية عند فقد عزيز . فقد فقدت الرجولة التي تجمع بينهم رجلاً تربطهم به صلة الرحم » .

وكانت المهمة الكبرى الاولى التي واجهت الشمال المنتصر ـ تحت قيادة نائب الرئيس ، اندرو جونسون ، الآن ـ هي مسألة تقرير حالة الولايات المنفصلة . ولقد كان لنكولن قد أعد العدة لها . وكانت وجهة نظره التي تمسك بها تقول ان الولايات الجنوبية لم تنفصل بصفة قانونية في يوم من الأيام ، وانه غرّر بها مواطنون خونة تحدوا سلطة الاتحاد . وعلى هذا تكون الحرب عملاً فردياً . وفي هذه الحالة يجب ان تقتص الحكومة من هؤلاء الأفراد وليس من الولايات كلها . وعملاً بهذه النظرية أعلن لنكولن في بلاغ صدر سنة ١٨٦٣ ، انه يعترف بشرعية حكومة أية ولاية يؤلف فيها عشرة في المائة من ناخبي سنة ١٨٦٠ ، حكومة تخضع للدستور وتطيع قوانين الكونجرس وقرارات الرئيس . ورفض الكونجرس هذا المشروع وتحدى حق لنكولن في معالجة هذه المسألة دون الرجوع اليه .

ورغم ذلك أقام لنكولن ، حتى قبل ان تنتهي الحرب فعلا ، حكومات في ولايات فرجينيا ، وتينيسي ، وأركنساس ، ولويزيانا . وقد عارض بعض أعضاء الكونجرس هذا القرار ، وطالبوا بفرض عقوبات رادعة على جميع الولايات المنفصلة . وكان أحد هؤلاء الأعضاء ثاديوس ستيفنز ، زعيم الحزب الجمهوري في مجلس النواب ، الذي طالب بان يظل مزارعو الجنوب تحت الحكم العسكري فترة من الزمن .

ومن أجل معالجة احدى المسائل الرئيسية التي كانت تشغل اهتمامه وهي حالة الزنوج المحررين ـ انشأ الكونجرس في مارس ١٨٦٥ مكتب التحرير الذي كان عليه ان يتولى الوصاية على المواطنين الزنوج وتوجيههم نحو اعالة انفسهم بانفسهم . وفي ديسمبر من ذلك العام صدّق الكونجرس التعديل الدستوري الثالث عشر الذي ألغى الرق .

آراء متعارضة حول سياسة التعمير

خلال صيف سنة ١٨٦٥ ، بدأ جونسون في تنفيذ مشروع لنكولن للتعمير مع شيء من التغييرات الطفيفة . فعين بقرار منه حاكماً لكل ولاية من الولايات الجنوبية ، وأعاد الحقوق السياسية ثانية لكثير من أهل ولايات الجنوب عن طريق استخدام سلطته في إصدار العفو .

وفي الوقت المناسب عقدت المؤتمرات في كل ولاية من الولايات الجنوبية السابقة لالغاء قرارات الانفصال ورفض ديون الحرب ، ووضع دساتير جديدة . وفي النهاية انتخب أهل كل ولاية حاكماً ومجلساً تشريعياً ، وكان كلما وافق المجلس التشريعي في أية

ولاية على التعديل الثالث عشر ، اعترف بقيام الحكومة المدنية فيها واعتبرت الولاية انها قد انضمت ثانية الى الاتحاد .

وفي نهاية عام ١٨٦٥ ، تمت هذه العملية مع شيء من الاستثناء اليسير . ولكن الولايات المنسحبة لم تكن قد استعادت تماماً مركزها السابق في الاتحاد لان الكونجرس لم يكن قد سمح بعد بادخال شيوخها ونوابها ، الذين كانوا يفدون الآن الى وشنطن لأخذ مكانهم في المجلس التشريعي الاتحادي ، الى المجلس .

وكان كل من لنكولن وجونسون قد توقعا بان يكون للكونجرس الحق في حرمان نواب الجنوب مقاعدهم فيه وذلك بموجب فقرة في الدستور تقول : « إن كل مجلس هو الحكم على مؤهلات أعضائه » . وقد حدث ذلك عندما رفض أولئك الذين رأوا معاقبة أهل الجنوب – بزعامة ثاديوس ستيفنز من بنسلفانيا – إجلاس شيوخ ونواب الجنوب المنتخبين في مقاعدهم . وفي الشهور التالية أخذ الكونجرس في وضع خطة لتعمير الجنوب تختلف اختلافاً تاماً عن تلك التي بدأها لنكولن واستكملها جونسون .

مخلفات الحرب

وتزايد تدريجياً التأييد الشعبي الواسع للمتطرفين من اعضاء الكونجرس الذين نادوا بوجوب منح الزنجي جميع حقوق المواطنية كاملة . وفي يوليوسنة ١٨٦٦ سن الكونجرس قانون الحقوق المدنية واقام مكتب المحررين الجديد – وكلاهما كان الغرض منهما الحيلولة دون اقرار التمييز العنصري من قبل مجالس الجنوب التشريعية . وقد تلا ذلك اقرار الكونجرس التعديل الدستوري الرابع عشر الذي ينص على أن « جميع الأفراد الذين ولدوا في الولايات المتحدة أو تجنسوا بالجنسية الأمريكية وخضعوا لتشريعاتها هم مواطنو الولايات المتحدة ويعتبرون مواطنين للولايات التي يقيمون فيها » .

وقد رفضت جميع المجالس التشريعية في الولايات الجنوبية التصديق على هذا التعديل ما عدا ولاية تينيسي . وصوتت بعض هذه الولايات ضده بالاجماع . فبدا لبعض الجماعات في الشمال انه اصبح من الضروري التدخل لحماية حقوق الزنوج في الجنوب . وفي قانون التعمير الصادر في مارس ١٨٦٧ ، قسم الكونجرس – متجاهلاً الحكومات المدنية التي تأسست في الولايات الجنوبية – الجنوب الى خمس مناطق وضعها تحت الحكم العرفي . ونص القانون ايضاً على امكان التخلص من الحكومة العسكرية الدائمة ، للولايات التي استطاعت تشكيل حكومات مدنية او اقسمت يمين الولاء ، ووافقت على التعديل الرابع عشر ، ومنحت الزنوج حق الانتخاب .

وفي يوليو سنة ١٨٦٨ تم التصديق على التعديل الرابع عشر . وفي السنة التالية صادق الكونجرس على التعديل الخامس عشر ، وأقرته المجالس التشريعية سنة ١٨٧٠ ، وقد نص هذا التعديل على « أن حق مواطني الولايات المتحدة في التصويت لن تستطيع أية ولاية أخرى إنكاره أو تعديله بسبب العنصر ، أو اللون ، أو حالة العبودية السابقة » .

ولما كان قانون التعمير يعد بمثابة هزيمة للرئيس جونسون فقد عمد الكونجرس إلى العمل على إقراره بهمة لا تعرف الملل . إذ بلغ نفور الكونجرس من جونسون حداً جعله لأول مرة في التاريخ الأمريكي ـ يتخذ التدابير لإقالة الرئيس من منصبه . وكانت أخطر التهم التي وجهها إليه الكونجرس هو انه برغم قانون « شغل الوظائف » ، قد أقصى من مجلس وزرائه أحد « مؤيدي الكونجرس » ، وهو وزير الحربية ولكن عندما حوكم أمام مجلس الشيوخ أثبت الرئيس بالبرهان القاطع أنه التزم حقوقه في إقالة الوزير . وهكذا سقطت التهمة وبقي جونسون في منصبه حتى انتهت مدة رئاسته .

وطبقاً لقانون التعمير قبل الكونجرس . في صيف سنة ١٨٦٨ . انضمام ولايات أركنساس . كارولينا الشمالية . وكارولينا الجنوبية . ولويزيانا . وجورجيا . وألباما . وفلوريدا الى الاتحاد . ويمكن الحكم على مدى تمثيل تلك الحكومات السبع الجديدة . من حقيقة أن أغلبية الحكام . وأعضاء مجلس النواب . والشيوخ المنتخبين كانوا رجالاً من أهل الشمال نزحوا الى الجنوب بعد الحرب جرياً وراء المجد السياسي . وقد سيطر الزنوج تماماً على المجالس التشريعية في لويزيانا وكارولينا الجنوبية والمسيسبي .

وقد لجأ بيض الجنوب ـ يدفعهم شعورهم باليأس ـ إلى وسائل غير مشروعة معتقدين أن حضارتهم القديمة أصبحت مهددة وأنه لا يوجد سبيل قانوني لوقف مجرى الأحداث . فتكرر استخدام العنف . وأدت أعمال العنف والتطرف والاضطرابات التي كانت تزداد يوماً بعد يوم إلى إقرار « قانون التنفيذ » سنة ١٨٧٠ . وهو القانون الذي فرض عقوبة شديدة على كل من يحاول حرمان الزنوج من حقوقهم المدنية .

وعلى توالي الأيام أصبح واضحاً أن مشاكل الجنوب لن تحل بالقوانين الصارمة واستمرار النزاع مع المتحالفين السابقين . وفي مايو سنة ١٨٧٢ أقر الكونجرس قانون العفو العام الذي أعاد للجميع حقوقهم السياسية باستثناء خمسمائة شخص تقريباً من أنصار التحالف. وبدأت الولايات الجنوبية ـ الواحدة في إثر الأخرى ـ وبالتدريج تنتخب اعضاء الحزب الديموقراطي لشغل الوظائف . حتى إذا كانت سنة ١٨٧٦ لم يبق للجمهوريين نفوذ إلا في ثلاث من ولايات الجنوب فقط . وبرهن انتخاب ذلك العام ـ وهو أعنف انتخاب شهده التاريخ الأمريكي وأكثره اضطراباً ـ على أن الجنوب لن يستمر له قرار حتى تسحب منه الجيوش الشمالية . وعلى ذلك سحب الرئيس رذرفورد هايس هذه الجيوش في العام التالي . واعترف بفشل سياسة التعمير « الراديكالية » .

وانتهى حكم الشماليين في الجنوب . ولكن الجنوب كان حينذاك بقاعاً خربتها الحرب وأثقلت أهلها الديون بسبب فساد الحكم . ودفعت بها الحرب العنصرية إلى الانحلال الخلقي . وبعد اثنتي عشرة سنة من التعمير « الزائف » من سنة ١٨٦٥ إلى سنة ١٨٧٧ . بدأت الجهود الحقيقية تبذل لتعمير الجنوب من جديد .

عهد التوسع والاصلاح

« يجب ان نلغي كل شيء نشتم منه رائحة التمييز »

وودرو ويلسن

في رسالة الى الكونجرس ، ٨ أبريل ١٩١٣

بلغت الولايات المتحدة الأمريكية سن الرشد بين حربين عظميين . الحرب الأهلية والحرب العالمية الأولى . ففي أقل من خمسين سنة تحولت من جمهورية ريفية الى دولة مدنية . ولم يعد للحدود أثر . وانتشرت في أرجاء البلاد معامل عظيمة . ومصانع للصلب . وخطوط حديدية عبر القارة . ومدن مزدهرة . ومزارع شاسعة ، ولكن ذلك النمو اقترن ببعض المساوئ . فقد أخذ الاحتكار ينمو . وساءت أحوال العمل في المصانع . وبلغ من سرعة نمو المدن وتقدمها أنها عجزت عن إيواء عدد السكان المتزايد ولم تستطع أن تنظم شؤونهم . وزاد إنتاج المصانع على الاستهلاك في بعض الأحيان . وجاء رد الفعل لهذه العيوب من جانب الشعب الأمريكي وزعمائه السياسيين–جروفر كليفلاند . ووليم ج. بريان . وثيودور روزفلت . وودرو ويلسن . فإن إصلاحاتهم الواضحة القوية المثالية في فلسفتها والواقعية في تنفيذها . قد تمشت مع احتياجات البلاد . والواقع أن الأعمال التي أنجزت في عهد الإصلاح قد أدت فعلاً الى تصحيح الأخطاء التي ارتكبت في عهد التوسع السريع .

ويقول أحد الكتّاب « إن الحرب الأهلية كانت جرحاً بليغاً في تاريخ البلاد ، وكان نشوبها إيذاناً بتحقيق التغييرات التي لاح طيفها في السنوات العشرين أو الثلاثين السابقة » . وقد نشّطت مستلزمات الحرب العظيمة الصناعات وعجّلت باتخاذ طريق اقتصادي كان من دعائمه الأساسية استغلال الحديد . والبخار . والقوة الكهربائية . والتقدم السريع الذي أحرزه العلم والاختراع .

وقد بلغ عدد براءات الاختراع التي منحت للأفراد قبل سنة ١٨٦٠ ، ستة وثلاثين ألفاً . وخلال الثلاثين سنة التالية منحت ٤٤٠,٠٠٠ براءة. وفي الربع الاول من القرن العشرين ارتفع عددها الى ما يقارب المليون . وفي سنة ١٨٤٤ اتقن صمويل ف. ب. موريس التلغراف الكهربائي وسرعان ما اتصلت أجزاء القارة

النائية بشبكة من الأعمدة والأسلاك . وفي سنة ١٨٧٦ عرض ألكسندر جراهم بل آلة التليفون . وخلال نصف قرن أصبح في البلاد ١٦ مليون جهاز تليفوني عجلت في تقدم حياة الأمة الأمريكية من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية . ولقد ساعد على سرعة نمو الأعمال اختراع الآلة الكاتبة في سنة ١٨٦٧ . وآلة الجمع في سنة ١٨٨٨ . وآلة تسجيل الحسابات في سنة ١٨٩٧ . وبفضل آلة صف الحروف المطبعية (اللينوتيب) التي اخترعت في سنة ١٨٨٦ أصبح من الميسور طبع ٢٤٠٠٠٠ نسخة من جريدة ذات ثماني صفحات في ساعة واحدة . وزودت المصابيح الكهربائية التي اخترعها أديسون ملايين من المنازل . كذلك بلغ الحاكي حد الكمال على يد أديسون الذي اخترع الصور المتحركة بالتعاون مع جورج ايستمان . وكان من نتيجة تطبيق العلم والبراعة في هذه المجالات وغيرها كثير . بلوغ مستوى عال من الإنتاج في شتى الميادين تقريبا .

وفي الوقت نفسه كانت صناعة الحديد والصلب ـ وهي الصناعة الأساسية في البلاد ـ تسير سيرا حثيثاً بحماية تعريفة جمركية عالية . وبعد أن كانت صناعة الحديد متجمعة فيما مضى على مقربة من مصادرها في الولايات الشرقية امتدت غرباً بعد أن كشف علماء الجيولوجيا مصادر جديدة لها هناك . ومن المناجم التي تستحق الذكر مناجم حديد ميزابي العظيمة عند رأس بحيرة سوبيرير التي أصبحت من أعظم مناطق إنتاج الحديد الخام في العالم . وقد وجد الحديد الخام في طبقات الأرض السطحية مما جعل عملية التعدين سهلة ورخيصة . وقد سهل نقاؤه من الشوائب الكيمائية تحويله إلى صلب جيد النوع بسعر يعادل عشر سعره السابق .

نمو الحركة الصناعية

كان أندروكارنيجي أعظم شخصية في تاريخ صناعة الصلب . واليه يعود معظم الفضل في التقدم الباهر الذي تم في ميدان انتاجه . وكان أندرو في الثانية عشرة من عمره حين جاء من أسكتلندا إلى أمريكا وقد ارتقى من عامل على الأنوال في مصنع للقطن الى موظف في أحد مكاتب البرق . ثم في شركة سكك حديد بنسلفانيا . وقبل أن يبلغ الثلاثين . استثمر بما أوتي من ذكاء وبعد نظر بعض الأموال التي تركزت في صناعة الصلب عام ١٨٦٥ . وفي مدى سنوات قلائل أسس كارنيجي . أوساهم في تأسيس شركات لصنع الجسور الحديدية وقضبان السكك الحديدية وقاطراتها . وبعد عشر سنوات أصبح مصنعه الذي أقامه على نهر « المونونجاهيلا » في بنسلفانيا أعظم مصانع البلاد .

وأخذت أعمال كارنيجي التجارية تنمو وتزدهر سنة بعد أخرى . فلم يكتف بسيطرته على المصانع الحديدية بل أخذ يبسط نفوذه أيضا على مصادر الفحم الخشبي والحجري والحديد الخام الذي يستخرج من بحيرة سوبيرير . واقتنى أسطولا من السفن التجارية يمخر البحيرات العظمى . وشيد ميناء على بحيرة إيري . ومد السكك الحديدية



عرض قوات الاتحاد في شارع بنسلفانيا ، بالعاصمة ، جاء ايذاناً بنهاية الحرب الأهلية .

في منتصف القرن التاسع عشر ، بدأت الكاميرا تسجل التاريخ ، وتلتقط بعدستها ما قد يكتب عنه الآخرون بعدما أخذت الأمة تتوغل غرباً بأعداد متزايدة لبناء المدن الممتدة ، وزراعة السهول ، واستخراج المعادن من التلال ، وانشاء الصناعات .



التقاء خطي السكك الحديدية في نقطة « برومونتوري بوينت » (الى أسفل اليسار) في سنة ١٨٦٩ أمن الاتصال بين الساحل الشرقي والساحل الغربي . ولا يقل عن ذلك أهمية أن هذا الالتقاء حقق للمستوطنين . أمثال اولئك الذين تراهم في العربات والذين رحلوا من كانزس في سنة ١٨٧٢ . خط اتصال مع المدن . وسرعان ما أخذت مزارع الغرب المزدهرة تحتاج الى معدات ضخمة . كالتي تظهر في الصورة فوق . تحصد المحاصيل وتدرسها .



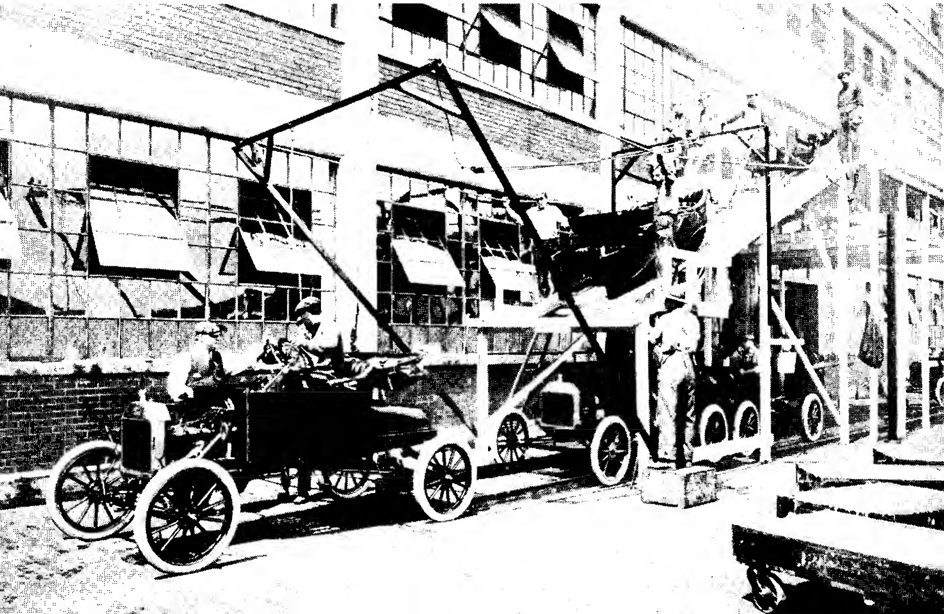




حشود المتنزهين في أيام الأعياد سنة ١٩٠٦ دليل قديم على انتقال الناس من القرى الى المدن .

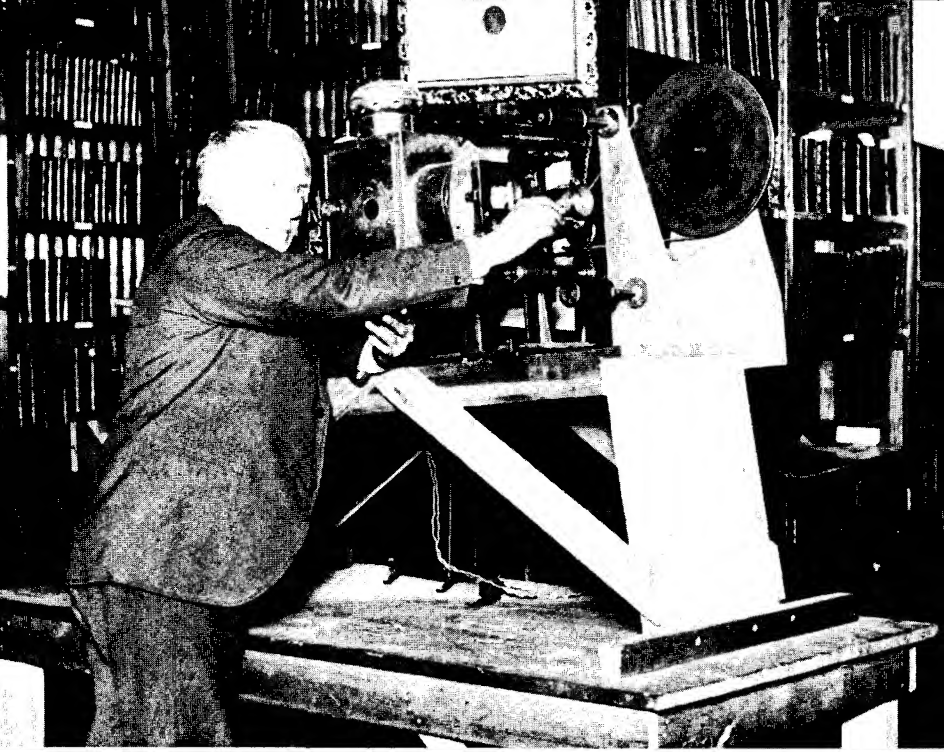


عرفت أمريكا سيارة هنري فورد في سنة ١٩٠٨ . لم تكن لعبة . انها غدت بمثابة خادم الإنسان . وفي سنة ١٩١٣ أنشأ فورد خطوط التجميع المتحركة (فوق وتحت) لكي ينتج في ٩٣ دقيقة فقط ما كان يتطلب ١٤ ساعة . ومن حسنات الانتاج بالجملة ومزاياه أنه يقلل من التكاليف ويتيح بذلك خفض الأسعار وزيادة البيع .





لعله ما من اختـــراع تأثر
به كثيرون مثل التليفون . لقد
ابتكره بيـــل في ١٨٧٦
وفي ١٩٠٠ بلغ عـدد مستعمليه
مليـون شخص .



في فترة الانتقال من القرن التاسع عشر الى القرن العشرين . تفشت في أمريكا حمى الاختراع . في تسعينات القرن الماضي ابتكر توماس اديسون كاميرا الصور المتحركة وجهازاً لعرضها (فوق) ؛ وبنجاح الأخوين رايت في الطيران لأول مرة ، ولمدة ٥٩ ثانية في سنة ١٩٠٣ . بدأ في العالم الجديد عصر جديد للسفر والتجريب .





في ١٩٠٧ ، تدفق على نيويورك سيل من المهاجرين بلغ عددهم ١.٣ مليون شخص . جاء كثيرون منهم سعياً وراء مزارع أفضل . وآخرون ـ ربما مثل تلك العائلة ـ من أجل العمل في المراكز الصناعية بالساحل الشرقي .



لتربط أجزاء ممتلكاته . وقد ارتبط في عمله هذا باثني عشر عملا آخر . وكان يحصل على شروط مناسبة من شركات سكك الحديد وخطوط الملاحة . وساعده رأس ماله الوفير على التوسع في العمل وتشغيل عدد كبير من العمال . والواقع أن أمريكا لم تشهد من قبل مثيلاً لهذا التوسع الصناعي الكبير .

ورغم أن كارنيجي سيطر على صناعة الصلب زمناً طويلا إلا أنه لم يوفق تماماً في احتكار المصادر الطبيعية . ووسائل النقل . والخطط الصناعية المتصلة بصناعة الصلب . وقبيل انقضاء القرن التاسع عشر تأسست بعض الشركات الجديدة المنافسة . فضاق كارنيجي بهذه المنافسة ذرعاً . وهدّد بتأسيس صناعات أضخم . ولكن نظراً لإجهاده وكبر سنه تراجع وقبل الاقتراحات التي عرضت عليه بإدماج ممتلكاته في المؤسسة الجديدة التي استولت على معظم صناعات الصلب والحديد ومنشآتها في الولايات المتحدة .

وبفضل شركة الصلب الأمريكية التي تمخض عنها هذا الاندماج في سنة ١٩٠١ نشأ تطور في ميدان الصناعة كان قد بدأ نموه منذ ثلاثين عاماً . وهو انضمام الشركات الصناعية المستقلة بعضها الى بعض وتكوين شركات إتحادية أو مركزية . وقد بدأ هذا التطور أيام الحرب الأهلية وبلغ غاية قوته بعد العقد السابع . إذ ثبت لرجال الأعمال أنهم إذا استطاعوا أن يدمجوا البيوت التجارية المتنافسة في شركة واحدة . أمكنهم الإشراف على الإنتاج والأسواق . وقد قامت الشركات الكبرى وشركات الاحتكار لتحقيق هذه الغاية .

وهذه الشركات ، القادرة على استخدام رأس مال ضخم وعلى اعطاء المشروعات التجارية صفة الاستمرار مع دوام الرقابة والاشراف ، اجتذبت المستثمرين بالأرباح الكبيرة المتوقعة وبالخسارة المحدودة التي قد تلحق بهم في حال فشل المشروع . أما شركات الاحتكار ، التي كانت في الواقع مزيجاً من الشركات الكبرى التي يودع المساهمون فيها أسهمهم في أيدي الأوصياء الذين يديرون أعمال تلك الشركات جميعها ، فقد يسرت الاندماج على نطاق واسع كما سهلت الادارة والرقابة المركزية والمشاركة في امتيازات الاستثمار . وبفضل مصادرها المالية ورأسمالها ، كانت أقدر على التوسع ومنافسة الشركات الاجنبية ومساومة العمال الذين كانوا قد بدأوا ينظمون صفوفهم بصورة فعلية . وكذلك كانت قادرة على ان تفرض الشروط التي تتفق ومصلحتها على السكك الحديدية وان تتمتع بنفوذ كبير في الناحية السياسية .

وقد تأسست بعد شركة ستاندارد أويل ــ وهي إحدى أقوى الشركات الكبرى الأوائل ــ شركات احتكار أخرى تتعامل في زيت بذرة القطن . والرصاص . والسكر . والتبغ . والمطاط . وأخذ بعض رجال الأعمال الأقوياء يرسمون لأنفسهم مناطق نفوذ صناعية . ثم أسس أربعة من أشهر أصحاب مصانع اللحوم شركة تتجر في لحوم العجول ، وكان من بينهم فيليب أرمر وجوستافوس سويفت . وأحرز ماكورميك تفوقاً كبيراً في صناعة آلات الحصاد . وقد أظهرت الاحصاءات التي أجريت في سنة ١٩٠٤ . أن

أكثر من خمسة آلاف شركة مستقلة قد اندمجت في نحو ثلاثمائة من شركات الإحتكار الصناعية .

وهذا الاتجاه نحو الدمج بدا واضحاً في ميادين أخرى كالنقل والمواصلات خاصة . وتبع شركة وسترن يونيون للتلغراف ـ وهي من أقدم المنظمات الكبيرة ـ شركة تليفون بل . ثم تأسست بعد ذلك شركة التليفونات والتلغرافات الأمريكية . ولقد رأى كورنليوس فاندربلت أن حسن إدارة السكك الحديدية يستدعي توحيد خطوطها فقام في العقد السابع من القرن السابع عشر بربط ثلاثة عشر خطاً حديدياً منفرداً في خط حديدي واحد يصل بين نيويورك ومدينة بفلو التي تبعد عنها بنحو ٣٨٠ كيلومتراً . وفي خلال السنوات العشر التالية أصبح يمتلك خطوطاً جديدة تصل إلى شيكاغو وديترويت . وبذلك ظهرت سكك حديد نيويورك سنترال الى حيز الوجود وفي نفس الوقت كان يجري الاعداد لخطوط اخرى . وسرعان ما نظمت الخطوط الحديدية في أمريكا حتى اصبحت خطوطاً رئيسية يديرها نفر قليل من الرجال .

تكاثر المدن والمشاكل

بهذا النظام الصناعي الجديد أصبحت المدينة هي عصب البلاد . وتركزت داخل المدن جميع القوى الاقتصادية الهائلة مثل تجمع رؤوس الأموال الضخمة . والمؤسسات التجارية والمالية . وأفنية السكك الحديدية المنتشرة . والمصانع . وجيوش من الأفراد الذين يقومون بالأعمال اليدوية والكتابية . وبين عشية وضحاها نمت القرى فتحولت إلى بلدان . والبلدان إلى مدن نتيجة لتجمع السكان من الريف ومن البلاد الأخرى فيما وراء البحار . وكانت نسبة من يعيشون في جماعات يبلغ تعدادها ٨.٠٠٠ أو أكثر هي ١ إلى ١٥ في سنة ١٨٣٠ . ثم ١ إلى ٦ تقريباً في سنة ١٨٦٠ . وفي سنة ١٨٩٠ ارتفعت هذه النسبة الى ٣ / ١٠ . وحتى عام ١٨٦٠ لم يكن عدد سكان أية مدينة يزيد على مليون نسمة . ولكن بعد ثلاثين سنة بلغ عدد سكان مدينة نيويورك مليونا ونصف . وزاد عدد سكان كل من شيكاغو وفيلادلفيا عن المليون . وفي خلال هذه السنوات الثلاثين تضاعف عدد سكان فيلادلفيا وبلتيمور . وبلغ أربعة أمثاله في مدينتي ديترويت وكانساس . وستة أمثاله في كليفلاند . وعشرة أمثاله في شيكاغو . وزاد التعداد خمسين مرة أو أكثر في بعض المدن التي كانت مجرد قرى صغيرة عند قيام الحرب الأهلية . مثل مينابوليس وأوماها وغيرهما .

وادرك جروفر كليفلاند . الديموقراطي الذي انتخب لمنصب رئاسة الجمهورية في سنة ١٨٨٤ . حقيقة القوى التي كانت تعمل على تغيير أحوال البلاد . فبذل بعض الجهد لضبطها والسيطرة عليها . ففي مسألة الطرق الحديدية مثلا . احتاج الأمر الى إعادة تنظيمها نظراً لما ظهر فيها من عيوب ومساوئ . نخص بالذكر منها التفرقة بين كبار تجار الشحن وصغارهم بتخفيض أجور كبارهم . هذا بالإضافة الى أن بعض شركات السكك

الحديدية قد فرضت أجوراً عالية تعسفية على بعض التجار دون غيرهم بين نقطتين معينتين بصرف النظر عن طول المسافة . وبينما ساعدت المنافسة على خفض أجور النقل في المدن ذات الخطوط الحديدية المتعددة نجد هذه الأجور ترتفع ارتفاعاً كبيراً بين الأماكن التي يربطها خط حديدي واحد فقط . لذلك كانت نفقات شحن البضائع من شيكاغو إلى نيويورك لمسافة ١٢٨٠ كيلومتراً تقل عن نفقة شحنها لبضع مئات من الكيلومترات شرقي شيكاغو . وقد حاولت شركات السكك الحديدية أن تضع مشروعاً يرمي إلى توحيد العمل فيما بينها منعاً للمنافسة . وبواسطة أحد هذه المشروعات قسمت الشركات المتنافسة أعمال الشحن تبعاً لخطة مرسومة من قبل . على أن يودع مجموع الأرباح في صندوق مشترك كي توزع فيما بعد .

وادى تفاقم تبرم الشعب بما اتبعته هذه الشركات من أساليب الى اسراع الولايات في بذل المحاولات لتنظيم هذه الأعمال . وعلى الرغم من أن هذا الإصلاح قد أخمد عاصفة التبرم فقد كانت هذه المسألة بطبيعتها مسألة وطنية استدعت تدخل الكونجرس . وكانت النتيجة سن « قانون التجارة بين الولايات » الذي صادق عليه الرئيس كليفلاند في سنة ١٨٨٧ . وقد حرّم هذا القانون أجور النقل الباهظة كما منع التمييز بين مستوى الأجور . والمشاركة في الأعمال . ونص على تأليف « لجنة التجارة بين الولايات » لتقوم على حماية هذا القانون ولتحول دون انتهاكه ولتنظيم أجور السكك الحديدية وأعمالها .

وكان كليفلاند من أنشط أنصار تعديل الرسوم الجمركية التي أدخلت في بادئ الأمر على أنها إجراء حربي قضت به الطوارئ . ثم لم تلبث هذه الرسوم المرتفعة أن قبلت كسياسة وطنية دائمة . ولقد اعتبرها كليفلاند سياسة غير سليمة وعزا إليها إلى حد كبير زيادة نفقات المعيشة وسرعة قيام شركات الاحتكار . ولم تكن مسألة الرسوم الجمركية قضية سياسية لعدة سنوات ، ولكن الديموقراطيين طالبوا في سنة ١٨٨٠ بأن تكون الرسوم الجمركية « للدخل فقط » وسرعان ما اشتدت الرغبة في الإصلاح . ورغم التحذيرات التي وجهت إلى كليفلاند لتجنب إثارة هذا الموضوع الخطير نراه قد أذهل الأمة في رسالته السنوية عام ١٨٨٧ . إذ راح يندد بالتطرف الغريب الذي بلغه مبدأ حماية الصناعات الأمريكية من المنافسة الأجنبية .

وقد أصبحت مسألة التعريفة محور المنافسة في المعركة الانتخابية التالية للرئاسة التي فاز فيها المرشح الجمهوري بنيامين هاريسون الذي كان يدافع عن مبدأ الحماية . وبدأ هاريسون عهده بالوفاء بما تعهد به في المعركة الانتخابية عن طريق التشريع الجديد . فأصدر في سنة ١٨٩٠ قانون ماكنلي للتعريفة الجمركية . ولم يهدف هذا الإجراء إلى حماية الصناعات القائمة فحسب . بل ودعم الصناعات الناشئة . وفرض ضرائب باهظة ليساعد على ظهور صناعات أخرى . ولم تلبث أن ظهرت آثار الرسوم الباهظة التي فرضتها التعريفة الجمركية الجديدة في أسعار القطاعي بوجه عام مما ادى إلى انتشار التذمر بعد زمن يسير .

وفي خلال هذه الفترة اتجه اهتمام الرأي العام نحو شركات الاحتكار بخطى مطردة . ولم تصبح الشركات الضخمة التي تعرضت حتى العقد الثامن لهجمات المصلحين القاسية من أمثال هنري جورج وإدوارد بللامي ، هدفاً للسخط فحسب بل أصبحت قضية سياسية أيضاً . وفي سنة ١٨٩٠ صدر « قانون شيرمان » لمناهضة شركات الاحتكار وكان يهدف الى تحطيم الاحتكار قبل أي شيء . فحرّم كل اتحاد للشركات التي تحول دون تبادل التجارة بين الولايات ، ونص على كثير من وسائل التنفيذ بالإضافة إلى العقوبات الشديدة . ولكن القانون لم يؤد الى نتيجة كبيرة فور صدوره . ذلك لأنه صيغ في لغة عامة غير محددة . غير أنه لما تولى تيودور روزفلت الرئاسة بعد ذلك بعشر سنوات . نفذ القانون تنفيذاً فعّالاً حتى أطلق على روزفلت اسم « محطم الاحتكار » .

ورغم هذه الإتجاهات الواضحة ، كانت الصورة السياسية العامة في تلك الحقبة صورة سلبية . وقد كتب أحد المؤرخين المبرزين يقول : « لم يكن هناك من التشريعات الاتحادية التي سنت بين عامي ١٨٦٥ و١٨٩٧ ما أثار اهتمام اولئك المواطنين سوى القوى السياسية التي تؤدي الى تعديل جوهري في العلاقات الانسانية » . فلقد تركزت حيوية الشعب الأمريكي خلال هذه السنين في نقطة أخرى . وربما وضح انعكاس هذه الصورة جلياً في تاريخ الولايات الغربية . ففي سنة ١٨٦٥ امتدت الحدود على وجه العموم على طول الحدود الغربية للولايات المحاذية لنهر المسيسبي وتقدمت بحيث أصبحت تشمل الأجزاء الشرقية من ولايتي كانساس ونبراسكا . وكانت وراء هذه المزارع الأولى الضيقة أراض واسعة غير مستعمرة ثم البراري غير المحدودة التي امتدت إلى السهول الفسيحة الأرجاء التي تصل إلى سفوح جبال روكي . وعلى امتداد ١٦٠٠ كيلومتر تقريباً تقوم سلاسل الجبال الضخمة الغنية في معظمها بالفضة والذهب وغيرهما من المعادن . وبمحاذاة المحيط الهادي انبسطت إذ ذاك مساحات جديدة من السهول والصحارى الممتدة إلى الغابات الساحلية والى المحيط . وبالاضافة الى المقاطعات الآهلة بالسكان في كاليفورنيا والمراكز المبعثرة كانت المنطقة الداخلية الشاسعة الأرجاء آهلة بالهنود فقط .

توفر الفرص في الغرب

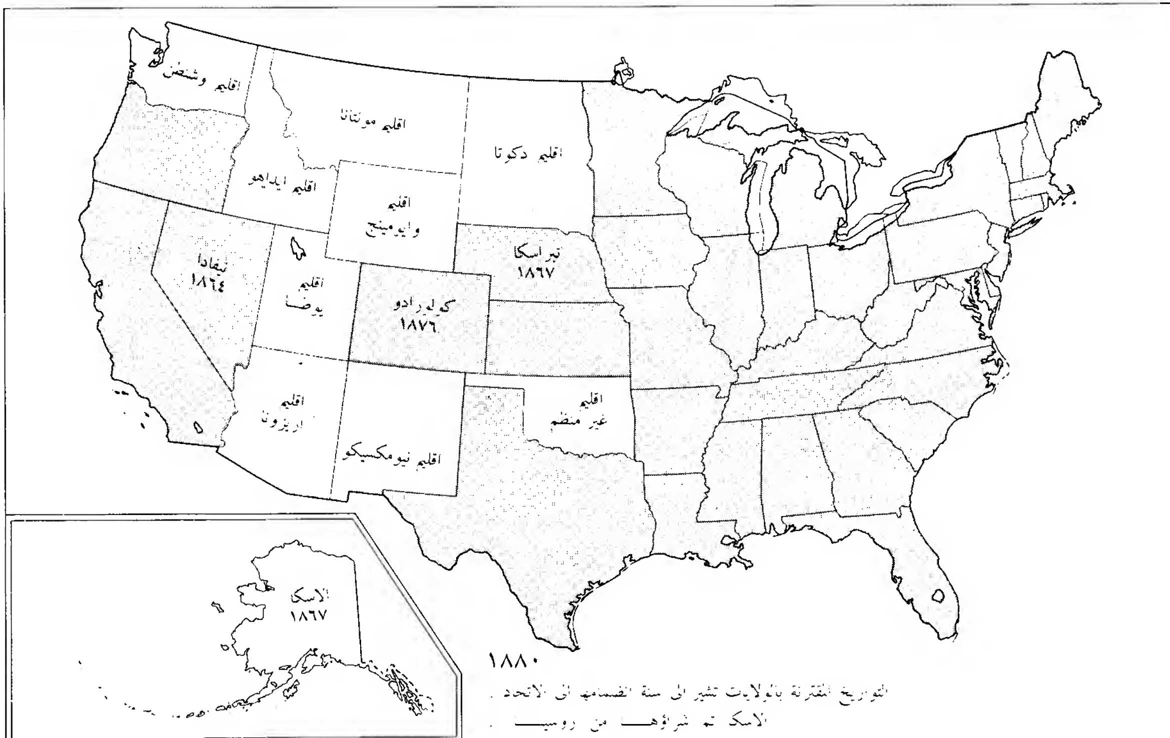
وبعد مضي ربع قرن أصبح معظم هذه الجهات منقسماً إلى ولايات ومقاطعات . وقد شجع حركة الاستعمار « قانون الإستيطان » الذي صدر في سنة ١٨٦٢ ، إذ منح دون مقابل ضياعاً تبلغ مساحة الواحدة منها ١٦٠ فداناً للمواطنين الذين يقيمون في الأرض ويصلحونها . ولم تأت سنة ١٨٨٠ حتى تم توزيع حوالي ٥٦.٠٠٠.٠٠٠ فدان بين الأفراد بموجب هذا القانون . وانتهت الحروب التي دارت رحاها مع الهنود ، وانتشر المعدنون في المنطقة الجبلية من البلاد وأخذوا ينقبون في الأرض ويقيمون كجماعات صغيرة في ولايات نفادا ، ومونتانا ، وكولورادو . وقد ادعى مربو الماشية

الذين استغلوا المراعي الواسعة ملكية المنطقة الواسعة التي تمتد من ولاية تكساس إلى منابع نهر الميسوري . وكذلك شق الرعاة طريقهم الى الأودية ومنحدرات الجبال ، ثم اندفع المزارعون زرافات متعاقبة إلى السهول والأودية وسدوا الثغرة بين الشرق والغرب . حتى إذا حلت سنة ١٨٩٠ كانت الحدود قد اختفت . واشتغل خمسة أوستة ملايين من الرجال والنساء حينذاك بزراعة الأراضي التي كانت . قبل عقدين فقط ، ترعى فيها قطعان الجاموس .

وقد ساعدت الطرق الحديدية على سرعة استعمار هذه البلاد . وفي سنة ١٨٦٢ وافق الكونجرس على إصدار قانون يمنح « شركة يونيون باسيفيك » للسكك الحديدية امتيازاً مدت بموجبه خطاً نحو الغرب من مدينة كاونسل بلفس ، بولاية ايوا . وفي الوقت نفسه أخذت شركة سنترال باسيفك تمد الخطوط الحديدية شرقاً من ساكرامنتو ، في ولاية كاليفورنيا . ولقد اهتزت البلاد لاقتراب هذين الخطين الحديدين شيئاً فشيئاً ثم اتصالهما في آخر الأمر في نقطة برمونتري ، في ولاية يوتاه . في ١٠ مايو سنة ١٨٦٩ . فأصبحت المرحلة الشاقة التي كان المسافر يقطعها في شهر بين المحيط الأطلسي والمحيط الهادي لا تستغرق إلا وقتاً يسيراً . ولقد نمت شبكة الخطوط الحديدية عبر القارة نمواً مطرداً . فما حلت سنة ١٨٨٤ حتى كانت أربعة خطوط حديدية عظيمة قد ربطت منطقة أواسط وادي المسيسيبي بالمحيط الهادي .

واجتذبت المناطق الجبلية أول مجموعة عظيمة من السكان اندفعت نحو أقصى الغرب . إذ اكتشف الذهب في كاليفورنيا سنة ١٨٤٨ . وفي كولورادو ونيفادا بعد ذلك بعشر سنين ، وفي مونتانا ووايومنج في العقد السابع . وفي التلال السوداء بداكوتا في العقد الثامن . وفي جميع أرجاء هذه المساحات استكشف المعدنون البلاد ، وأقاموا المجتمعات . وأسسوا المستعمرات الدائمة ، وبينما كان القوم ينقبون في التلال أدرك بعضهم أن الزراعة ميسورة وتربية الماشية ممكنة في تلك المنطقة . وقد استمرت جماعات قليلة تشتغل بالتعدين وتكاد تنقطع له ، ولكن ظهر في النهاية أن ثروة مونتانا وكولورادو ووايومنج وإيداهو ـ كما كانت الحال في كاليفورنيا ـ تتركز في الزراعة والرعي .

وأصبحت تربية الماشية التي كانت منذ عهد طويل صناعة هامة في ولاية تكساس ، اكثر ازدهاراً بعد الحرب . عندما أخذ المغامرون يدفعون مواشيهم ذات القرون الطويلة عبر الأراضي الحكومية حتى إذا ما وصلت محطات السكك الحديدية في كانساس حيث تعد للتصدير ، كانت أكبر وأسمن مما كانت عليه قبل الرحلة ذلك لأنها كانت ترعى أينما سارت . وسرعان ما أصبحت هذه الرحلة الطويلة شيئاً عادياً . حتى أن المرء ليرى مئات الكيلومترات من الطرق وقد قطعتها الماشية في سفرها صوب الشمال . وانتشرت تربية الماشية انتشاراً سريعاً عبر منطقة ميسوري ، كما انتشرت المراعي الفسيحة في كولورادو ، ووايومنج ، وكانساس ، ونبراسكا ، وفي منطقة داكوتا . وازدهرت المدن الغربية باعتبارها مراكز لذبح الحيوانات وإعداد اللحوم .



١٨٨٠

التواريخ المقترنة بالولايات تشير الى سنة انضمامها الى الاتحاد .

الاسكا تم شراؤها من روسيا .

المصدر : المسحة الجيولوجية الأمريكية

ولقد أضافت تربية الماشية على البلاد لوناً جديداً من الحياة تميز فيه راعي البقر المشهور . ويقول تيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة الخامس والعشرون ، من ذكرياته الشخصية في داكوتا : « لقد عشنا عيشة حرة جافة بخيولنا وبنادقنا ، وعملنا تحت أشعة الشمس في منتصف فصل الصيف ، حين كانت السهول الفسيحة تتألق وتموج في حرارة القيظ . وعرفنا ألم البرد وقسوته حين كنا نمتطي جيادنا ونتجول حول الماشية بالليل في أواخر الخريف . ولكنا شعرنا بحرارة الحياة تسري في دمائنا . وكانت حياتنا تتمثل في جلال العمل وبهجة العيش » .

وقد بلغ عدد الماشية التي نقلت من تكساس لقضاء الشتاء في أعالي سهول كولورادو وويومنج ومونتانا ، بين سنتي ١٨٦٦ و١٨٨٨ ، ستة ملايين رأس ، وبلغت تربية الماشية ذروة ازدهارها حوالي سنة ١٨٨٥ . وكانت المنطقة ، قد أنهكها الرعي حتى لم تعد تصلح « للرحلة الطويلة » ، وكانت قد بدأت السكك الحديدية تشقها . وعلى مقربة من الرعاة علا صوت عربات المزارعين تحمل نساءهم وأطفالهم ، وأصوات خيول الجر، والأبقار والخنازير . وبمقتضى قانون الإستيطان حدد المزارعون الأراضي التي ادعوا ملكيتها . وأحاطوها بالأسلاك الشائكة . وأقصوا الرعاة عن الأراضي التي استولوا عليها دون أن يكون لهم حق فيها . وسرعان ما فقد « الغرب الموحش » ملامحه الرومانتيكية .

العلم والآلة في خدمة المزارع

ورغم الخطوات الضخمة التي خطتها الصناعة ، فقد ظلت الزراعة المهنة الأساسية التي احترفها السواد الأعظم من السكان في انحاء البلاد . وكما هي الحال بالنسبة الى الصناعة التي نمت وترعرعت في السنين التي تلت الحرب ، كانت الزراعة كذلك تمر في طور انقلاب فانتقلت من زراعة تعتمد على العمل اليدوي ، الى زراعة ميكانيكية ، ومن زراعة تهدف الى سد حاجات البلاد ، الى زراعة تجارية . وبين سنتي ١٨٦٠ و١٩١٠ زاد عدد المزارع في الولايات المتحدة الى ثلاثة امثال ما كان عليه ، بحيث ارتفع من مليونين الى ٦ ملايين . واربت المساحة المزروعة على ضعف ما كانت عليه فزادت من ٤٠٠ مليون فدان الى ٨٨٠ مليون فدان .

وخلال الفترة بين سنتي ١٨٦٠ و١٨٩٠ فاق انتاج بعض المحاصيل الأساسية مثل القمح ، والذرة ، والقطن ، كل الأرقام السابقة في الولايات المتحدة . وفي نفس هذه الفترة زاد عدد سكان البلاد عن الضعفين وكانت معظم الزيادة في المدن . غير ان المزارع الأمريكي زرع كميات كافية من الحبوب والقطن ، وقام بتربية اعداد كافية من الأبقار والخنازير ، وانتج ما يكفي من الصوف لا لسد حاجة العمال الأمريكيين وعائلاتهم فحسب بل وكذلك لتكوين فائض متزايد ابداً .

وثمة عوامل عديدة قد أدت الى هذا العمل العظيم . أحد هذه العوامل هو التوسع نحو الغرب ، وعامل آخر هو استخدام الآلات في العمليات الزراعية . فالمزارع الذي

كان في سنة ١٨٠٠ يستعمل منجل الحصاد اليدوي لم يكن يتوقع ان يحصد اكثر من نصف فدان من القمح في اليوم . وباستخدامه . بعد ٣٠ سنة . آلة الحصاد تمكن من ان يحصد فدانين في اليوم الواحد . وفي سنة ١٨٤٠ حقق سايرس ماك كورميك معجزة . هي حصد خمسة فدادين أوستة في اليوم الواحد بإستخدام الآلة العجيبة التي استغرق صنعها عشر سنوات . وقد هداه بعد نظره إلى أن يتجه صوب الغرب إلى شيكاغو الناشئة في البراري حيث أنشأ داراً لصناعة آلات الحصاد الميكانيكية . حتى إذا كانت سنة ١٨٦٠ بلغ عدد آلات الحصاد التي باعها ربع مليون آلة .

وسرعان ما تولى اختراع الآلات الزراعية الأخرى . مثل المحصدة الآلية والدرّاسة وأخرى للحصاد والتذرية . وظهرت كذلك آلات لزراعة الذرة . وأخرى لقطعها وتقشيرها . وآلة فرز القشدة . وآلة نثر السماد . وآلة زراعة البطاطس . وآلة تجفيف الحشائش . وجهاز التفريخ ومئات اخرى من الاختراعات .

ولم تكن النهضة العلمية بأقل أهمية من الآلات في الثورة الزراعية . وبمقتضى قانون موريل الذي صدر في سنة ١٨٦٢ . خصص الكونجرس من أراضي الدولة مساحة لكل ولاية لتقيم عليها الكليات الزراعية والصناعية . وكانت هذه المعاهد بمثابة مؤسسات تعليمية ومراكز للأبحاث في فنون الزراعة العلمية . ثم اعتمد الكونجرس بعد ذلك الأموال اللازمة لإنشاء محطات للتجارب الزراعية في جميع أرجاء البلاد . كما منح وزارة الزراعة ما يلزم من الأموال للأبحاث . فاشتغل العلماء في مستهل القرن الجديد في العديد من المشروعات الزراعية في أنحاء البلاد .

أحد هؤلاء العلماء . وهو مارك كارلتون . اوفدته وزارة الزراعة إلى روسيا . وهناك وجد نوعاً من القمح الشتوي الذي يقاوم العفن والجفاف فاستورده . وشكل محصول هذا القمح أكثر من نصف مجموع إنتاج القمح في الولايات المتحدة . وثمة عالم آخر هو ماريون دورست الذي تغلب على كوليرا الخنازير المخيفة . وتغلب جورج مولر على الحمى القلاعية المخية . وحمل أحد هؤلاء الباحثين بعض أنواع الذرة الوافر المحصول « كفير » من شمال أفريقيا الى أمريكا . واستورد باحث آخر من تركستان نبات البرسيم الحجازي ذا الزهرة وأنتج لوثر بيربانك ، في كاليفورنيا . عينات من أنواع الفاكهة والخضروات الجديدة . وفي ولاية ويسكونسن اخترع ستيفن بابكوك آلة لاختبار الدسم وتقدير نسبته في اللبن . وفي معهد تسكيجي في ألباما . اكتشف العالم الزنجي العظيم جورج وشنطن كارفر مئات من المنافع الجديدة للفول السوداني . والبطاطس الحلوة . وفول الصويا .

فترات عصيبة تواجه المزارع

وعلى الرغم من هذا التقدم الرائع تعرض المزارع الأمريكي لفترات عصيبة خلال القرن التاسع عشر وقد اشتركت في ذلك عدة عوامل جوهرية . كاستنفاد خصوبة

التربة ، وتقلبات الطبيعة ، والاسراف في إنتاج المحاصيل الزراعية الرئيسية ، وهبوط مستوى الاكتفاء الذاتي ، ونقص التشريعات الملائمة التي تهدف الى حماية المزارعين ومساعدتهم . فقد انهكت التربة في الجنوب مدة طويلة نتيجة لزراعة التبغ والقطن بصفة دائمة مستمرة ، أما في الغرب وفي السهول فقد اجتاحت الأراضي الزوابع ، وأتلفها جرف المياه للتربة ، والآفات التي سببها انتشار الحشرات .

ولم تكن سرعة استخدام الآلات الزراعية على نطاق واسع غربي المسيسيبي خيراً كلها ، إذ شجعت كثيرين من كبار المزارعين على زيادة رقعة الأراضي التي يملكونها بلا روية ، كما شجعتهم على تركيز اهتمامهم في المحاصيل الأساسية ، وأتاحت لهم تفوقاً ملحوظاً على صغار المزارعين ، وكانت عاملاً في تطور استئجار الأراضي وفلاحة الأرض على نطاق واسع . وكان لا بد من أن تبقى هذه المشكلات قائمة لعدة سنوات حتى أصبحت الأساليب الحديثة في المحافظة على خصوبة التربة أمراً معترفاً به ومقبولاً .

وكانت مشكلة الأسعار أشد تعقيداً من هذا كله ، ومع ذلك فقد كانت أكثر منها قابلية للحل ، وأسرع استجابة لتدابير العلاج . فبينما كان الفلاح يبيع حاصلاته في السوق العالمية حيث المنافسة على أشدها كان يشتري حاجاته ومؤنه وادواته من السوق المحلية التي فرضت الضرائب لحمايتها من المنافسة . فكان الثمن الذي يحصل عليه لقاء ما يصدره من قمح وقطن ولحوم يخضع للمنافسة في الأسواق العالمية . بينما كان الثمن الذي يجب عليه أن يدفعه ليحصل على الآلات والأسمدة ، والأسلاك الشائكة تحت رحمة شركات الاحتكار التي كانت محمية بالتعريفة الجمركية . وبين سنة ١٨٧٠ وسنة ١٨٩٠ أخذت أسعار معظم المنتوجات الزراعية تهبط بدون انتظام ، ولم تزد قيمة المحاصيل الزراعية الأمريكية إلا ٥٠٠ مليون دولار في الوقت الذي زادت فيه قيمة السلع المصنوعة بمقدار ستة بلايين دولار .

وقد كان فقدان التوازن الاقتصادي سبباً في تكوين المنظمات الزراعية لبحث الأسباب العامة للشكوى واقتراح وسائل العلاج . وقد شكلت معظم هذه المنظمات على غرار منظمة جرينج التي تأسست في سنة ١٨٦٧ . وفي خلال سنوات قلائل كانت هناك منظمات في كل ولاية تقريباً ، يزيد عدد الأعضاء المشتركين فيها على ٧٥٠ الف نسمة . وقد بدأت هذه الجماعات غالباً كمنظمات اجتماعية ترمي الى تخفيف عزلة الفلاح ، بيد أنه لم يكن هناك مفرّ من اتجاه الأعضاء الى المناقشات في شؤون عملهم وفي السياسة . وسرعان ما انشأت هذه المنظمات مؤسسات تعاونية لخدمة الأسواق ومخازن تعاونية بل ومصانع أيضاً . وفي بعض الولايات الوسطى الغربية أنتخب منهم أعضاء للمجالس التشريعية .

على أن الحركة بعثت من جديد في صورة اتحادات للمزارعين كانت تضم بحلول عام ١٨٩٠ نحو مليوني عضو . وبالإضافة الى البرنامج التعليمي الضخم تقدمت هذه الجماعات بطلبات ترمي الى سن قوانين للإصلاح السياسي . ثم لم تلبث هذه الاتحادات

أن تطورت الى جماعة يدين أعضاؤها بمبادئ سياسية . وعارضت هذه الجماعة ـ التي عرفت باسم الحزب الشعبي ـ الحزبين الديموقراطي والجمهوري معارضة عنيفة .

الحماس للحزب الشعبي

ولم يعرف تاريخ السياسة الأمريكية شيئاً يشبه هذا الحماس للحزب الشعبي الذي اجتاح البراري ومناطق القطن . فكان الفلاحون يحشدون زوجاتهم وأولادهم في مركباتهم الصغيرة بعد فراغهم من عملهم اليومي الشاق إلى مكان الاجتماع حيث يقابلون خطب زعمائهم العاطفية الحارة بالاستحسان . وقد أسفرت انتخابات سنة ١٨٩٠ عن تولي هذا الحزب الجديد زمام السلطة في اثنتي عشرة ولاية من الولايات الجنوبية والغربية . وأرسلت عشرين شيخاً ونائباً الى الكونجرس . ووضع الشعبيون الذين شجعهم هذا النجاح برنامجاً تقدمياً . وطالبوا بتحقيق إصلاحات عامة تشمل ضريبة الدخل . ونظاماً وطنياً للسلفيات الزراعية . وتأميم السكك الحديدية . وتحديد ساعات العمل بثماني ساعات يومياً . وزيادة النقد وذلك بسك نقود فضية بدون تحديد .

وقد ظهرت قوة الحزب الشعبي واضحة جلية في الغرب والجنوب . في انتخابات سنة ١٨٩٢ . ولكن بالرغم من ان مرشح الحزب للرئاسة قد نال أكثر من مليون صوت . كان المرشح الديموقراطي . جروفر كليفلاند . هو الذي انتخب . وبعد ذلك بأربع سنوات اتحد أعضاء الحزب الشعبي الناشئ . مع الحزب الديموقراطي في كل مكان تقريباً . وتوصلوا الى التأثير على زعماء الديموقراطيين الجدد لاتخاذ من مشكلة العملة قضية سياسية رئيسية .

كانت الولايات المتحدة الأمريكية تسير . منذ تأسست . وفق نظام نقدي معدني مزدوج فكانت الحكومة مقيدة بسك جميع كميات الذهب أو الفضة التي يمكن أن ترد إلى دار سك النقود إلى دولارات . وقد أعاد الكونجرس تنظيم العملة في سنة ١٨٧٣ وألغى فيما ألغى الدولار الفضي من قائمة النقود الرسمية للدولة ولم يسترع هذا القانون كثيراً من الانتباه في ذلك الوقت نظراً لندرة معدن الفضة . ولم تكن هناك في الواقع دولارات فضية متداولة لمدة أربعين سنة . ولكن الأمر تغير فجأة بكشف مناجم الفضة بالذات في المناطق الجبلية في الولايات الغربية وفي الوقت نفسه بطل في كثير من البلاد الأوروبية التعامل بالفضة وأصبحت المقادير الضخمة من الفضة في متناول الأيدي .

واذ كانت البلاد تقاسي من الركود الاقتصادي بادر اصحاب الأراضي في الغرب والجنوب الى المطالبة بالعودة إلى سك العملة الفضية دون تحديد . وعاونتهم في هذا الطلب جماعات العمال في المراكز الصناعية الشرقية . ذلك لأنهم جميعاً يعتقدون أن متاعبهم نتيجة لقلة العملة المتداولة . كذلك اعتقد هؤلاء أن زيادة كمية النقود المتداولة تؤدي بطريق غير مباشر الى ارتفاع أسعار المحاصيل الزراعية ورفع مستوى الأجور في

الصناعة . كما زعموا أن ذلك الإجراء سوف يساعد على الوفاء بالديون . بينما اقتنع المحافظون من ناحية أخرى بأن مثل هذه السياسة تسبب كارثة مالية ، إذ لو حدث ارتباك مالي فلن يمكن وقفه وينتهي الأمر بالحكومة حينئذ إلى الإفلاس . وأكدوا أن الذهب وحده هو الذي يؤدي الى ثبات الأسعار .

وقد وجد أنصار العملة الفضية – من الديموقراطيين والحزب الشعبي القديم – قائداً لهم في شخص وليم جنينجز بريان . من نبراسكا . فرشحوه للرئاسة في انتخابات سنة ١٨٩٦ . غير أن حزبه كان منقسماً على نفسه في الوقت الذي كان فيه خصومه أقوياء ، ففاز وليام ماكنلي بالرئاسة وتفوق عليه بنصف مليون صوت . ومع ذلك فقد أصبحت حملة بريان الانتخابية قصة عجيبة يتناقلها الناس . وإذا نحن استثنينا سياسته المالية ، وجدنا أن أغلب آراء الشعبيين والديموقراطيين الزراعيين قد أصبحت بعد ذلك تشريعاً . وكذلك دلت هذه الحملة الانتخابية بالدليل القاطع على التماسك الذي وصل إليه الاتحاد بين الولايات منذ الحرب الأهلية . ومع ان مظالم المزارعين لم تكن في جوهرها أقل أهمية من مظالم أصحاب العبيد . فلم يثر أحد شيئاً عن مسألة الالغاء أو الانفصال .

اسبانيا تخسر الحرب والمستعمرات

وقد تجلت الوحدة القومية بصورة اكثر وضوحاً في أثناء الحرب مع اسبانيا في عام ١٨٩٨ . اذ استمرت اسبانيا تحكم جزيرة كوبا – الواقعة الى جنوب شبه جزيرة فلوريدا – التي ازدهرت تجارتها اذ ذاك مع الولايات المتحدة . وفي سنة ١٨٩٥ انفجر غضب أهل كوبا في حرب لنيل الاستقلال .

وراقبت الولايات المتحدة مجرى الثورة في اهتمام بالغ ، إذ كان معظم الأمريكيين يعطفون على الكوبيين في حركتهم الاستقلالية . ولكن الرئيس كليفلاند كان قد عقد العزم على البقاء على الحياد . على أنه بعد ثلاثة أعوام في عهد رئاسة ماكنلي حُطمت السفينة الحربية « مين » التابعة للولايات المتحدة بينما كانت راسية في ميناء هافانا ، وقتل ٢٦٠ رجلاً من بحارتها ، فأدى ذلك الى اشتداد الحماس القومي وانفجاره . وقد حاول ماكنلي الاحتفاظ بالسلام الى حين ولكنه رأى بعد بضعة أشهر أنه لا جدوى من المماطلة والتأخير فأوصى بالتدخل المسلح .

وكانت الحرب مع اسبانيا سريعة وحاسمة . وخلال الأربعة أشهر التي استغرقتها لم تهزم أمريكا هزيمة واحدة تذكر . فبعد اعلان الحرب باسبوع قدم الكومودور جورج ديوي ، الذي كان حينئذ في هونج كونج ، الى الفليبين على رأس اسطوله المؤلف من ست سفن . وكانت اوامره تقضي بمنع الاسطول الاسباني الراسي هناك من القيام بأعمال حربية في المياه الأمريكية . وانطلق يدمر الاسطول الاسباني باسره دون ان يقتل

أمريكي واحد . وفي ذلك الوقت نزلت الى البر الكوبي قوات من الجيش قرب سانتياجو حيث انتصرت في سلسلة معارك واطلقت نيرانها على المياه . فخرجت من مياه خليج سانتياجو اربع مدمرات اسبانية . وما لبثت . بعد ساعات قليلة . ان تحولت إلى هياكل محطمة .

ومن بوسطن إلى سان فرانسيسكو أطلقت الصفارات ورفرفت الاعلام حين وصلت الأنباء بسقوط سانتياجو. وأسرعت الصحف فبعثت بمراسليها إلى كوبا والفليبين وأشاد هؤلاء المراسلون بأبطال الأمة الجدد الذين اشتهر بينهم جورج ديوي . بطل مانيلا . وتيودور روزفلت قائد « الفرسان العتاة » وهم كتيبة من الخيّالة المتطوعين الذين جندهم للخدمة في كوبا . وقبل مضي زمن طويل طلبت أسبانيا الصلح . فوقعت في ١٠ ديسمبر سنة ١٨٩٨ . المعاهدة التي بمقتضاها سلمت أسبانيا كوبا الى الولايات المتحدة لتحتلها مؤقتاً . تمهيداً لاستقلالها . وباضافة الى ذلك تخلت اسبانيا عن بورتوريكو وجوام مقابل تعويضات الحرب ، كما تركت الفليبين مقابل ٢٠ مليون دولار .

وبعد أن استقرت الولايات المتحدة في الفلبين عقدت أمريكا كثيراً من الأمل في القيام بتجارة واسعة النطاق مع الصين . فمنذ هزمت اليابان الصين في سنة ١٨٩٤ ـ ١٨٩٥ استولى عدد من الأمم الاوروبية على القواعد البحرية واستأجرت الأراضي ، وأنشأت هناك مناطق النفوذ . ولم يكن احتكار التجارة هو كل ما حصلت عليه من كسب فحسب بل إنها اكتسبت فوق ذلك انفرادها باستثمار رؤوس أموالها في إنشاء السكك الحديدية واستغلال المناجم في المناطق المجاورة .

وكانت الحكومة الأمريكية تتمسك دائماً في علاقاتها الدبلوماسية مع الشرق بالمساواة في الامتيازات التجارية التي تمنح لجميع الدول . ولكي تحتفظ بهذا المبدأ كان لا بد من أن تنتهج سياسة جريئة . وفي سبتمبر سنة ١٨٩٩ وجه وزير الخارجية جون هاي للدول التي يعنيها الأمر مذكرة دورية . فاتفقت كلها على « مبدأ الباب المفتوح » لجميع الأمم في الصين ـ بمعنى أن تتكافأ الفرص التجارية بما في ذلك المساواة في التعريفة الجمركية . ورسوم الموانئ ، وأجور السكك الحديدية في جميع المناطق التي تشرف عليها تلك الدول .

ولكن الصينيين ثاروا في وجه الأجانب في سنة ١٩٠٠ . وفي شهر يونيو استولى الثوار على بيينج وحاصروا المفوضيات الأجنبية هناك . وفي الحال أعلن « هاي » لجميع الدول بأن الولايات المتحدة سوف تقاوم أي إخلال بحقوق الصين الإقليمية أو بسياسة « الباب المفتوح » . وبعد قمع الثورة تطلب الموقف كل ما يملك الوزير من براعة وحذق لتنفيذ البرنامج الأمريكي وحماية الصين من دفع التعويضات الفادحة . وفي اكتوبر من تلك السنة أعلنت بريطانيا وألمانيا مرة أخرى تمسكهما بسياسة « الباب المفتوح » والمحافظة على استقلال الصين . وتبعتهما الأمم الأخرى على الفور .

وفي ذلك الوقت أعطت انتخابات الرئاسة سنة ١٩٠٠ الشعب الأمريكي فرصة

للحكم على حكومة ماكنلي ، خصوصاً فيما يتعلق بسياسته الخارجية . وقد عبّر الجمهوريون في اجتماع فيلادلفيا عن سرورهم واغتباطهم بما أحرزوه من فوز في الحرب ضد أسبانيا . واستعادة الرخاء وما بذلوه من جهد للحصول على أسواق جديدة عن طريق سياسة « الباب المفتوح » . وكان انتخاب ماكنلي للرئاسة مع تيودور روزفلت نائباً للرئيس ، خاتمة المطاف . ولكن الرئيس لم يعش طويلاً ليتمتع بالنصر . في سبتمبر سنة ١٩٠١ وبينما كان يشاهد معرضاً في بفالو بنيويورك أطلق عليه أحد القتلة الرصاص فخر صريعاً ، ورفع موت ماكنلي تيودور روزفلت إلى كرسي الرئاسة .

عهد النقد الاجتماعي

وصاحب اعتلاء روزفلت كرسي الرئاسة ظهور عهد جديد في حياة أمريكا السياسية في الشؤون الداخلية والخارجية جميعاً . فقد أصبحت البلاد آهلة بالسكان وزالت الحدود وتطورت الأمة من جمهورية صغيرة مناضلة الى دولة من الدول العظمى . وصمد نظامها السياسي لتقلبات الحروب الأهلية والخارجية كما تحملت تقلبات الرخاء والأزمات . وتقدمت الزراعة والصناعة وتحققت الى حد كبير أمنية التعليم المجاني . كما ظلت حرية الصحافة وحرية العبادة تسيران وفق المثل العليا . ومع ذلك كله فإن الأمريكيين المفكرين لم يرضوا عن الحالة الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، إذ توطدت الأعمال الكبيرة بشكل لم يسبق له مثيل ، وكان زمام الحكومة المحلية والبلدية غالباً في أيدي سياسيين مرتشين ، فانتشرت روح المادية في جميع مرافق المجتمع .

وعلا الاحتجاج الصارخ في وجه هذه المساوئ واستطاع أن يصبغ التفكير الأمريكي والسياسة الأمريكية بصبغته الخاصة من سنة ١٨٩٠ إلى الحرب العالمية الأولى تقريباً . ومنذ مستهل الانقلاب الصناعي كان المزارعون في نضال مع المدن وفي كفاح مع الفئة الجديدة من أصحاب الصناعات البارزين . ومنذ العقد السادس من القرن التاسع عشر بدأ المصلحون يهاجمون بالنقد المر نظام المحسوبية الشائعة حيث كانت الشخصيات السياسية الناجحة توزع على أنصارها المناصب الحكومية . وبعد نضال دام ثلاثين سنة نجح المصلحون في إقرار قانون بندلتون الخاص بموظفي الحكومة في سنة ١٨٨٣ .

وكان هذا القانون الذي دعم نظم الكفاية في وظائف الحكومة ، بداية الاصلاح السياسي . كذلك احتج عمال المصانع على ما يعانونه من مظالم ، وارتفع عدد أعضاء جمعية « فرسان العمل » التي تأسست في سنة ١٨٦٩ لحماية انفسهم الى ٧٠٠ الف عضو حوالي عام ١٨٨٥ . وبعد هذا التاريخ ترددت هذه المنظمة ولكن سرعان ما حلّ محلها اتحاد العمال الأمريكي الذي ضم نقابات من ارباب الحرف والصناعات . وبحلول سنة ١٩٠٠ أصبح العمال قوة لا يستهان بها .

وتكاد كل شخصية من الشخصيات البارزة في هذه الفترة سواء في السياسة ، أو

الفلسفة . أو العلوم . أو الأدب . تستمد جزءاً من شهرتها من اتصالها بحركة الإصلاح . وكان كل ابطال هذه الفترة مصلحين يعبرون عن احتجاجهم الشديد على الأساليب والمبادئ الموروثة عن الجمهورية الريفية في القرن الثامن عشر التي لم تعد تتناسب مع دولة مدنية في القرن العشرين . وشهدت الفترة ما بين سنة ١٩٠٢ وسنة ١٩٠٨ . أعظم نشاط اصلاحي عرفته البلاد . وقبل ذلك بسنوات . عرّض مارك توين . في سنة ١٨٧٣ . بالمجتمع الأمريكي في نقده الدقيق في مجلة « جيلدد ايج » ثم ظهرت مقالات لاذعة عن الشركات والشؤون المالية . والأطعمة الفاسدة . والسكك الحديدية . في الصحف اليومية . وفي مجلات معروفة مثل « ماكلورز » و« افري بوديز » و«كوليرز » . ولجأ ابتن سنكلير إلى القصة كوسيلة للتعبير . فنشر قصة تسمى « الغابة » اظهر بها سوء الاحوال الصحية في مصانع تعبئة اللحوم الكبرى بشيكاغو . وتحدث فيها عن سيطرة شركات اللحوم الاحتكارية على تموين الأمة باللحوم . وقد سهلت قصتا تيودور دريزر وهما « الفينانسير » و« التيتان » فهم سير دولاب العمل في المشروعات الكبيرة . وأوضحت قصة فرانك نورس « الحفرة » كثيراً من مظالم المزارعين . وكشفت قصة لنكولن ستيفن المسماة « مخازي المدن » عن الفساد السياسي . وكان لهذا « العرض الأدبي » تأثير حيوي في حفز الناس على العمل .

وقد دفعت أكثر أعمال الكتاب المتطرفين ويقظة الشعب . السادة السياسيين إلى اتخاذ تدابير عملية . وأخذت عدة ولايات تسن قوانين تهدف الى تحسين أحوال الناس في معيشتهم وعملهم . فدعمت مثلاً قوانين العمل الخاصة بالأطفال . وسنت قوانين جديدة رفعت الحد الأدنى للسن . وأنقصت ساعات العمل . وقيدت العمل الليلي . وألزمت إرسال الأطفال إلى المدارس .

اصلاحات تستهدف تحسين أحوال الناس

وفي ذلك الوقت كانت معظم المدن الكبرى وأكثر من نصف الولايات قد قررت اعتبار العمل اليومي ثماني ساعات في الأعمال العامة . كذلك عني أولو الأمر بقوانين التعويض الخاصة بالعمال مما جعل أصحاب الأعمال مسؤولين قانوناً عما يصيب العمال من أضرار في أثناء تأدية أعمالهم . وسنت ايضاً قوانين جديدة للدخل فرضت على التركات . وعلى الدخل . والممتلكات . وأرباح الشركات الكبرى . بهدف إلقاء أعباء الحكومة على الأغنياء من أفراد الشعب .

وقد اتضح للكثيرين ـ والرئيس ثيودور روزفلت بنوع خاص ـ أنه ليس من الممكن حل معظم المشكلات التي واجهها المصلحون ما لم تعالج على نطاق قومي وقد بدأ روزفلت . الذي كان شديد التحمس للاصلاح ومصمماً على ان يقدم للشعب عهداً عادلاً . سياسته الخاصة بزيادة الرقابة الحكومية . بتنفيذه للقوانين المناهضة لشركات الاحتكار . وكان امتداد مثل هذه الرقابة على سكك الحديد من أبرز الأعمال

التي تمت في عهده . وقد أطلق هو نفسه على مشكلة تنظيم السكك الحديدية اسم « القضية العظمى » واعتمد قانونين هامين لأغراض التنظيم وقد نص أحدهما وهو قانون الكنز الذي صدر في سنة ١٩٠٣ ، على أن تكون التعريفات الرسمية هي المعيار القانوني الذي يعمل به ، كما جعل التجار والطرق الحديدية مسؤولين سواء بسواء من استرجاع جزء من أجور الشحن . ونجحت الحكومة بمقتضى شروط هذا القانون في أن تقاضي الشركات التي تحيد عن جادة الصواب .

واسرت شخصية تيودور روزفلت الفذة ، وجهاده في مناهضة شركات الاحتكار ، عقل رجل الشارع . وتعدى صدى استحسان تدابيره الاصلاحية التقدمية نطاق حزبه . وادى الرخاء الكبير الذي نعمت به البلاد في عهده الى انتشار شعور الرضى والتأييد للحزب الحاكم ، مما ضمن له الفوز في انتخابات سنة ١٩٠٤ .

وتشجع روزفلت بالنصر الكاسح الذي احرزه في الانتخابات فعاد الى منصبه بعزم جديد على أن يسير بقضية الاصلاح قدماً . وقد طالب في رسالته السنوية الأولى باتخاذ تدابير أشد صرامة ضد انظمة السكك الحديدية . وفي يونيو سنة ١٩٠٦ أقر قانون هيبورن ، الذي اعطى « لجنة التجارة بين الولايات » سلطة حقيقية في تنظيم الأسعار ووسع سلطاتها التشريعية وارغم الخطوط الحديدية على التخلي عن نصيبها في خطوط الملاحة وشركات الفحم .

كذلك دعمت الإجراءات البرلمانية الأخرى مبدأ إشراف الحكومة الاتحادية وكان من أثر حملة الإصلاح أن حرم « قانون الطعام النيّ » الذي صدر في سنة ١٩٠٦ استعمال أي « عقار مضر » سواء كان كيماوياً أو وقائياً في تحضير الأدوية الجاهزة أو الأطعمة . وقد دعم هذا القانون قانون آخر يخول حكومة الاتحاد سلطة الإشراف على الشركات المشتغلة ببيع اللحوم بين الولايات .

في هذا الوقت كان الكونجرس قد انشأ مصلحة جديدة للتجارة والعمل يمثلها عضو في الوزارة . وكان لأحد مكاتبها سلطة تحري شؤون الشركات التجارية الكبرى ، فاكتشفت في سنة ١٩٠٧ ان شركة تكرير السكر قد احتالت على الحكومة بمبلغ كبير من الضرائب الجمركية لم تدفعها ، وادت الاجراءات القانونية التي ترتبت على ذلك إلى استرداد اكثر من ٤ ملايين دولار وسجن كثيرين من موظفي الشركة . وفي نفس العام اتهمت شركة استاندرد اويل في انديانا لأنها تلقت حسومات سرية على مصاريف الشحن على خطوط شيكاغو والتون الحديدية . وقد انعكست روح العصر في الغرامات التي فرضت عليها والتي بلغت قيمتها ٢٩٫٢٤٠٫٠٠٠ دولار عن ١٤٦٢ مخالفة .

روزفلت يعمل على انقاذ موارد الدولة

كانت صيانة موارد الأمة الطبيعية ووقف استغلال مصادر المواد الخام واستصلاح مساحات كبيرة من الأراضي البور المهملة في بعض المناطق ، من أهم الأعمال التي تمت في

عهد روزفلت . وقد طالب روزفلت في رسالته الأولى التي ألقاها في الكونجرس سنة ١٩٠١ بوضع برنامج كامل بعيد المدى للري وصيانة الأرض . وإصلاحها . وأضاف إلى الغابات التي تركها الرؤساء السابقون . والتي بلغت مساحتها ٤٧ مليون فدان . منطقة تبلغ مساحتها ١٤٨ مليون فدان ، وبدأ جهوداً منظمة لاتقاء حرائق الغابات وإعادة زراعة الأشجار في المناطق الجرداء . وفي سنة ١٩٠٧ عيّن لجنة للطرق المائية الداخلية لبحث موضوع الأنهار . والتربة . والغابات . وتوليد القوى المائية والنقل المائي من جميع الوجوه . وقد كانت توصيات هذه اللجنة سبباً في عقد مؤتمر قومي لبحث مشكلة الصيانة . ووجه المؤتمر انتباه الامة الى الحاجة الماسة لصيانة . وفي البيان الذي أصدرته اللجنة بالمبادئ الخاصة التي تسترشد بها اكدت اهمية صيانة الغابات . والمياه والمعادن ، اهتمامها بمشاكل تآكل التربة . والري أيضاً . وقد تضمنت توصياتها تنظيم عملية قطع الأخشاب من الأراضي التي يمتلكها الأفراد . وتحسين الأنهار الصالحة للملاحة . وصيانة مستجمعات المياه . وقد ترتب على ذلك أن ألفت عدة ولايات لجاناً للصيانة . وفي سنة ١٩٠٩ تألفت الرابطة القومية للصيانة بقصد توسيع ثقافة الشعب في هذا الموضوع . وفي سنة ١٩٠٢ صدر قانون الاستصلاح الذي أعطى للحكومة الحق في إقامة عدد من السدود والخزانات الكبيرة .

ولما اقتربت حملة انتخابات سنة ١٩٠٨ كان روزفلت قد وصل إلى ذروة الشهرة الشعبية . ولكنه تردد في تحدي التقليد الذي نص على أن لا يتقلد شخص واحد منصب الرئاسة أكثر من مرتين . فآثر أن يؤيد وليم هوارد تافت الذي فاز بالرئاسة ورغب في الاستمرار على نهج روزفلت فقام بخطوات أخرى ، واستمر في مناهضة شركات الإحتكار . ودعم لجنة التجارة الداخلية بين الولايات ، وأسس صندوق ادخار البريد ، ونظام إرسال الطرود بالبريد . وزاد عدد الموظفين المدنيين وأيد تشريعاً لتعديلين أدخلا على دستور الإتحاد . وخول التعديل السادس عشر سلطة فرض ضريبة دخل للاتحاد .

وحل التعديل السابع عشر الذي اعتمد في سنة ١٩١٣ ، محل ما يتطلبه الدستور لانتخاب أعضاء مجلس الشيوخ عن طريق الهيئات التشريعية في الولاية ، فأقر انتخابهم مباشرة عن طريق الشعب .

ولكن تافت قبل سن تعريفة الحماية التي أثارت سخط الرأي العام الحر كما أثارته معارضته إنضمام ولاية أريزونا الى الاتحاد بسبب دستورها الحر ، ثم لاعتماده الشديد على جناح حزبه المحافظ المتطرف .

وبحلول سنة ١٩١٠ انقسم حزب تافت على نفسه ، وبأغلبية ساحقة عاد الديموقراطيون الى سيطرتهم على الكونجرس . وبعد ذلك بسنتين رشح وودرو ويلسون حاكم ولاية نيوجرسي . نفسه في انتخابات الرئاسة ضد تافت الجمهوري . وضد روزفلت الذي نظّم . بعد ان رفض المؤتمر الجمهوري ترشيحه . حزباً ثالثاً باسم « التقدميين » وخاض الانتخابات على أساسه .

على ان ويلسون هزم كلا المنافسين في حملة خاطفة . فأخذ الكونجرس الجديد ، تحت زعامته ، يضع منهجاً « تشريعياً » كان ـ من حيث مداه وأهميته ـ من أعظم البرامج البارزة في التاريخ الأمريكي . وكان الغرض الأول إعادة النظر في نظام التعريفة. وقال ويلسون : « يجب تغيير ضرائب التعريفة ، ويجب أن نلغي كل شيء يحمل حتى طابع الامتياز » . وقد أقرت « تعريفة أندروود » التي وقعت في ٣ أكتوبر سنة ١٩١٣ ، تخفيضاً جوهرياً في الرسوم الجمركية على المواد الأولية الهامة ، والمواد الغذائية ، والقطن ، والصوف ، والحديد والصلب . كما أزالت الضرائب المفروضة على أكثر من مائة مادة أخرى . ورغم أن القانون قد احتفظ بعدة إجراءات للحماية ، إلا أنه كان محاولة صادقة لخفض تكاليف المعيشة .

وكانت الخطوة الثانية في برنامج الديموقراطيين اعادة تنظيم نظام البنوك والعملة الذي عانت البلاد كثيراً من عدم مرونته والذي اعتمد طويلاً على تشريعات خاصة سمح بموجبها للبنوك الوطنية باصدار عملة طوارئ . وقد قال ويلسون : « يجب ان تكون الرقابة عامة لا خاصة ، ويجب ان توضع في يد الحكومة نفسها حتى تصبح البنوك وسيلة للأعمال وللمشروعات الفردية والمبادرة ، وليس للسيطرة عليها » . وقد قام قانون الإحتياط للإتحاد الذي صدر في ٢٣ ديسمبر سنة ١٩١٣ بإجابة هذه المطالب . وفرض هذا القانون على البنوك القائمة نظاماً جديداً من المراقبة . وقسمت البلاد الى إثني عشر قسماً لكل منها بنك احتياطي تابع للاتحاد ، ويشرف عليها جميعها مجلس اتحادي للاحتياط . وكانت هذه البنوك بمثابة مستودعات للمال الاحتياط للبنوك التي اشتركت في هذا النظام . ولتحقيق مرونة أكثر في زيادة تداول النقود . نص القانون في احدى مواده على اصدار أوراق مالية احتياطية اتحادية لمواجهة مطالب الأعمال التجارية .

وكانت المهمة الثانية هي تنظيم الشركات الإحتكارية والتحقيق في مخالفات الشركات وقد أدت التجارب الى اتخاذ نظام للمراقبة مماثل لنظام اشراف لجنة التجارة الداخلية بين الولايات ، على السكك الحديدية . وقد خولت لجنة اتحادية للتجارة سلطة اصدار الأوامر التي تقضي « بتحريم الوسائل غير المشروعة في المنافسة » التي تلجأ إليها الشركات فيما يختص بالتجارة بين الولايات الداخلية . وثمة قانون ثان هو قانون كلايتون المناهض لشركات الإحتكار الذي حرم كثيراً من أعمال الشركات التي لم تنص عليها القوانين السابقة بشكل خاص وهي إدارة عدة شركات ، والتفرقة في الأسعار بين المشترين وملكية الشركة الواحدة لأسهم شركات أخرى مماثلة .

كذلك لم يغفل شأن العمال والفلاحين ، فسهل قانون التسليف الزراعي الاتحادي للمزارعين الحصول على القروض بفوائد مخفضة . وحرم أحد نصوص قانون كلايتون بصفة خاصة استصدار أوامر من المحاكم للتدخل في منازعات العمال . كذلك نص قانون البحارة الذي صدر في سنة ١٩١٥ على تحسين أحوال المعيشة والعمل للبحارة الذين يعملون على السفن التي تسير في المحيطات وفي البحيرات والأنهار . كما نص قانون

تعويض العمال الإتحادي الذي صدر في سنة ١٩١٦ . على منح مكافآت مالية للمستخدمين الذين يصابون بعاهات في أثناء العمل . وفي السنة نفسها سن قانون آدمسن الذي قضى بأن يشتغل عمال السكك الحديدية ثماني ساعات في اليوم .

وعلى الرغم من ان هذا السجل للاصلاح مبعثه زعامة الرئيس ويلسون مباشرة . فان مكانة ويلسون في التاريخ لم يكن سببها تكرسه الشديد للاصلاح الاجتماعي . بقدر ما كان ذلك القَدَرُ العجيب الذي دفع به ليكون الرئيس في الحرب . والمهندس الذي عهد اليه بتنظيم فترة السلام القلقة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى .

الصراع في الخارج والتطور الاجتماعي في الداخل

« يتحتم على الولايات المتحدة ان تصبح ترسانة عظمى للديموقراطية » .

فرانكلين روزفلت
من رسالته إلى الكونجرس . ٦ يناير ١٩٤١

كان اشتعال الحرب في أوروبا في عام ١٩١٤ بمثابة صدمة عنيفة للشعب الأمريكي . وكان يلوح منذ البداية أن الصراع كان بعيداً عن مشاغل الحياة الأمريكية . بيد أنه سرعان ما لمست البلاد آثاره في كلا المجالين الاقتصادي والسياسي . وبحلول عام ١٩١٥ كانت الصناعة الأمريكية التي كانت قد سجلت من قبل هبوطاً طفيفاً ، تزدهر مرة أخرى نتيجة للطلبات الواردة من الحلفاء الغربيين على شراء المهمات الحربية . وتأثر الشعب الأمريكي بالدعاية التي روجها كلا الجانبين . كما أن الأعمال التي قام بها البريطانيون والألمان ضد التجارة والسفن في عرض البحار جعلت حكومة الرئيس ويلسون ترسل الاحتجاج الشديد تلو الآخر . وبمرور الزمن أصبح الخلاف بين القادة الأمريكيين والقادة الألمان حقيقة ملموسة شيئاً فشيئاً .

ففي فبراير سنة ١٩١٥ أعلن القادة الحربيون الألمان أنهم سيغرقون كل سفينة تجارية في المياه القريبة من الجزر البريطانية . ولكن الرئيس ويلسون أنذر في الحال بأن الولايات المتحدة الأمريكية لن تتخلى عن حقها التقليدي في التجارة في عرض البحار . وأعلن أن الشعب الأمريكي سيحاسب ألمانيا « حساباً عسيراً » إذا أدّى هذا الإجراء إلى خسارة في السفن أو الأرواح الأمريكية . وفي ربيع عام ١٩١٥ ثار الرأي الأمريكي غضباً حينما أغرقت السفينة البريطانية . « لوزيتانيا » وغرق معها حوالي ١٢٠٠ شخص من بينهم ١٢٨ أمريكياً .

ولم يستطع الرئيس ويلسون أن يتبع سياسة ثابتة بسبب شدة الانفعال الذي كان يعاني منه أثناء الحرب . فعلى الرغم من انه لم تنعم الولايات الأمريكية برئيس أمريكي أكثر إخلاصاً منه لقضية السلام ، كان على يقين أيضاً وهو يراقب قوة الالمان وخاصة في حرب

الغواصات ، بأنه إذا ما تحقق الظفر للألمان في هذه الحرب فإن ذلك يعني سيطرة النزوة الحربية في أوروبا وتهديد الأمن الأمريكي بالخطر .

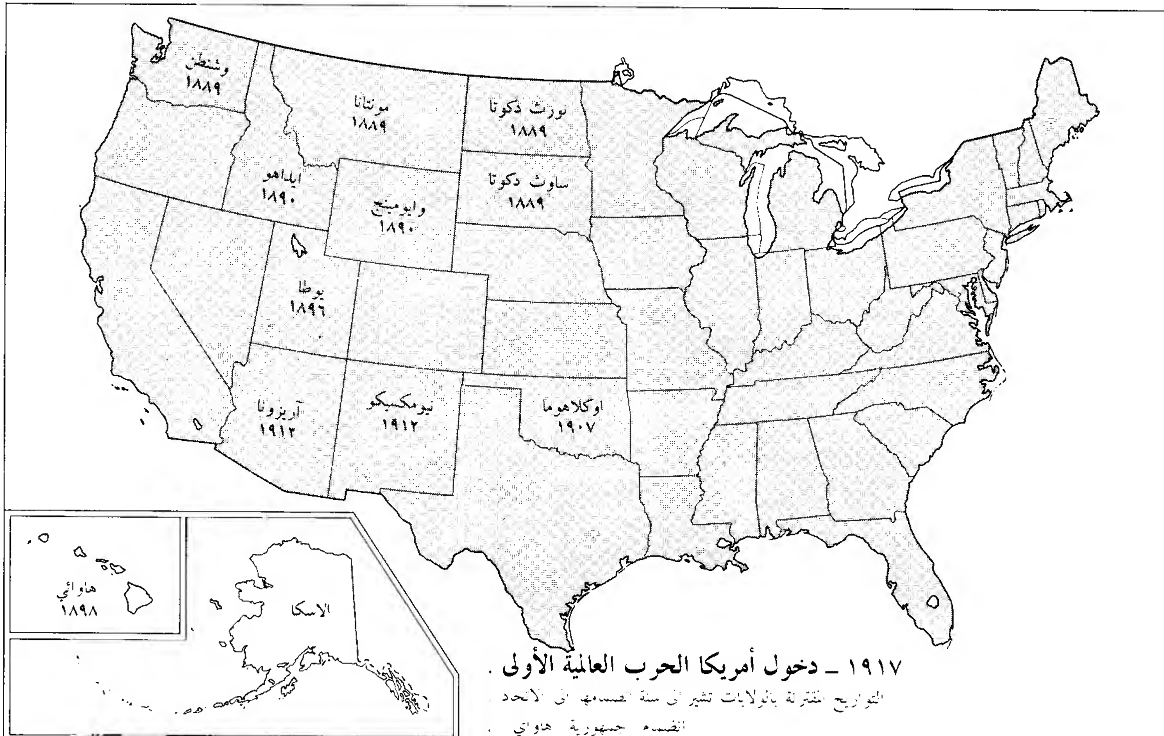
وفي ٤ مايو سنة ١٩١٦ . تعهدت الحكومة الألمانية بأن تحصر حرب الغواصات وفقاً للمطالب الأمريكية . وبدا أن المشكلة أصبحت محلولة . واستطاع ويلسون أن يفوز في انتخابات الرئاسة في ذلك العام وكان السبب في فوزه الى حد كبير ذلك الشعار الذي تغنى به حزبه ألا وهو : « لقد جعلنا نتفادى الدخول في الحرب » . وفي يناير سنة ١٩١٧ نادى في خطاب القاه أمام مجلس الشيوخ بوجوب تحقيق « سلم غير مقرون بنصر » ، سلم لا يمكن لغيره أن يكتب له البقاء .

أمريكا تخوض الحرب العالمية الاولى

وبعد مرور تسعة أيام أرسلت الحكومة الالمانية اشعاراً بانها ستستأنف حرب غواصات غير محدودة . وفي الثاني من ابريل سنة ١٩١٧ . وبعد اغراق خمس سفن أمريكية . توجه ويلسون الى الكونجرس يطالب باعلان الحرب على المانيا . وفي الحال تأهبت الحكومة الأمريكية للعمل على تعبئة مواردها الحربية . والصناعية . والعمالية . والزراعية . وفي اكتوبر سنة ١٩١٨ كان عدد الجيش الأمريكي في فرنسا يربو على ١.٧٥٠,٠٠٠ جندي .

وقامت البحرية الأمريكية بعمل جليل وحاسم في مساعدة البريطانيين في اختراق حصار الغواصات الالمانية . وفي صيف عام ١٩١٨ . أثناء هجوم الماني مرتقب منذ فترة طويلة . قامت قوات أمريكية جديدة بدور حاسم في المعارك التي دارت رحاها على البر . وفي شهر نوفمبر من ذلك العام ساهم جيش أمريكي يزيد على المليون جندي وضابط بدور فعّال في الهجوم الذي شنه الحلفاء في منطقة ميز ـ ارجون والذي نجم عنه انهيار خط هندنبرج المنيع .

وكان تحديد ويلسون البليغ لأهداف الحرب للحلفاء . وتأكيده أن الحرب ليست موجهة ضد الشعب الألماني . وإنما ضد حكومته الاستبدادية ، من أعظم ما ساهم به من أعمال مجيدة من أجل وضع نهاية مبكرة لهذه الحرب . وفي الرسالة التي وجهها لمجلس الشيوخ في يناير ١٩١٨ . والمتضمنة مبادئه الأربعة عشرة المشهورة كأساس لسلام عادل . دعا الى نبذ المعاهدات السرية الدولية . وضمان حرية البحار . وإزالة الحواجز الاقتصادية بين الأمم . وخفض التسلح الوطني . وتنظيم المطالب الاستعمارية وفقاً لمصالح سكان المستعمرات . كما وضع مبادئ اخرى لتأكيد حقوق الحكم الذاتي . والنمو الاقتصادي الحر للقوميات الأوروبية . وجعل ويلسون من مبدئه الرابع عشر حجر الزاوية في السلام ـ ألا وهو تكوين رابطة من الأمم لتوفير « الضمانات المتبادلة لتحقيق الاستقلال السياسي والسلامة الإقليمية لجميع الدول كبيرها وصغيرها على السواء » .



١٩١٧ ـ دخول أمريكا الحرب العالمية الأولى .

التواريخ المقترنة بالولايات تشير الى سنة انضمامها الى الاتحاد .
انضمام جمهورية هاواي .

المصدر : المساحة الجيولوجية الأمريكية .

وفي صيف سنة ١٩١٨ – حينما تقهقرت الجيوش الألمانية – استغاثت الحكومة الألمانية بالرئيس ويلسون للتفاوض على أساس المبادئ الأربعة عشر. وبعد أن تحقق ويلسون بنفسه أن هذا الطلب قد صدر من جانب ممثلي الشعب وليس من جانب العصابة العسكرية، تبادل الرأي مع الحلفاء فقبلوا الاقتراح الألماني. وعلى هذا الأساس عقدت الهدنة في ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨.

سياسة العزلة تعقب الصلح

لقد كان الرئيس ويلسون يطمح في أن تكون معاهدة الصلح النهائية بين الحلفاء والألمان ذات طبيعة تتسم بسلام يقوم على التفاوض. ولكنه خشي أن تجعل الآلام التي خلقتها الحرب حلفاءه يقومون بتقديم مطالب قاسية. وفي هذا كان الرئيس ويلسون صائباً. وإذ كان مقتنعاً بأن أعظم أمل لديه من أجل سلام عالمي، وهو عصبة الأمم، لا يمكن تحقيقه أبداً ما لم يرضخ لمطالب الحلفاء فإنه ساوم بالمبادئ الواحد تلو الآخر في مفاوضات الصلح في باريس. ومن بين النقاط السلبية التي قام ويلسون بانجازها إنكاره لمطالبة ايطاليا بإقليم فيوم، ومعارضته لمطلب كليمنصو في فصل إقليم الراين عن ألمانيا، وممانعته لفرنسا في ضم حوض السار، وإحباطه لمشروع بتكليف ألمانيا بتحمل جميع نفقات الحرب.

وفي النهاية، لم يتبق من مقترحاته الايجابية سوى القدر اليسير لتحقيق سلام شريف دائم باستثناء عصبة الأمم ذاتها. وهكذا كان على الرئيس ويلسون أن يتحمل التهكم النهائي المتمثل في رؤية بلاده ترفض الاشتراك في عضوية عصبة الأمم. وكان هذا نتيجة خطأ سياسي ارتكبه في إحجامه عن اصطحاب عضو بارز من الحزب الجمهوري المعارض إلى باريس في مهمته من أجل السلام. وعندما عاد الى الولايات المتحدة ليناشد الأمريكيين التمسك بعصبة الأمم رفض حتى مجرد قبول الحلول المعتدلة التي كانت ضرورية للفوز بالتصديق من جانب مجلس للشيوخ تسوده أكثرية تابعة للحزب الجمهوري. ولما فشل في كسب المؤيدين لقضيته في وشنطن أخذ يستميل الشعب إليها في رحلة قام بها في طول البلاد وعرضها.

وفي ٢٥ سبتمبر سنة ١٩١٩ انهارت قواه الجسمانية بسبب قساوة الأعباء المتعلقة بحبه للسلام ومنصب الرئاسة أثناء الحرب، فأصيب بشلل وهو بمدينة بويبلو، بولاية كولورادو، ولم يبرأ منه أبداً. وفي شهر مارس سنة ١٩٢٠، رفض مجلس الشيوخ في التصويت النهائي معاهدة فارساي وميثاق عصبة الأمم. وهكذا حكمت الولايات المتحدة على نفسها بسياسة العزلة سنين عديدة، كما اختفت بوفاة الرئيس ويلسون من مسرح السياسة الأمريكية فترة من فترات الخلق المثالي وحلت محلها حقبة من اللامبالاة.

وفي المعركة الانتخابية للرئاسة في سنة ١٩٢٠ رشح حزب ويلسون لهذا المنصب

الحاكم جيمس كوكس ـ من ولاية أوهايو ـ الذي لم يكن على صلة بارزة بأعضاء حكومة الرئيس ويلسون . وكان الفوز الساحق الذي حظي به المرشح الجمهوري وارين ج . هاردنج بمثابة دليل قاطع على النفور العام من سياسة ويلسون . وبالرغم من أن الرئيس هاردنج كان قد رفض التورط جلياً بقضية عصبة الأمم أثناء الحملة الانتخابية إلا أن سياسته وسياسة من خلفوه من الرؤساء الجمهوريين ـ كانت بصفة عامة تتوخى المسير على الخط الانعزالي .

وكانت هذه المعركة الانتخابية أول معركة اشتركت فيها النساء في طول البلاد وعرضها بالإدلاء بأصواتهن لانتخاب مرشح لرئاسة الجمهورية . ففي أثناء الحرب كان الرئيس ويلسون قد بدأ يناصر فكرة إجراء تعديل في قانون الاتحاد يخول النساء حق التصويت ـ لأن المساهمات العظيمة التي قمن بها في ميدان المجهود الحربي أبرزت بصورة حيوية مقدرتهن المدنية وحقهن في الاقتراع . وفي شهر يونيو سنة ١٩١٩ قدم الكونجرس التعديل التاسع عشر إلى الولايات لإقراره . وبالفعل أقرته الولايات في وقت مناسب أتاح للمرأة فرصة الاشتراك في الانتخابات في العام التالي .

الاتجاه نحو فلسفة المحافظين

وشجعت فترة الرخاء الشامل الذي ساد ـ على الأقل ـ المناطق الحضرية من البلاد ـ على أن يكون ميل سياسة الحكومة الأمريكية أثناء العشرينات من هذا القرن متجهاً نحو فلسفة المحافظين الى حد كبير . وكان ذلك الميل قائماً على الاعتقاد بأنه إذا ما عملت الحكومة كل ما في وسعها لتشجيع المشروعات الخاصة فإن الرفاهية ستتسرب إلى جميع صفوف السكان .

كذلك كانت سياسات الجمهوريين ترمي الى خلق اكثر الظروف ملائمة في مجال الصناعة الأمريكية . فقوانين التعريفة التي صدرت بين عامي ١٩٢٢ و١٩٣٠ كان من شأنها أن زادت من حدّة الحواجز المفروضة على التعريفة الجمركية وبذلك ضمنت للمنتجين الأمريكيين في ميدان بعد الآخر احتكاراً للسوق المحلية . وكانت التعريفة الجمركية الثانية ـ المتمثلة في قانون سموت ـ هاولي لعام ١٩٣٠ ـ تشتمل على رسوم مرتفعة جداً بحيث قام أكثر من ألف من رجال الاقتصاد الأمريكيين بإرسال مذكرة إلى الرئيس هوفر يطالبون فيها برفضها ـ كما اثبتت الأحداث التالية صحة تكهنهم بأن ذلك القانون سينتج عنه اتخاذ إجراءات انتقامية باهظة من جانب الدول الأخرى . وفي نفس الوقت قامت الحكومة الفيدرالية بتنفيذ برنامج يرمي إلى تخفيض الضرائب عن كاهل السكان عاكسة بذلك رأي وزير المالية أندروميلون بأن فرض ضرائب مرتفعة على الدخول ستحول دون استثمار الأغنياء لأموالهم في المشروعات الصناعية الجديدة ـ وقد استجاب الكونجرس في عدد من القوانين وافق عليها في الفترة بين عام ١٩٢١ وعام

١٩٢٩ . استجابة حسنة على المقترحات التي قدمها والتي مؤداها أن الضرائب التي تجبى أثناء الحرب . وضريبة الأرباح الزائدة . وضريبة الشركات يجب أن تلغى إلغاءً تاماً أو تخفض تخفيضاً كبيراً .

أما المشروعات أو الأعمال الخاصة فقد أخذت الدولة في تشجيعها تشجيعاً حيوياً أثناء العشرينات من هذا القرن بما في ذلك توفير القروض الإنشائية . والعقود المربحة الخاصة بنقل البريد . وغيرها من المساعدات المالية غير المباشرة الاخرى . وكانت قوانين المواصلات التي صدرت في عام ١٩٢٠ . قد اعادت الى الادارة الخاصة شبكة السكك الحديدية التي كانت تسيطر عليها الحكومة سيطرة تامة خلال سنوات الحرب . كما قامت الدولة ببيع الاسطول التجاري الذي كانت تملك معظمه وتقوم بتسييره من عام ١٩١٧ الى عام ١٩٢٠ . غير ان الفرعين التنفيذي والتشريعي في الحكومة . كانا على خلاف في ميدان القوة الكهربائية . فقد كانت الحكومة قد انشأت اثناء الحرب مصنعين كبيرين لانتاج النترات عند شلالات « موصل شولز » . واقامت ٥٩ كيلومتراً من المنحدرات في نهر تينيسي . وكذلك سلسلة من السدود على طول النهر لتوليد الكهرباء . ووضع قانون لتوليد الكهرباء وبيعها من قبل الشعب . اقره مجلسا الشيوخ والنواب في عام ١٩٢٨ . غير ان الرئيس هوفر رفضه مستخدماً حق الاعتراض . وفي عهد الرئيس روزفلت أقيم مشروع وادي تينيسي النموذجي مكان مشروع « موصل شولز » .

وفي هذه الفترة واجهت سياسات حكومة حزب الجمهوريين نقداً متزايداً في ميدان الزراعة . ذلك أن المزارعين كانوا يمثلون الفئة التي استفادت بأقل قدر من الرفاهية التي سادت العشرينيات من القرن . وكانت الفترة ما بين عام ١٩٠٠ وعام ١٩٢٠ فترة رخاء شامل بالنسبة للمزارعين حققوا خلالها أثماناً مرتفعة في منتجاتهم الزراعية ، ووفرت الطلبات التي لم يسبق لها مثيل أثناء الحرب على المنتجات الزراعية الأمريكية المحفزات على الإنتاج . فقام المزارعون باستغلال أراض مجدبة أهملت . ولم تفلح من قبل . ولما وصلت قيمة المزارع الأمريكية إلى ضعفي ما كانت عليه . وفي بعض المناطق الى ثلاثة أضعاف . راح المزارعون يشترون بضائع وآلات لم يكن في ميسورهم شراءها من قبل قط . وفي نهاية عام ١٩٢٠ . وبتوقف طلبات الحرب فجأة . هبطت المنتجات الزراعية التجارية الضرورية للمعيشة من حيث قيمتها إلى حالة سيئة . وهكذا فعندما جاءت فترة الكساد الشاملة في العقد الرابع من القرن العشرين لم تزد الحالة الراهنة إلا سوءاً .

أمريكا في العشرينات

كانت هناك عوامل عديدة ادت إلى وقوع فترة الكساد في مجال الزراعة الأمريكية . ولكن أهم هذه العوامل كان فقدان الأسواق الأجنبية . فالمزارعون الأمريكيون لم

يستطيعوا بيع منتجاتهم بسهولة في مناطق لم تكن الولايات المتحدة تستطيع بدورهـا شراء منتجاتها . وذلك بسبب التعريفة الجمركية التي فرضتها على السلع المستوردة ، وهكذا أغلقت تدريجياً السوق العالمية أمام البضائع الأمريكية .

وأضفى تحديد الهجرة خلال العشرينات تغييراً كبيراً على السياسة الأمريكية . ففي أثناء السنوات الخمس عشرة الأولى من القرن العشرين قدم الى الولايات المتحدة اكثر من ١٣ مليون مهاجر . غير أنه لفترة من الزمن . كان الشعور العام ضد الهجرة غير المحدودة الى الولايات المتحدة آخذاً في التزايد . ولم تعد الولايات المتحدة تعتقـد كالسابق بأن لديها إمبراطورية داخلية عظمى للاستعمار وبالتالي لم تعد راغبة في قبول اعداد كبيرة من المهاجرين . ونتيجة لذلك صدر عدد من القوانين لتنظيم الهجرة أهمهـا قانون الهجرة لعام ١٩٢٤ وقانون عام ١٩٢٩ . وقد حدد هذان القانونان المهاجرين إلى الولايات المتحدة سنوياً بـ ١٥٠,٠٠٠ مهاجر من قوميات مختلفة وبنسب تتفق وعـدد المهاجرين من بني جلدتهم الموجودين في الولايات المتحدة في سنة ١٩٢٠ . وهكذا أصبحت الهجرة انتقائية ، وتقتضي قبول فئة مختارة من المهاجرين . اذ ان معظم عدد المهاجرين الآن يتدفق من جنوب اوروبا وشرقها بدلاً من شمالها وغربها . وبتحديـد اعداد المهاجرين بشكل صارم امكن وضع حد لحركة من أعظم حركات الهجرة في تاريخ العالم ، حركة يرجع عهدها الى ثلاثة قرون خلت .

وفي الوقت الذي انخفض فيه تدفق الهجرة الى الولايات المتحدة انخفاضاً كبيراً لم يهاجر من الأمريكيين الى أوروبا سوى عدد قليل ولكنهم كانوا ذا أثر هام . وهؤلاء المهاجرون كانوا من الكتّاب والمفكرين الذين لم يرتضوا بالولايات المتحدة كموئـل للأدب والفكر ، فتوجهوا بصفة خاصة الى باريس . وقد كانت الثقافة الأمريكية في نظر النقاد ، داخل الولايات المتحدة وخارجها ، ثقافة مادية وبيوريتانية . وكان يرمز إلى بيوريتانية تلك الحقبة تحريم صنع الخمور وبيعها . وبعد حوالي قرن من الاثـارة والاهتياج فرض هذا التحريم في النهاية في التعديل الثامن عشر للدستور ، عام ١٩١٩ . وكان الهدف الذي يرمي اليه التحريم هو القضاء على حانات الخمر والسكر في أمريكا . ولكن التعديل بدلاً من ان يحقق ذلك خلق الآلاف من محلات بيع الخمور السريـة وفتح آفاقاً مربحة في مجال العمل الاجرامي لمروجي الخمور .

وبالإضافة الى ذلك فإن بقاء قانون يخالف لدرجة كبيرة كهذه كان يعد نفاقاً من الناحية الخلقية ، فكان التحريم في نظر الكثيرين من الأمريكيين مشابهاً للفساد السياسي الذي انتشر في عهد هاردنج .

وهكذا أصبح النقد السمة السائدة في الأدب الأمريكي ، واشتهر في تلك الحقبة بالتنديد بالحياة الأمريكية والخلق الأمريكي صحفي وناقد هو هـ . ل . مينكن ، كما برز بين الكتّاب الآخرين الروائي الجاد سنكلير لويس الذي لقيت مؤلفاته رواجاً عظيماً بين الجمهور لا سيما قصتاه « مين ستريت » و « بابيت » اللتان انتقد فيهما حياة الطبقـة

الوسطى الأمريكية وأصبحتا تراثاً في مجال التوعية القومية . وإنه لمن سخرية القدر أن يصدر مثل هذا التنديد بأمريكا من قبل الأمريكيين أنفسهم في فترة من أعظم فترات الرخاء العام .

وكان يبدو في العشرينيات من القرن أن الرخاء سيظل مزدهراً الى ما لا نهاية . وحتى بعد انهيار سوق الأوراق المالية في خريف عام ١٩٢٩ . كانت التكهنات التفاؤلية لا تزال تصدر عن الأوساط العليا مؤيدة استمرار هذا الاتجاه . بيد أن الكساد أخذ يستفحل أمره وفقد الملايين من المستثمرين مدخراتهم . وأغلقت بيوت العمل والمصانع أبوابها . وأفلست البنوك . وأخذ الملايين من العاطلين يجوبون الشوارع في يأس طلباً للعمل . ولم يحدث في تاريخ أمريكا كله ما يضاهي هذه الفترة من الكساد في ضراوتها سوى فترة الكساد التي حلت بالبلاد في العقد الثامن من القرن التاسع عشر والتي كانت قد أصبحت في طي النسيان .

روزفلت يكافح الأزمة الاقتصادية

ولما بدأ الشعب الأمريكي ينظم صفوفه عقب الصدمة . وأخذ الناس يُنعمون النظر في أسباب المتاعب التي يعانون منها شرعوا يدركون وجود تيارات غير سليمة لم يفطنوا اليها من قبل . تحت سطح فترة الرخاء التي عمت البلاد في العشرينيات من هذا القرن . وكان جوهر المشكلة يتمثل في التنافر العظيم بين قوة البلاد الإنتاجية ومقدرة الشعب الأمريكي على الاستهلاك . لقد أدخلت اختراعات ضخمة على الأساليب الفنية الإنتاجية أثناء الحرب وبعدها فنتج عن ذلك ارتفاع كبير في منتجات الصناعة الأمريكية لا تستطيع استيعابه القوة الشرائية للعمال والمزارعين الأمريكيين . كذلك لقد كان من شأن الزيادة الكبيرة في مدخرات الأغنياء والطبقة الوسطى من الشعب زيادة لا يستطيع الاستثمار السليم استيعابها أن استخدمت هذه الأموال الفائضة في المضاربات الشديدة في سوق الأوراق المالية أو العقارات . وهكذا لم يكن انهيار السوق المالية سوى انفجار من عدة انفجارات أطاحت تماماً بهذا النظام السخيف من المضاربة .

وجاءت انتخابات الرئاسة في سنة ١٩٣٢ فتحولت إلى حلبة من الجدل والنقاش بشأن الأسباب التي أدّت إلى حدوث الأزمة الاقتصادية الكبرى والوسائل الممكنة لعلاجها . وكان الرئيس هيربرت هوفر ـ الذي كان من سوء طالعه أن دخل البيت الابيض قبل ثمانية شهور من انهيار سوق الأوراق المالية ـ قد جاهد دون كلل لإعادة عجلة الصناعة الى الدوران . لكنه لم يستطع أن يفعل في سبيل ذلك سوى ما خوله المبدأ التقليدي للدور المناسب للحكومة الفيدرالية التي لم تمكنه من اتخاذ إجراء فعّال . وقد جادل منافسه الديموقراطي فرانكلين د . روزفلت . الذي لمعت شهرته كحاكم لولاية نيويورك خلال الأزمة المتفاقمة . بأن الكساد الاقتصادي إنما حدث نتيجة لأخطاء كامنة في الاقتصاد



محاربو الحرب العالمية الأولى يحتفلون بهدنة ١٩١٨ بإقامة عرض كبير رائع في مانهاتن .

مع أمل أن يكونوا قد شهدوا نهاية الحروب ، تحول الأمريكيون الى ريادة آفاق جديدة في العلم والأدب والامتدادات الأرضية البعيدة . ولكن الغيب كان يخبئ للأمة الكساد المالي ، وعواصف الغبار المدمرة ، وكذلك حرباً عالمية اخرى .



بدأ البريد الجوي بداية ضعيفة . إن صعوبات الطيران في سنة ١٩١٨ (الطيار فوق اعتمد على خريطة مثبتة على ساقه) تسببت في عدة وفيات . تحت : ريتشارد بيرد (قدمه على السلم) الذي تجرأ رغم تعدد كوارث الطيران ، على القيام بأول طيران ناجح فوق منطقة القطب الشمالي في مايو من سنة ١٩٢٦ .



كان ذلك في سنة ١٩٢٧ . وكان طيّار البريد الجوي الشاب المسمى تشارلز ليندبرج على وشك أن يشتهر في العالم بإقدامه على القيام بأول طيران عبر الاطلنطي بدون توقف .





جون دوس باسوس

ويلاّ كاثر



سنكلير لويس





يوجين اون

وليام فوكنر



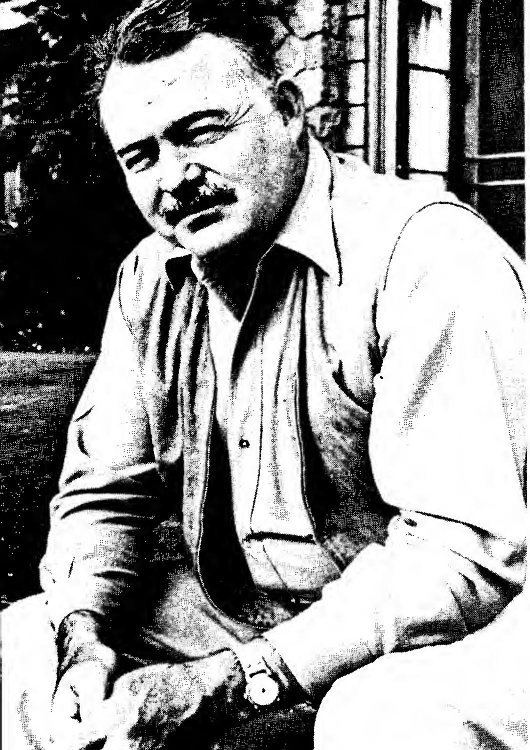


ه. ل. منكن

تشاطر كتاب هذا القرن الاهتمام العميق بالانسان . وكل منهم يتساءل بطريقته الخاصة عن طبيعة الانسان . وبعضهم يقدم الحلول والبعض الآخر لا يقدم شيئاً . لقد عني « همنجواي » بالشرف . وتفحص أفعال الناس تحت وطأة الضغط . أما « شتاينبك » و« دوس باسوس » فقد انصب سخطهما على استغلال العمال . وهاجم « مينكن » النزعة الاقليمية المحلية . وانتقد لويس بكل شدة الرياء الاجتماعي . وتعرضت « ويلا كاثر » للروح الريادية ، بينما أصبح « فيتزجرالد » يمثل العشرينات . وتعمق « فوكنر» و« اونيل » في النفس البشرية .

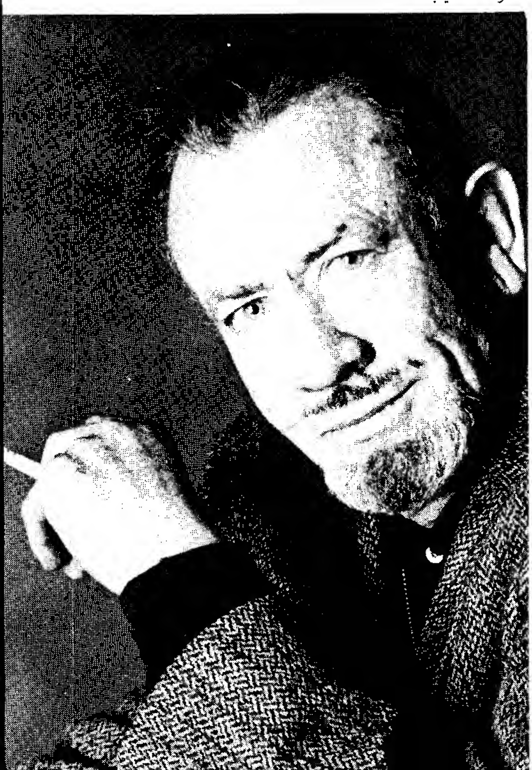
ف. سكوت فيتزجرالد





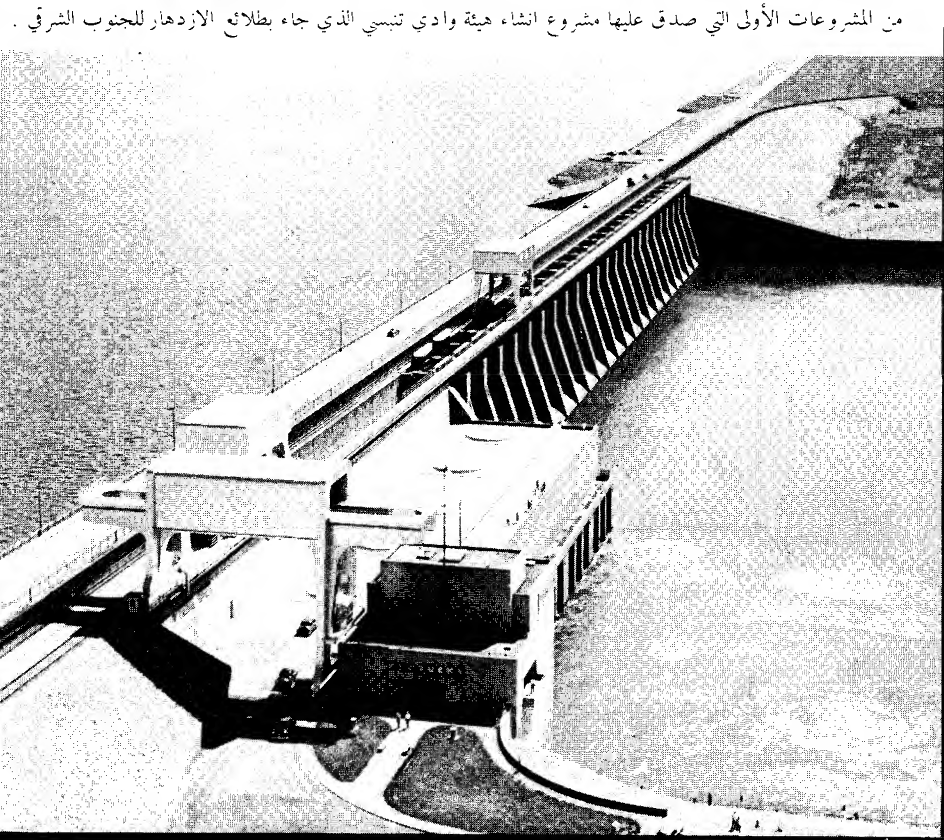
ارنست همنجواي

جون شتاينبك





في حملته الانتخابية سنة ١٩٣٢ . اجتذب فرانكلين د. روزفلت الكثيرين الذين تطلعوا إليه للخلاص من الكساد. وكان من المشروعات الأولى التي صدق عليها مشروع انشاء هيئة وادي تنيسي الذي جاء بطلائع الازدهار للجنوب الشرقي .



الكثيرون من المزارعين الذين ناضلوا للتغلب على وطأة الكساد المالي ، فقدوا كل شيئ من جراء عواصف الغبار التي دفنت الجنوب الغربي في ١٩٣٦ ، وقضت على المحاصيل ودفعت الناس إلى النزوح عن أراضيهم.





في عشية يوم الغزو ، زار الجنرال ايزنهاور القوات التي كانت على وشك أن تغزو « نورماندي » .

الأمريكي تفاقمت بسبب السياسات التي اتبعها الرؤساء الجمهوريون في العشرينيات. ولكن الرئيس هوفر أجاب بأن الاقتصاد الأمريكي كان سليماً بصورة جوهرية وأنه إنما أصابه خلل بسبب انعكاسات لأزمة اقتصادية عالمية ترجع عواملها الى الحرب العالمية الأولى. وكان يكمن وراء هذا النقاش مغزى واضح هو أن هوفر يحبذ لدرجة كبيرة الاعتماد في علاج الأزمة الاقتصادية على طرق الإنعاش الطبيعية بينما كان روزفلت على استعداد لاستخدام سلطة الحكومة الفيدرالية في توفير علاجات اختبارية جريئة لها. وهكذا أسفرت الانتخابات عن نصر ساحق لروزفلت الذي فاز بعدد من الأصوات بلغ ٢٢.٨٠٠.٠٠٠ صوت مقابل ١٥.٧٠٠.٠٠٠ صوت لمنافسه الرئيس هوفر.

برنامج « العهد الجديد »

وأضفى الرئيس الجديد على مشاكل الساعة جواً من الثقة المرحة ما لبثت أن حشدت صفوف الشعب تحت لوائه. فلم يمض على توليه منصب الرئاسة سوى وقت قصير حتى كان عدد كبير من الإصلاحات العظيمة المتمثلة في مشروع « العهد الجديد » في سبيلها إلى التنفيذ. ويمكن القول إن « العهد الجديد » كان ـ من حيث أحد مغازيه ـ قد أدخل الى الولايات المتحدة عدداً متنوعاً من التشريعات الإصلاحية التي كانت مألوفة للشعب الإنجليزي. والألماني. والاسكنديناوي لأكثر من جيل مضى. زد على ذلك فإنه يمكن أن يقال بأن « العهد الجديد » إنما كان يمثل الذروة في اتجاه بعيد المدى نحو التخلي عن سياسة « حرية العمل » التي يرجع عهدها الى تشريع قانون السكك الحديدية في ثمانينات القرن الماضي. وقانون الفيضان والإصلاح القومي في عهد تيودور روزفلت ـ ويلسون. وكان أهم شيء يثير الدهشة في حركة « العهد الجديد » هو السرعة العظيمة التي فيها أنجزت من الإصلاحات ما لم ينجز في بلاد أخرى طوال أجيال. وكان هناك عدد من إصلاحات « العهد الجديد » تم وضعه بسرعة كبيرة ونفذ بسوء ادارة. فجاء بعضها مناقضاً للآخر. وفي أثناء فترة « العهد الجديد » بأكملها وبالرغم من السرعة العظيمة التي فيها صدرت القرارات وتم تنفيذها. لم تنقطع أو تتوقف الطريقة الديموقراطية التي كان بواسطتها يوجه أفراد الشعب نقدهم أو يقومون بالمناقشة فيما بينهم. حقاً لقد أوجد « العهد الجديد » انتعاشاً حيوياً من حيث الاهتمام بالحكومة من جانب المواطن الفرد.

وحينما أقسم الرئيس روزفلت يمين الولاء كان جهاز المصارف والاعتمادات في حالة شلل. وسرعان ما فتحت البنوك للعمل على أساس سليم ونُفذت سياسة تضخم مالي معتدل للمساعدة على رفع أسعار السلع وتقديم بعض العون للمدنيين. كذلك قامت الحكومة بتوفير تسهيلات سخية في القروض في ميدان الزراعة والصناعة عن طريق وكالات حكومية جديدة. وضمان المدخرات في البنوك حتى مبلغ ٥.٠٠٠ دولار

للشخص الواحد . وفرض القوانين الشديدة على الطريقة التي تباع بها الأسهم والسندات في سوق الأوراق المالية .

وفي ميدان الزراعة أنجزت إصلاحات ذات أهمية كبرى . وعلى أثر الغاء المحكمة العليا لقانون التنظيم الزراعي بعد ثلاث سنين من اقراره . أصدر الكونجرس قانوناً للإغاثة الزراعية أكثر فاعلية ينص على أن تمنح الحكومة إعانات مالية للمزارعين الذين يخصصون جزءاً من أراضيهم لزراعة محصولات تعمل على صيانة التربة أو المساعدة في تنفيذ الأهداف الزراعية البعيدة المدى . وبحلول عام ١٩٤٠ كان ما يقرب من ستة ملايين مزارع يتلقون المساعدات المالية من الحكومة الاتحادية بموجب هذا البرنامج . وتكفل القانون الجديد بمنح القروض مقابل المحصولات الفائضة والتأمين على القمح . وكفل كذلك نظاماً للتخزين لضمان وجود وفر دائم من الحبوب . وكان من أثر هذه الاجراءات أن ارتفعت أسعار المنتجات الزراعية ولاح في الأفق إمكان تحقيق استقرار اقتصادي للمزارعين .

وثمة هدف آخر لـ « العهد الجديد » هو توفير الاستقلال لمستأجري المزارع . وقد انشأت الحكومة الفديرالية ادارة الضمان الزراعي لتقديم العون المالي من أجل شراء المزارع لحساب المستأجرين بشروط سخية ، واعادت تمويل القروض الزراعية . وبذلك امدت أصحاب الرهونات الزراعية بالعون . وفي نفس الوقت كان وزير الخارجية كوردل هل . يحاول اعادة فتح بعض الأسواق الخارجية بموجب اتفاقيات متبادلة تهدف الى القضاء على الاستبداد الاقتصادي الذي اوجدته التعريفات الجمركية المرتفعة . وقام الوزير هل . مستنداً في ذلك الى قانون الاتفاقيات التجارية الصادر في يونيو سنة ١٩٣٤ . بمفاوضات غير مشروطة لتبادل المعاهدات مع كندا . وكوبا . وفرنسا . وروسيا ونحو ٢٠ دولة اخرى . وفي خلال سنة واحدة تحسنت التجارة الأمريكية تحسناً ملحوظاً . وما أن جاءت سنة ١٩٣٩ حتى بلغ إيراد المزارع ضعف ما كان عليه قبل سبعة أعوام .

وفي السنوات الأولى لتسلم حكومة الرئيس روزفلت زمام السلطة في البلاد مر برنامج « العهد الجديد » للصناعة في مرحلة اختبارية . في سنة ١٩٣٣ أنشئت إدارة للإنعاش القومي بصفة رئيسية على أساس الفكرة بأن الأزمة الاقتصادية يمكن حلها عن طريق تحديد الإنتاج ووضع أسعار مرتفعة للمنتجات . ولكن حتى قبل اعلان المحكمة العليا ، في مايو سنة ١٩٣٥ . عدم دستورية هذه الادارة . كانت تعتبر غير ناجحة إلى حد كبير . وفي هذا الوقت كانت قد بدأت حركة نحو تحقيق الإنعاش بتحفيز من سياسات بعض الإدارات الأخرى . وسرعان ما تراجعت إدارة الإنعاش القومي عن خطتها وشرعت تعمل على أساس الافتراض أن الأسعار المحددة في بعض مجالات المشروعات والأعمال إنما تمثل عبئاً ثقيلاً على الاقتصاد القومي وحاجزاً يعترض سبيل الإنعاش .

وباستمرار النجاح نحو تحقيق الانتعاش . أنفقت الحكومة الفيدرالية آلاف الملايين

من الدولارات في مشروعات إغاثة العاطلين . والأشغال العامة . والمحافظة على المصادر القومية . وعن طريق هذه النفقات توافرت طلبات جديدة في الداخل على منتجات الصناعة الأمريكية .

وفي أثناء فترة « العهد الجديد » حققت العمالة المنظمة مكاسب أوفر مما حققته في أيّ وقت مضى في تاريخ أمريكا . فقد ضمن القسم ٧ (ا) من قانون إدارة الإنعاش القومي للعمال حق المساومة الجماعية . وفي شهر يوليو سنة ١٩٣٥ ــ ولكي يتحقق استبدال النصوص الخاصة بالعمال في قانون إدارة الإنعاش القومي المنحلة ــ وافق الكونجرس على قانون العلاقات العمالية القومي الذي نص على إنشاء مجلس للعمال للاشراف على طريقة سير المساومة الجماعية ، وادارة الانتخابات وضمان للعمال ، الحق في اختيار المنظمة التي تمثلهم في المعاملة مع أصحاب العمل .

غير أن اتحاد العمال الأمريكيين بما لديه من مهارات اتحادية كان بطيئاً في تنظيم العمال غير المنظمين . وبعض النقابات الجماهرية غير الراضية عن الحالة . انفصلت عن الاتحاد وأنشأت « مؤتمر المنظمات الصناعية » وقامت هذه المنظمة بتنفيذ حملة تنظيمية ناجحة جداً لا سيما في الصناعات الرئيسية مثل صناعة السيارات وصناعة الصلب مما حفز اتحاد العمال الأمريكيين على استعادة نشاطه وحيويته لكي يستطيع منافسة « مؤتمر المنظمات الصناعية » فارتفع عدد العمال المنظمين من ٤ مليون في سنة ١٩٢٩ الى ١١ مليون في سنة ١٩٣٩ و١٦ مليون في سنة ١٩٤٨ . وبازدياد الاهتمام العام بالسياسة بين العمال المنظمين ازداد كذلك نفوذ العمال ليس في الصناعة فحسب بل في الشؤون السياسية أيضاً . وكان العمال يمارسون نفوذهم هذا في إطار الحزبين الكبيرين القائمين . ورغم ان الحزب الديمقراطي كان يحظى عادة بمساندة أكبر مما يحظى به الحزب الجمهوري بصفة عامة ، لم يظهر أي حزب عمالي إلى حيز الوجود .

قوانين التأمين الاجتماعي

وادى تفاقم مشكلة الشيخوخة ، والبطالة ، والعيالة ــ وهو موضوع طال النقاش فيه ــ الى سن قانون التأمين الاجتماعي لعام ١٩٣٥ ، الذي كفل المعاشات المناسبة لفئات عديدة من العمال لدى بلوغهم سن الخامسة والستين . وقد انشئ صندوق خاص لهذا الغرض بمساهمة من العمال وارباب العمل . وعهد الى الولايات بادارة برنامج توفير المساعدات المالية في حالة البطالة للعمال العاطلين في جميع الأعمار ، على ان يمول باعتمادات تجمع عن طريق فرض ضريبة فيديرالية اجبارية على المرتبات . وما ان جاءت سنة ١٩٣٨ حتى كان لكل ولاية شكل من اشكال التأمين ضد البطالة .

وقد أدى تكرار الجدب والقحط خلال الثلاثينيات من هذا القرن إلى وضع قانون « ضبط الفيضان » الذي نص على إنشاء سلسلة من الخزانات الكبيرة وسدود القوة

الكهربائية وكذلك آلاف كثيرة من السدود الصغيرة . ومن أجل مكافحة تآكل التربة . ولا سيما في سهول الغرب الأوسط . الناجم عن سوء استعمال الثروات الطبيعية الوفيرة . اسرع المسؤولون في تنفيذ برنامج ضخم لصيانة التربة شمل زراعة اعداد كبيرة من الأشجار . ومن بين الأعمال الأخرى الهامة التي تم انجازها تطهير الجداول من الأقذار . وإنشاء أماكن لتكاثر الأسماك والطيور وحيوانات الصيد . والمحافظة على مستودعات ورواسب الفحم . والبترول . وصخور الزيت الحجري . والغاز . والصوديوم . والهليوم . وغلق بعض المراعي . وزيادة الغابات القومية زيادة كبيرة .

ولعل الإجراء الوحيد الذي حظي بأهمية بالغة في المستقبل من بين جميع هذه الإجراءات كان يتمثل في إنشاء هيئة وادي تينيسي التي ما لبثت أن جعلت المشروع معملاً شاملاً للقيام بالاختبارات والتجارب الاجتماعية والاقتصادية . فبالإضافة إلى السدود الرئيسية الموجودة في ثلاث ولايات على طول نهر تينيسي . اقيمت سلسلة من السدود الفرعية لا لتحسين الملاحة وضبط الفيضانات وإنتاج النترات فحسب . بل وكذلك لتوليد القوى الكهربية . وقد انشأت الحكومة ما يقرب من ستة آلاف كيلومتر من خطوط الإرسال اللاسلكية كما باعت القوة الكهربائية الى الشركات والمجتمعات المجاورة بأسعار منخفضة لكي تتيح انتشار الاستهلاك . وعملت مساعدة مالية لهيئة مشروع وادي تينيسي على دفع النفقات اللازمة لمد المناطق الريفية بالكهرباء . كذلك عملت الهيئة على الحيلولة دون زراعة الأراضي الواقعة على الحدود . وعلى مساعدة المزارعين على العثور على أراض زراعية جديدة . وقامت بالاختبارات والتجارب الزراعية لا سيما فيما يتعلق باستخدام سماد الفوسفات . وحسنت وسائل الصحة العامة والمرافق الترفيهية .

برامج اخرى « للعهد الجديد »

وكانت جميع المشروعات في « العهد الجديد » تنفذ في ظل ضغط من النقد الشديد ليس من جانب الحزب الجمهوري فحسب بل وفي معظم الأحيان من داخل الحزب الديمقراطي ذاته . ومع ذلك فقد أسفرت انتخابات عام ١٩٣٦ عن فوز ساحق في صالح روزفلت على منافسه الجمهوري (وكان في هذه المرة الفرد لاندون من كنساس) فاق ما حصل عليه في عام ١٩٣٢ .

وفي الفترة ما بين عامي ١٩٣٢ و١٩٣٨ احتدمت المناقشات العامة فيما تعنيه سياسات « العهد الجديد » في مجال الحياة السياسية والاقتصادية القومية . فقد بدا واضحاً ان التصور الأمريكي للحكم قد تغير . وأن تمتع الحكومة بمزيد من المسؤولية لتحقيق رفاهية الشعب أصبح ينال القبول المتزايد . وشرع بعض نقاد « العهد الجديد » يجادلون بأن التوسع غير المحدود في الوظائف الحكومية لا بد من أن يؤول في النهاية إلى تقويض جميع الحريات التي يتمتع بها الشعب . وقد أصرَّ الرئيس روزفلت على أن الإجراءات

التي تكفل الرفاهية الاقتصادية ستعزز من شأن الحرية والديمقراطية .

وفي كلمة على الراديو ألقاها في عام ١٩٣٨ ذكَّر الرئيس روزفلت الشعب الأمريكي : « إن الديمقراطية قد اختفت في عدة بلدان عظيمة أخرى ليس لأن شعوب هذه البلاد كرهت الديمقراطية بل لأنها سئمت البطالة والخطر الذي تراه يهدد أولادهم بالجوع بينما هم جالسون لا حول لهم ولا قوة في وجه ارتباك الحكم وضعف الحكومة بسبب الافتقار إلى القيادة في الحكم . وفي النهاية لم يكن لهم من مناص وهم في يأسهم سوى أن يختاروا التضحية بالحرية في سبيل الحصول على لقمة العيش . ونحن هنا في أمريكا نعلم أن نظمنا الديمقراطية يمكن صيانتها وتحقيق أهدافها . ولكن لكي نتمكن من المحافظة عليها نحتاج إلى أن نثبت أن الإدارة العملية للحكم الديمقراطي هي موازية لمهمة حماية التأمين الاجتماعي للشعب . إن الشعب الأمريكي لمتفق في الرأي على الدفاع عن حرياته بأي ثمن وعلى أن الخط الأول لهذا الدفاع إنما يكمن وراء حماية التأمين الاقتصادي » .

وقبل ان ينتهي روزفلت من اعداد حملته الانتخابية للرئاسة لدورة ثانية ، حجب برنامجه الداخلي خطر جديد لم يلاحظه الأمريكي العادي ــ يتمثل في خطط الحكومات الدكتاتورية التوسعية في اليابان وإيطاليا والمانيا . وكانت اليابان قد وجهت ضربتها في أوائل العقد الرابع من القرن العشرين فقامت بغزو منشوريا في سنة ١٩٣١ وقضت على مقاومة الصينيين . ثم أنشأت بعد ذلك بعام دولة مانتشوكو الصورية . وكانت إيطاليا قد رضخت للنظام الفاشي فوسعت حدودها في ليبيا ثم قامت ، في الفترة بين عامي ١٩٣٥ و١٩٣٦ . بإخضاع إثيوبيا لحكمها . أما ألمانيا ، حيث قام أدولف هتلر بتنظيم حزبه الاشتراكي القومي والاستيلاء على مقاليد الحكم ، فقد احتلت منطقة الراين ثانية وشرعت تسلح نفسها على نطاق واسع .

الدكتاتوريات تشعل نيران الحرب العالمية الثانية

أخذ القلق يساور الأمريكيين حينما وضحت حقيقة طبيعة الدكتاتورية ثم بدأ هذا القلق يتطور إلى نقمة عارمة من جراء تمادي ألمانيا وإيطاليا واليابان في عدوانها . وفي سنة ١٩٣٨ . وبعد أن ضم هتلر النمسا إلى الرايخ . أخذ يطالب بإقليم السوديت في تشيكسلوفاكيا فبدا للأمريكيين أن الحرب وشيكة الوقوع في أوروبا في أية لحظة . فقام الأمريكيون الذين فجعوا بما مني به الجهاد من أجل الديمقراطية في الحرب العالمية الأولى من إخفاق ــ يعلنون أن أحداً من المتحاربين لا يمكن أن يظفر بأية مساعدة أمريكية مهما كانت الظروف . وقد أدت تشريعات الحياد التي سنت تدريجياً خلال السنوات من ١٩٣٥ الى ١٩٣٧ . الى تحريم التجارة بين أمريكا وأية دولة من الدول المتحاربة أو منحها القروض المالية . وكان الهدف من ذلك هو الحيلولة بأي ثمن بين الولايات المتحدة وبين دخولها في أية حرب خارج القارة الأمريكية .

وعارض الرئيس روزفلت ووزير الخارجية مستر هل هذه التشريعات منذ البداية . فرفض الرئيس ، الذي عمل كثيراً على تقوية البحرية الأمريكية ، الاعتراف بدولة منتشوكو الصورية ، وتمكن مع هل ، من احراز تقدم ملحوظ في ايجاد تضامن وثيق بين أمم نصف الكرة الغربي عن طريق سياسة حسن الجوار . ولما أعيد في سنة ١٩٣٥ إقرار معاهدات تبادل التجارة التي أبرمها هل قامت الولايات المتحدة بعقد معاهدات مع ست من دول أمريكا اللاتينية تتعهد فيها جميعاً بعدم الاعتراف بأية تغييرات إقليمية تغتصب بالقوة .

وقد ازدادت الروح الأمريكية صلابة وقوة بعدوان هتلر على بولندة ، والدانمارك والنرويج ، وهولندة ، وبلجيكا ، وفرنسا ، وبالرغم من ان شعور الأمريكيين كان في بادئ الأمر يتمثل في بقاء أمريكا بعيدة عن الصراع الأوروبي فقد أصبحوا مقتنعين في النهاية بان وجود مجموعة من القوى تهدد امن اوروبا لا بد وان يشكل خطراً على امن الولايات المتحدة ايضاً . وعزز هذا الاقتناع سقوط فرنسا الذي كشف عن قوة المانيا النازية العسكرية . ولما بدأ الهجوم الجوي على بريطانيا في صيف عام ١٩٤٠ لم يبق بين الأمريكيين من يفكر بعقلية محايدة سوى أقلية ضئيلة . وانضمت الولايات المتحدة الى كندا في مجلس مشترك للدفاع واستجمعت حولها جمهوريات أمريكا اللاتينية للمحافظة الجماعية على ممتلكات الامم الديموقراطية في نصف الكرة الغربي . وامام هذه الأزمة الخطيرة وافق الكونجرس على فتح اعتمادات ضخمة للتسلح . وفي سبتمبر ١٩٤٠ أقر أول قانون للتجنيد الالزامي في ايام السلم ، في تاريخ أمريكا .

وفي غمرة هذه الظروف حلت فترة الانتخابات للرئاسة في أمريكا لسنة ١٩٤٠ . فأظهرت وحدة شاملة في الشعور الأمريكي . فقد كانت تنقص منافس روزفلت ، ويندل ويلكي ، عوامل جوهرية بمساندته لسياسة الرئيس الخارجية وموافقته على جزء كبير من برنامج روزفلت الخاص بالشؤون الداخلية . وهكذا اسفرت انتخابات نوفمبر عن فوز روزفلت مرة أخرى باغلبية عظمى . فكان بذلك اول رئيس ينتخب لفترة ثالثة في تاريخ أمريكا .

وبينما كان معظم الأمريكيين يرقبون سير الحرب في أوروبا بلغ التوتر أشده في الشرق الأقصى . ولما كانت اليابان متحمسة لانتهاز الفرصة لتحسن من مركزها الاستراتيجي فقد أعلنت في جرأة إنشاء « نظام جديد » تمارس بمقتضاه السيادة على أرجاء الشرق الأقصى والمحيط الهادي بأجمعه . ولم تكن بريطانيا في وضع يمكنها من المقاومة فأخذت تتقهقر ساحبة قواتها من شانجهاي ومغلقة طريق بورما بصفة مؤقتة . وتمكنت اليابان في سنة ١٩٤٠ من أن تنتزع من حكومة فيشي الضعيفة تصريحاً بالسماح لها باستخدام المطارات في الهند الصينية الفرنسية . وفي شهر سبتمبر انضم اليابانيون الى محور روما ـ برلين فأسرعت الولايات المتحدة وفرضت الحظر على شحن الحديد الخردة إلى اليابان .

الولايات المتحدة تدخل الحرب

بدا الأمر في عام ١٩٤٠ وكأن اليابانيين قد ينطلقون إلى الجنوب نحو الزيت ، والصفيح ، والمطاط المتوافر في الملايو البريطانية وجزر الهند الهولندية . وفي شهر يوليه سنة ١٩٤١ حينما سمحت حكومة فيشي للقوات اليابانية باحتلال الجزء المتبقى من الهند الصينية ، قامت الولايات المتحدة بتجميد أموال اليابانيين المودعة لديها . وفي ١٩ نوفمبر كانت حكومة الجنرال توجو قد تسلمت زمام الحكم في اليابان فأرسلت الى الولايات المتحدة سفيراً خاصاً وهو سابوروكوروزو والذي أعلن أن الغرض من مهمته هو التفاوض للوصول إلى تفاهم سلمي . وفي ٦ ديسمبر وجه الرئيس روزفلت الى الإمبراطور الياباني نداءً شخصياً يناشده فيه تحقيق السلام . وفي صبيحة اليوم السابع من شهر ديسمبر جاء رد اليابان في شكل وابل من القنابل ألقتها طائراتها على الاسطول الأمريكي والمنشئات الدفاعية في بيرل هاربور .

وإذ أخذت الإذاعة تذيع على ملايين الأمريكيين تفاصيل الغارات اليابانية على هاواي ، وميداوي ، وويك ، وجوام ، تحول الشك عندهم الى غضب على ما أسماه الرئيس روزفلت « هجوماً خسيساً لا مبرر له » . وفي ٨ ديسمبر أعلن الكونجرس حالة الحرب مع اليابان . وبعد ثلاثة أيام أعلنت ألمانيا وايطاليا الحرب على الولايات المتحدة .

وعندما وجه الرئيس روزفلت ، في ٩ ديسمبر ١٩٤١ ، رسالته إلى الشعب الأمريكي قال مذكراً : « إن الهدف الحقيقي الذي نسعى نحن الأمريكيين إلى تحقيقه هو أسمى وأبعد مرمى من ميدان القتال البغيض . ونحن عندما نلجأ إلى القوة ، كما يتحتم علينا أن نفعل الآن ، فإننا مصممون على أن هذه القوة يجب أن توجه الى تحقيق الخير العميم والقضاء على الشر المباشر. إننا نحن الأمريكيين لسنا بهدامين وإنما بناءون » .

وسرعان ما وطدت الأمة نفسها على الحرب التي تطلبت تعبئة قواها البشرية ومقدرتها الصناعية بأكملها . وفي ٦ يناير سنة ١٩٤٢ أعلن الرئيس روزفلت أهداف الإنتاج مطالباً بإنتاج ٦٠ ألف طائرة في تلك السنة ، و٤٥ ألف دبابة ، و٢٠ ألف مدفع مضاد للطائرات ، وسفن تجارية تعادل حمولتها ١٨ مليون طن . وهكذا خضع كل نشاط الأمة ــ من زراعة ، وصناعة ، وتعدين ، وتجارة ، وأعمال ، واستثمار ، ومواصلات بل وتعليم وثقافة ــ لرقابة جديدة واسعة النطاق . وكانت الضرورة تقضي بتجهيز أموال طائلة وإنشاء صناعات جديدة عظيمة وأساليب فنية حديثة مدهشة كما كانت عليه الحال بالنسبة للإنتاج الجماعي في السفن والطائرات . وحدثت تنقلات عظيمة في السكان ، وبلغ مجموع القوات المسلحة في الولايات المتحدة بمقتضى عدد من القوانين التي صدرت بشأن التجنيد الإجباري ١٥.١٠٠.٠٠٠ رجل . وفي نهاية سنة ١٩٤٣ كان هناك ما يقرب من ٦٥ مليوناً من الرجال والنساء إما في القوات المسلحة وإما في أعمال حيوية أخرى .

وكان قد تقرر بعد اضطرار الولايات المتحدة الدخول في الحرب أن يركز المجهود

الحربي الحيوي للحلفاء الغربيين في أوروبا حيث توجد القوة الرئيسية للعدو، وأن يكون الاهتمام بميدان القتال في المحيط الهادي في درجة ثانوية . ومع ذلك فقد شهد المحيط الهادي في سنة ١٩٤٢ أولى الانتصارات الأمريكية الهامة التي حققها الاسطول الأمريكي بمساعدة إحدى حاملات الطائرات التابعة له .

وفي شهر مايو سنة ١٩٤٢ تكبد الأسطول الياباني خسائر فادحة في معركة بحر المرجان مما اضطره إلى أن يعدل عن توجيه ضربته إلى أستراليا . وفي شهر يونيو ألحقت الطائرات الأمريكية ضرراً بالغاً في اسطول ياباني صغير بالقرب من جزيرة ميداوي . وفي شهر أغسطس قام سلاح الجيش والبحرية الأمريكي بعمليات حربية موحدة نتج عنها نزول الجنود الأمريكيين في « جوادالكنال » . كما أحرز الأسطول الأمريكي نصراً آخر في معركة بحر بسمارك . وبعد ذلك ازداد الأمل في إحراز الأمريكيين لانتصارات أخرى حينما أصبح الأسطول الأمريكي أكثر عدداً وأعظم مقدرة نتيجة للزيادة الكبيرة في الإنتاج في أحواض بناء السفن الأمريكية .

الحلفاء يهزمون قوات المحور

كانت المهمات الحربية في هذا الوقت تتدفق إلى مسرح الحرب في أوروبا . وفي ربيع وصيف سنة ١٩٤٢ ، أحبطت القوات البريطانية الهجوم الذي كان هدفه الاستيلاء على مصر . ثم دحرت قوات رومال على أعقابها في طرابلس واضعة بذلك حداً لتهديد السويس .

وفي ٧ نوفمبر سنة ١٩٤٢ ، نزل جيش أمريكي على ساحل أفريقيا الشمالي الفرنسي وانزل بعد معارك مريرة هزائم نكراء بالجنود الايطاليين والألمان ، وأسر ٣٤٩,٠٠٠ جندي . وما إن جاء منتصف صيف سنة ١٩٤٣ حتى كان ساحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبي قد تم تطهيره من القوات الفاشية . وفي شهر سبتمبر ، وقعت الحكومة الايطالية الجديدة التي يرأسها المارشال بادوليو هدنة مع الحلفاء . وفي شهر أكتوبر أعلنت ايطاليا الحرب على المانيا . وبينما كانت المعارك ما تزال دائرة في ايطاليا ، قامت قوات الحلفاء بغارات جوية مدمرة على الطرق الحديدية والمصانع ، وتجمعات الأسلحة الألمانية . كما نسفت مستودعات الزيت الألمانية بمدينة بلوستي ، برومانيا ، في قلب القارة الأوروبية .

وفي أواخر سنة ١٩٤٣ قرر الحلفاء ، بعد جدال فيما بينهم على الخطط الحربية ، فتح ميدان قتال في غرب أوروبا لأكراه الألمان على تحويل عدد من قواتهم من جبهة القتال الروسية ، أعظم بكثير مما يمكن لهم أن يستخدموه في إيطاليا . وعيَّن الحلفاء الجنرال دوايت أيزنهاور قائداً عاماً للقوات الحليفة . وفي ٦ يونيو ، وبينما كان السوفييت يقومون بهجوم سوفيتي مضاد ، نزلت طلائع الجيش الأمريكي ـ البريطاني على شواطئ نورماندي تحت حماية قوة جوية متفوقة ، واستطاعت أن تسيطر على منطقة الساحل ،

ثم بدأت القوات الحليفة تتدفق لتعزيزها وتمكنت من إبادة عدة فرق من المدافعين الألمان في تحركاتها على شكل كماشة . ثم أخذت الجيوش الحليفة تتحرك مخترقة فرنسا إلى ألمانيا عبر خطوط دفاعية هائلة .

وفي ٢٥ أغسطس استردت الجيوش الحليفة باريس . وعندما وصلت إلى حدود ألمانيا لم تستطع التقدم في زحفها ، بسبب المقاومة العنيدة للقوات الألمانية ولكن في شهري فبراير ومارس سنة ١٩٤٥ كان جنود الحلفاء يتقدمون في زحفهم على المانيا من الغرب ، وكانت الجيوش الألمانية تتقهقر امام الجيش الروسي الى الشرق ، وما ان جاء اليوم الثامن من شهر مايو حتى قام ما تبقى من الرايخ الثالث بتسليم قواته البرية والبحرية والجوية للحلفاء .

في هذا الوقت كانت القوات الأمريكية تحرز تقدماً عظيماً في المحيط الهادي . فبينما كانت الجيوش الأمريكية والاسترالية تشق طريقها شمالاً مطهرة جزر السولومون ، وبريطانيا الجديدة ، وغينيا الجديدة ، وبوجينفيل من العدو أخذت القوات البحرية المتزايدة تعمل على القضاء على خطوط الإمدادات اليابانية .

الحرب تضع اوزارها

وفي أكتوبر ١٩٤٤ حقق الأسطول الأمريكي نصراً كبيراً في بحر الفلبيين . ولكن العمليات الحربية التي اتخذت بعد ذلك للاستيلاء على أيوجيما وأوكيناوا أثبتت أن المقاومة اليابانية قد تطول بالرغم من الموقف اليائس الذي كان عليه اليابانيون . بيد أن الحرب مع اليابان توقفت فجأة في شهر أغسطس بإلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما ونجازاكي ، وفي ٢ سبتمبر ١٩٤٥ استسلمت اليابان رسمياً .

وصاحب الأعمال الحربية للحلفاء عدد من الاجتماعات الدولية الهامة الخاصة ببحث النواحي السياسية للحرب . وكان أوّل هذه الاجتماعات قد عقد في شهر أغسطس ١٩٤١ بين الرئيس روزفلت ونستون تشرشل ، رئيس الوزارة البريطانية ، في وقت لم تكن الولايات المتحدة متورطة فيه عملياً في الحرب ، وكان الموقف العسكري بين بريطانيا وروسيا يبدو كئيباً . وفي هذا الاجتماع الذي تم على ظهر مدمرة في المحيط الأطلسي بالقرب من نيوفوندلاند ، أصدر روزفلت وتشرشل بياناً ـ ميثاق الأطلنطي ـ يوضحان فيه الأغراض التي كانت الدول الحليفة تستهدفها من وراء دخولها الحرب وهي : تحريم التوسع الإقليمي ، أو إحداث أي تغييرات إقليمية بدون موافقة الشعوب التي يعنيها الأمر ، وإقرار حق الناس كافة في اختيار نوع الحكم الذي يلائمهم ، وإعادة الحكم الذاتي للشعوب التي حرمت منه ، والتعاون الاقتصادي بين جميع الأمم ، وتحرر سائر الشعوب من الحرب ، والخوف ، والحاجة ، وحرية البحار ، ونبذ استعمال العنف كاداة للسياسة الدولية .

وفي يناير ١٩٤٣ عقد مؤتمر بريطاني ـ أمريكي في الدار البيضاء تقرر فيه ألا يعقد صلح مع دول المحور والدول البلقانية السائرة في فلكها إلا على أساس « التسليم غير المشروط » . وكان الغرض من هذا النص الذي أصرَّ عليه الرئيس روزفلت ، هو التأكيد لجميع شعوب الدول المقاتلة أنه لن تجري مفاوضات صلح مع ممثلي النظامين الفاشي والنازي ، ولن تقبل أية مساومات مهما كان نوعها من جانب مثل هؤلاء الممثلين لإنقاذ ما تبقى من نفوذهم . ولن توضع أية شروط نهائية للصلح مع شعوب ألمانيا ، وايطاليا ، واليابان قبل أن يعلن سادتها العسكريون المسيطرون عليها أمام العالم كله هزيمتهم التامة .

وفي اغسطس ١٩٤٣ عقد الانجليز والأمريكيون مؤتمراً في كيوبيك بحثوا فيه خطط العمل ضد اليابان وغيرها من نواحي الاستراتيجية الحربية والدبلوماسية . وبعد ذلك بشهرين عقد وزراء خارجية بريطانيا . وامريكا . وروسيا اجتماعاً في موسكو ، اكدوا فيه مجدداً سياسة التسليم دون قيد أو شرط . ونادوا بوجوب وضع حد للفاشية الايطالية واعادة استقلال النمسا ؛ كما اكدوا وجوب التعاون بين الدول الحليفة بعد الحرب . لتحقيق السلام .

وفي القاهرة ، اجتمع يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٤٣ روزفلت وتشرشل وشيان كاي شك للاتفاق على شروط الصلح مع اليابان تضمنت التخلي عن المكاسب التي حققتها اليابان في عدوان سابق .

وفي ٢٨ نوفمبر ، وفي اجتماع عقد في طهران ، اكد روزفلت وتشرشل وستالين الشروط التي وضعت في مؤتمر موسكو ونادوا من أجل العمل على تحقيق سلام دائم عن طريق الأمم المتحدة . وما كادت تمضي سنتان حتى عقدوا اجتماعاً في يالطا في شهر فبراير سنة ١٩٤٥ . وكان النصر للحلفاء يبدو مؤكداً فتوصلوا الى اتفاقات أخرى تتمثل في موافقة روسيا سراً على الدخول في الحرب ضد اليابان بعد فترة وجيزة من تسليم ألمانيا ، وجعل الحدود الشرقية لبولندة عند خط كوزون لسنة ١٩١٩ تقريباً . وتأجيل اتخاذ قرار بصدد دفع ألمانيا تعويضات عينية باهظة عن الحرب عقب مناقشات دارت بين ستالين الذي كان يطالب بها روزفلت وتشرشل اللذين كانا يعارضانها . ووضع ترتيبات معينة بشأن احتلال الحلفاء لألمانيا ومحاكمة ومعاقبة مجرمي الحرب . وتأكيد مبادئ ميثاق الأطلنطي بالنسبة لشعوب المناطق المتحررة .

كذلك تم الاتفاق في يالطا على أن يكون للدول الأعضاء في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة حق الفيتو فيما يتعلق بالمسائل المتصلة بأمنها ، وتم الاتفاق ايضاً بعد نقاش طويل وخلاف في الرأي بين روزفلت من جهة وستالين وتشرشل من جهة أخرى . على أن جميع الدول تؤيد الاتحاد السوفيتي في مطالبته الحصول على صوتين إضافيين في الجمعية العامة للأمم المتحدة على أساس عدد السكان الضخم لأوكرانيا وروسيا البيضاء .

وبعد مضي شهرين على عودة الرئيس فرانكلين روزفلت من يالطة ، وافته المنية

بسبب نزيف في المخ فيما كان يقضي اجازة قصيرة في جورجيا . ولعل شخصيات قليلة في التاريخ الأمريكي اثار موتها من الحزن العميق في النفوس ما اثاره موت روزفلت . ولفترة من الوقت عانى الشعب الأمريكي من شعور قوي انتابه بانها كانت خسارة لا تعوض . وفي هذه الاثناء تسلم نائب الرئيس هاري ترومان اعباء الرئاسة وبدأ فترة من الزعامة الفعالة اساسها مواصلة العمل لتحقيق الأهداف الحيوية لسياسة « العهد الجديد » في الميدانين الداخلي والخارجي .

وفي ٧ مايو سنة ١٩٤٥ استسلمت المانيا للحلفاء . وفي شهر يوليو اجتمعت بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في بوتسدام لوضع سياسة لاحتلال المانيا وبرنامج لمستقبلها . وقد تم الاتفاق في هذا الاجتماع على أن تترك لألمانيا طاقة صناعية كافية لتوفير اقتصاد وافر زمن السلم وألا يتوافر لديها فائض من المال الاحتياطي تستطيع به بناء جهاز حربي مرة اخرى ، وأن يقدم النازيون المعروفون من الألمان للمحاكمة ويعاقبوا بالإعدام إذا ما ثبتت عليهم تهمة الاشتراك في المجازر البشعة التي حتمتها الخطة النازية .

ووافق المؤتمر على ضرورة المساعدة في إعادة تثقيف الجيل الألماني الذي ترعرع تحت نظام النازية ووضع الخطوط العريضة التي تتحكم في عودة الحياة الديمقراطية في المانيا . وبحث المجتمعون كذلك موضوع المطالبة بتعويضات حربية من المانيا ، ووضعوا الشروط لنقل الاتحاد السوفيتي للمصانع الصناعية وبعض الممتلكات من المنطقة التي تحتلها القوات الروسية وكذلك بعض الممتلكات الإضافية من القطاعات الغربية ، ولكن مطلب الروس الذي كانوا قد أثاروه في يالطا والخاص بدفع المانيا تعويضات للحلفاء يبلغ مجموعها ١٠,٠٠٠ مليون دولار ظل موضوع أخذ ورد .

وفي شهر نوفمبر سنة ١٩٤٥ جرت محاكمة مجرمي الحرب النازيين في نورنبرج وفقاً لما جاء في شروط مؤتمر بوتسدام ، أمام هيئة من القضاة البارزين من بريطانيا ، وفرنسا ، والاتحاد السوفيتي ، والولايات المتحدة . وكانت التهمة التي وجهت الى الزعماء الألمان لا تتمثل في القيام بالمؤامرات وشن حرب عدوانية فحسب ، بل وفي خرق قوانين الحرب والإنسانية ، وقد دامت المحاكمة أكثر من عشرة شهور وأسفرت عن إدانة جميع المتهمين فيما عدا ثلاثة منهم .

أمريكا في العصر الحديث

« . . . علينا أن ندرك بأن ليس هناك مستودع أسلحة أو أسلحة في مستودعات العالم هي في قوة ارادة الرجال والنساء الاحرار وشجاعتهم الأدبية » .

رونالد ريغان
في خطابه التنصيبي في
٢٠ كانون الثاني/يناير ١٩٨١

في ٢٥ ابريل ، عندما كانت الحرب الدائرة في اوروبا تجتاز مراحلها الاخيرة ، اجتمع ممثلون عن خمسين دولة في سان فرانسيسكو لكي يضعوا اطار الامم المتحدة . وقد حدد الدستور الذي وضعوه ، معالم منظمة عالمية يمكن فيها ان تبحث الخلافات الدولية سلميا وتبني قضايا مشتركة ضد الجوع والمرض . وخلافا للموقف الذي اتخذه مجلس الشيوخ بعد الحرب العالمية الاولى عندما رفض انضمام الولايات المتحدة الى عصبة الامم . اقر على الفور ميثاق الامم المتحدة بتسعة وثمانين صوتا مقابل صوتين . وقد اثبت هذا الاجراء نهاية روح العزلة كعنصر مسيطر في السياسة الخارجية الامريكية ، واشعر العالم ان الولايات المتحدة عازمة على ان تلعب دورا رئيسيا في الشؤون الدولية .

وبعد استسلام اليابان في شهر اغسطس من عام ١٩٤٥ ، وجه الشعب الامريكي معظم اهتمامه نحو المسائل الداخلية ، وكان في مقدمتها اعادة دمج ملايين الجنود العائدين ، في الحياة المدنية . وفي غضون سنتين انخفض عدد الاشخاص الذين يرتدون بزات عسكرية من ١٢ مليونا الى مليون ونصف مليون . وسهل القانون الخاص باعادة تكييف الجنود المسرحين الصادر عام ١٩٤٤ ، المعروف عموما بقانون حقوق المجندين ، عملية الانتقال من الحياة العسكرية الى الحياة المدنية ، عن طريق توفير قروض حكومية لتمكين قدماء المحاربين من شراء منازل وادارة اعمال تجارية او مزارع والحصول على تدريب اثناء العمل . كذلك قضى القانون بدفع نفقات التعليم الجامعي لاكثر من مليوني جندي مسرح .

وقد انتقل الاقتصاد الأمريكي من الحرب الى السلم دون أن تكون هناك بطالة خطيرة . فالطلب المتزايد على السلع الاستهلاكية نتيجة ندرة تلك السلع أثناء الحرب ، وارتفاع الاجور والمدخرات المتراكمة ، مضافا اليها زيادة في عدد السكان ، اجتمعت كلها لتنشط التوسع الصناعي . وخلال المدة بين ١٩٤٥ و ١٩٤٨ ارتفع عدد العمال الموظفين من ٥٤ مليونا الى أكثر من ٦١ مليونا ، كما ان الاجور سجلت ارتفاعا ملموسا رغم تضخم الاسعار في فترة ما بعد الحرب .

بيد أن الازدهار جلب معه مشاكل جديدة . فشركات الابنية لم تتمكن من تشييد مساكن كافية لتلبية الطلب ، كما ان صناعة السيارات لم تستطع أن تلبي الطلبات الجديدة . وارتفعت الاسعار ارتفاعا مفاجئا مما أوجد مخاوف من حدوث تضخم سريع ، غير ان الاسعار استقرت بحلول عام ١٩٤٨ عندما اصبح توفر السلع موازيا تقريبا للطلب عليها .

وقد حمل ارتفاع الاسعار كثيرا من نقابات العمال على المطالبة بأجور أعلى . وفي عام ١٩٤٦ عندما لم تلب طلباتها ، اضرب اكثر من ٤،٥٠٠،٠٠٠ عامل عن العمل . وهذا المظهر من مظاهر القوة العمالية أصاب قطاعا كبيرا من افراد الشعب بالذعر . وهكذا في العام التالي أصدر الكونغرس ، الذي كان يسيطر عليه الجمهوريون ، قانون تافت ـ هارتلي . وقد عارض زعماء العمال بشدة هذا الاجراء الذي يقضي بأن يكون هناك اشعار مدته ٦٠ يوما قبل ان يسمح للنقابة العمالية أو صاحب العمل بانهاء العقد ، مما يتيح في المجال لادارة العمل لأن تقاضي مسؤولي النقابة بسبب خرقهم للعقد ، ويحد من بعض الامتيازات النقابية التي تشتمل عليها العقود السارية المفعول . ورغم ان العمال ظلوا يحصلون على اجور أعلى وتأمينات متزايدة عن طريق معاشات التقاعد والتأمين الصحي التي يمولها اصحاب العمل ، الا انهم نظروا الى تقييدات قانون تافت ـ هارتلي على انها محاولة متعمدة للحد من قدرتهم على المساومة مع الصناعة . وخلال الحملة الانتخابية عام ١٩٤٨ ، تعهد الرئيس ترومان والحزب الديمقراطي بالغاء القانون .

وقد عمد ترومان ، نتيجة انتصاره غير المتوقع ولكن الحاسم على منافسه الجمهوري توماس ديوي عام ١٩٤٨ ، الى الالحاح على الكونغرس لتبني اصلاحات « برنامج عادل » . ورغم ان الكونغرس رفض اجزاء من هذا البرنامج ، بما فيها محاولة الغاء قسم من قانون تافت ـ هارتلي ، الا ان جزءا كبيرا منه اصبح قانونا . ووسع الكونغرس نظام التأمين الاجتماعي ليشمل عشرة ملايين آخرين من الناس ورفع الحد الأدنى للاجور من ٤٠ سنتا الى ٧٥ سنتا في الساعة ، بالنسبة الى العمال الذين يعملون في صناعات تجتاز

منتجاتها حدود الولايات . وفي عام ١٩٤٩ وافق الكونغرس على برنامج فدرالي لازالة الاحياء القذرة المزدحمة بالسكان وبناء مساكن ذات اجور منخفضة . وفي الوقت نفسه فاز المزارعون بمزيد من الحماية ضد أخطار مثل الفيضانات والجفاف وهبوط الاسعار .

العصر الذري

وكانت هناك مشكلة ذات اهمية قومية فائقة هي تطوير الطاقة الذرية والتحكم بها . وفي يوليو عام ١٩٤٦ عهد الكونغرس بهذه المسؤولية الى لجنة الطاقة الذرية برئاسة خمسة مدنيين . وتحت اشراف تلك اللجنة طور العلماء الامريكيون ووضعوا في متناول دول اخرى كثيرا من تطبيقات المعرفة الذرية السلمية في مجالات الزراعة والصناعة والطب .

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية تصور معظم الامريكيين أن التعاون الذي كان قائما زمن الحرب بين الاتحاد السوفياتي والديمقراطيات الغربية سيستمر في بناء عالم يسوده الأمن والسلام . وقد لعبت الولايات المتحدة دورا فعالا في انشاء وتمويل عدد من وكالات الأمم المتحدة ، التي تكرس جهودها لاعادة البناء الاقتصادي والتخفيف من معاناة السكان في المناطق التي دمرتها الحرب في اوروبا وآسيا وأفريقيا . ولعل ابرز وكالتين من هذه الوكالات هما ادارة الاغاثة والتعمير الدولية وصندوق النقد الدولي . وقد ارسلت كميات كبيرة من المساعدات الأمريكية الى شعوب محتاجة في بلاد شيوعية وغير شيوعية على حد سواء . غير ان السيطرة الروسية في اوروبا الشرقية وأعمال الاثارة التي حركتها الاحزاب الشيوعية في أماكن أخرى ، مع تصميم الولايات المتحدة على أن تلعب دورا عالميا ، تسببت في حدوث توتر دولي متزايد .

وفي غضون ذلك ، وادراكا من الولايات المتحدة بأن انتشار الاسلحة الذرية يمكن ان يهدد البشرية بالفناء ، سعت الى وضع اتفاقية دولية تفرض رقابة على القنبلة الذرية . وكانت الولايات المتحدة قد انتجت هذا السلاح الرهيب اثناء الحرب العالمية الثانية ، بعدما ثبت للعلماء الامريكيين ان الالمان كانوا يحاولون صنع مثل هذه القنبلة . وقد استخدمت بتأثير مدمر للتعجيل في استسلام اليابان ، كبديل عن غزو واسع النطاق للجزر اليابانيه يمكن ان يتسبب في وقوع اكثر من مليون اصابة في كلا الطرفين .

وفي شهر يونيو عام ١٩٤٦ قدم مندوب الولايات المتحدة الى الامم المتحدة ، برنارد باروخ ، اقتراحا الى لجنة الطاقة الذرية الدولية يدعو الى تحريم استخدام الاسلحة الذرية وفرض رقابة دولية على جميع المواد الذرية . واذ كانت الولايات المتحدة الدولة الوحيدة المالكة للقنبلة الذرية في ذلك الوقت ، فقد ابدت استعدادها لتدمير كل ما لديها من قنابل

ذرية والكشف عن جميع الاسرار المعلنة بالطاقة النووية . ولقد تضمنت خطة باروخ ، كما اصبحت تدعى ، شرطا واحدا هو ان لا تكون الوكالة الدولية التي ستمارس سلطة التفتيش والتنفيذ ، خاضعة للفيتو من جانب اية دولة بمفردها .

وقد نقض الاتحاد السوفياتي الاقتراح الأمريكي ، الذي أيده من حيث المبدأ تسعة أعضاء من أصل أعضاء اللجنة العشرة الذين يتمتعون بحق التصويت . ومع أن الاقتراح المضاد الذي قدمه السوفيات كان أيضا يدعو جميع الدول الى نبذ الأسلحة الذرية ، الا انه لم ينص على ايجاد نظام للتفتيش للكشف عن أية مخالفات أو جهاز لمعاقبة الدول المخالفة . وأدت خلافات مماثلة حول قضايا التفتيش والفيتو الى تعذر حدوث أي تقدم في مؤتمرات لاحقة حول نزع السلاح في صورة شاملة . وفي غضون ذلك طورت الدولتان اسلحة أشد تدميرا .

وفي الولايات المتحدة ازداد القلق عندما استخدم الاتحاد السوفياتي قواته الموجودة في اوروبا الشرقية لمساعدة الاحزاب الشيوعية ، التي تشكل أقلية عددية ، على تدمير الجماعات غير الشيوعية أو التسلل الى صفوفها واقامة حكومات موالية للسوفيات . ولم تمض ثلاث سنوات على انتهاء الحرب حتى كانت الحكومات التي يسيطر عليها الشيوعيون قد تسلمت زمام الحكم في بولندة وتشيكوسلوفاكيا والمجر ويوغوسلافيا وبلغاريا والبانيا والقطاع الذي يحتله السوفيات في المانيا .

وفي ربيع عام ١٩٤٧ خشي كثير من الأمريكيين من حدوث مزيد من التوسع الشيوعي . وبلغت هذه الخشية أشدها بعد التأييد السوفياتي للعصابات الشيوعية في اليونان والتهديدات السوفياتية التي وجهت الى تركيا بسبب سيطرتها على مضائق الدردنيل . وسرعان ما ظهر الرئيس ترومان أمام الكونغرس ليعلن « أنه يتحتم ان تكون سياسة الولايات المتحدة مساندة للشعوب الحرة التي تقاوم محاولات اخضاعها من جانب أقليات مسلحة أو ضغوط خارجية » . وقد أيد الكونغرس هذه السياسة التي أصبحت تعرف بـ « مبدأ ترومان » . وخصص مبلغ مبدئي مقداره اربعمئة مليون دولار للمساعدة الاقتصادية والعسكرية لليونان وتركيا . وخلال سنتين استعادت اليونان النظام الداخلي واعادت تركيا تأكيد سلامة أراضيها .

التعمير بعد الحرب

وفي مناطق متعددة من العالم عارضت الولايات المتحدة الاستعمار وابدت تأييدها لحق تقرير المصير . فبعد سنة واحدة من انتهاء الحرب العالمية الثانية اعلن الرئيس ترومان

استقلال الفلبين التام . وفي السنة التالية منح الكونغرس سكان بورتوريكو سلطة انتخاب حاكمهم كخطوة أولى نحو أن يصبحوا دولة كومنولث متمتعة بحكم ذاتي عام **١٩٥٢** ومرتبطة بالولايات المتحدة على أساس مواطنية مشتركة .

وشجع الزعماء الامريكيون بريطانيا العظمى على اتخاذ قرارها بمنح الاستقلال للهند وباكستان وبورما وقاموا بدور وساطة للتعجيل في استقلال اندونيسيا عن الحكم الهولندي . وفي عام **١٩٤٩** قدم الرئيس ترومان برنامجه المعروف باسم « النقطة الرابعة » للتعجيل في المساعدة الامريكية الفنية والمالية المقدمة الى مناطق العالم الآخذة في النمو . وبموجب هذا البرنامج قدم اخصائيون امريكيون في الزراعة والتربية والتعليم والصحة العامة والاسكان وغيرها ، المساعدة والمشورة لدول في جميع انحاء آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

واذ اخذت دول جديدة عديدة تخرج الى حيز الوجود في تلك القارات ، كانت دول اوروبا التي دمرتها الحرب تواجه صعوبات اقتصادية حادة . وفي خطاب القاه وزير الخارجية جورج مارشال في جامعة هارفرد في شهر يونيو عام **١٩٤٧** ، اقترح برنامجا شاملا يرمي الى انعاش اقتصاديات اوروبا . وقدم هذا البرنامج الذي اصبح يعرف باسم « مشروع مارشال » الاموال والمعدات والآلات الامريكية الى اية دولة اوروبية رغبت في الاشتراك فيه . ورغم ان الاتحاد السوفياتي ودول اوروبا الشرقية الدائرة في فلكه كانت مشمولة في العرض ، الا انها رفضت الاشتراك .

وقد ساعد هذا البرنامج الضخم من المساعدة الامريكية ، الذي بدىء به في ابريل عام **١٩٤٨** وتضمن **١٢,٠٠٠** مليون دولار من السلع والخدمات ، على تحقيق انتعاش اقتصادي سريع في ست عشرة دولة ممتدة من ايسلندة الى تركيا . وفي اقل من ثلاث سنوات ارتفع الانتاج الصناعي في هذه البلاد بنسبة **٢٥** بالمئة ، وارتفع الانتاج الزراعي بنسبة **١٣** بالمئة فوق المستويات التي كانت قائمة قبل الحرب .

وفي الوقت الذي كان فيه مشروع مارشال قيد التنفيذ ، نشأت أزمة خطيرة في برلين . ففي فبراير من عام **١٩٤٨** ، دمجت بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة مناطق احتلالها في المانيا وفي برلين (تمتد الى مسافة **١٧٥** كيلومترا داخل النطاع السوفياتي من المانيا) . وعندما اعلن الحلفاء اصلاحا نقديا لدمج اقتصاديات مناطق احتلالهم الثلاث ، وايجاد صلة اوثق بين الاقتصاد الموحد واوروبا الغربية ، انتقم الاتحاد السوفياتي بان عرقل اولا ، ثم اوقف كليا ، حركة المرور على طرق السيارات وخطوط السكك الحديدية بين برلين والمانيا الغربية .

وكان الرد البريطاني/الامريكي على هذا العمل السوفياتي عملية النقل الجوي الى

برلين . فاعتبارا من صيف عام ١٩٤٨ ولمدة عام تقريبا ، قامت الطائرات البريطانية والامريكية بنقل اكثر من مليوني طن من الاغذية والوقود والادوية وغيرها من الضروريات ، الى شعب برلين الغربية . وفي مايو عام ١٩٤٩ فك السوفيات الحصار .

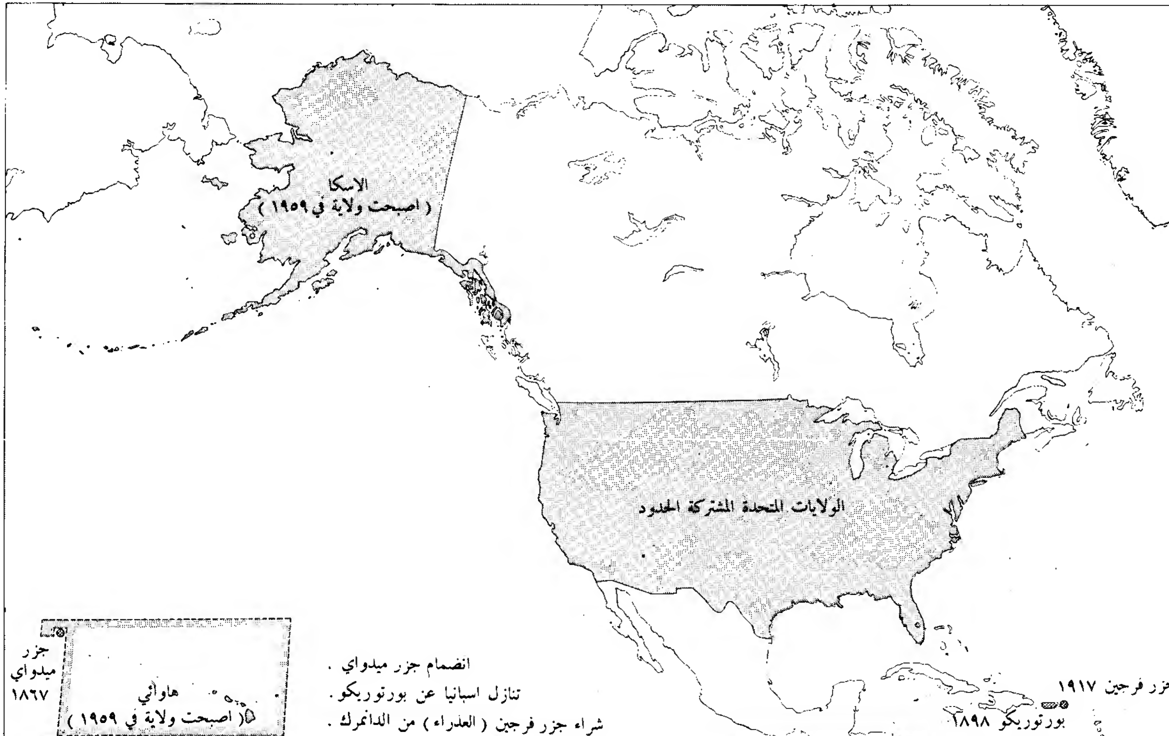
وقد اثارت ازمة برلين ، التي جاءت في اعقاب توسع النفوذ السوفياتي في اوروبا الشرقية والتهديدات التي وجهت الى تركيا واليونان ، فزعا متناميا في جميع انحاء اوروبا الغربية . ونتيجة لذلك قامت اثنتا عشرة دولة في ابريل عام ١٩٤٩ بانشاء منظمة معاهدة شمال الأطلسي ، لتنسيق وسائل الدفاع العسكري للدول الاعضاء ضد اعتداء سوفياتي محتمل . وقد وافقت بلجيكا وكندا والدانمارك وفرنسا وبريطانيا العظمى وايسلندة وايطاليا ولوكسمبورغ وهولندا والنرويج والبرتغال والولايات المتحدة ـ ثم اليونان وتركيا وجمهورية المانيا الفدرالية في وقت لاحق ـ على اعتبار ان اي هجوم مسلح يقع على اية واحدة منها ، يعتبر هجوما مسلحا عليها جميعا . وفي ديسمبر عام ١٩٥٠ ، عين الجنرال دوايت ايزنهاور قائدا اعلى لقوات حلف الاطلسي .

ولم يقتصر اشتراك الولايات المتحدة في عهد حكومة ترومان ، على اوروبا . ففي عام ١٩٤٨ انضمت الولايات المتحدة الى احدى وعشرين دولة من دول أمريكا اللاتينية ، مكونة منظمة الدول الامريكية التي تتوخى تأمين تسوية المنازعات بين الدول الأمريكية سلميا وتعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية في أمريكا اللاتينية وتوفير الوسائل من أجل دفاع مشترك .

وفي الشرق الاوسط عندما ادى خروج دولة اسرائيل المستقلة الى حيز الوجود في مايو عام ١٩٤٨ ، الى اشتباك تلك الدولة الجديدة في حرب مع جاراتها الدول العربية ، ايدت الولايات المتحدة الجهود الناجحة التي بذلها فريق الهدنة التابع للامم المتحدة لوقف القتال . وتقديرا للجهود التي بذلها رئيس هذا الفريق ، الدكتور رالف بانش ، وهو حفيد احد العبيد الامريكيين ، منح جائزة نوبل للسلام عام ١٩٥٠ .

الحرب الكورية

استحوذت الاحداث في آسيا على اهتمامات امريكا الدولية ، اثناء السنوات الاخيرة من وجود الرئيس ترومان في الحكم . فنتيجة لاتفاقية وقعت في الحرب العالمية الثانية ، تولت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي امر الوصاية على كوريا . وكان خط العرض ٣٨ يفصل القطاع السوفياتي في الشمال عن القطاع الامريكي في الجنوب . وفي عام ١٩٤٨ شكلت حكومة على النمط السوفياتي في الشمال ، بينما اعترفت الولايات المتحدة بجمهورية



المصدر : المساحة الجيولوجية الأمريكية .

كوريا ، التي تشكلت حكومتها نتيجة انتخابات اشرفت عليها الامم المتحدة . وبحلول منتصف عام ١٩٤٩ ، كانت الولايات المتحدة قد سحبت القسم الاكبر من قواتها . وفي ٢٥ يونيو من عام ١٩٥٠ ، اجتاز جيش كوريا الشمالية خط العرض ٣٨ ، وهاجم كوريا الجنوبية .

وأعلن اجتماع طارىء لمجلس الأمن ، الهجوم خرقا للسلام وطالب بانسحاب فوري ووصف كوريا الشمالية بأنها « معتدية » وحث الدول الأعضاء في الأمم المتحدة على تقديم كل مساعدة ممكنة الى كوريا الجنوبية . وسرعان ما ارسلت الولايات المتحدة ، التي شعرت بمسؤولية خاصة تجاه كوريا المحاصرة ، قوات جوية وبرية . وقد انشئت قيادة تابعة للامم المتحدة . ولأول مرة في التاريخ قامت قوة دولية منظمة بمحاربة العدوان ، رغم ان ٩٠ بالمئة من اولئك الجنود كانوا في الواقع اما أمريكيين أو كوريين جنوبيين . وقد أمكن القيام بهذه الاجراءات لأن ممثل الاتحاد السوفياتي في مجلس الأمن كان قد قاطع الاجتماعات لمدة من الزمن ولم يكن حاضرا كي يمارس حق الفيتو .

وكان مجرى الحرب الكورية مريرا دمويا ومخيبا للامال . فبعد نكسات منيت بها القوات الدولية بادىء الأمر ، عادت تحت قيادة الجنرال ماك آرثر الى القيام بالهجوم بصورة تدريجية ودحرت الغزاة . وبدت نهاية القتال وشيكة الى ان ارسلت جمهورية الصين الشعبية جنودا للقتال ضد القوات الدولية . وقد هدد هذا التدخل بامتداد الحرب الى ما وراء الحدود الكورية . غير ان قيادة الأمم المتحدة لم تشأ المجازفة باشعال نار حرب أوسع نطاقا وقررت الاكتفاء بما وصفت بأنها « حرب محدودة لأهداف محدودة » . وفي النهاية دفع بالكوريين الشماليين الى الوراء الى خط معادل تقريبا لخط العرض ٣٨ .

وبعد مفاوضات طويلة جرى ترتيب هدنة في صيف عام ١٩٥٣ تعترف بواقع ساحة القتال . وعند انتهاء الحرب كانت الولايات المتحدة قد ارسلت ربع مليون جندي الى منتصف الطريق حول العالم وتركت أكثر من ٣٠،٠٠٠ جندي قتيلا كدليل على تصميمها على مقاومة ما شعرت انه اعتداء بدون مسوغ .

المكارثية

هذا الخوف من الشيوعية في الخارج كانت له نتائجه الطبيعية في الداخل . فالرأي العام الأمريكي أصيب بالذعر في أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات عندما كشف النقاب عن أن عدة أشخاص يتعاطفون مع الشيوعية كانوا يشغلون مناصب حكومية . وقد أوجد هذا الأمر خوفا واسع الانتشار من أن تكون المؤسسات الأمريكية معرضة لخطر أعمال

هدامة في الداخل . وقاد عملية البحث عن الشيوعيين داخل الحكومة (واستغلها) ، سناتور من ويسكونسن عديم الضمير كان مغمورا في ذلك الحين هو جون ماكارثي ، وقد أفسدت اتهاماته الجامحة التي لم تكن عادة تستند الى دليل جوهري ، ان لم تهدم ، حياة كثير من الأمريكيين البارزين . وحاولت تحقيقات مماثلة أن تنفذ الى قطاعات أخرى من المجتمع الأمريكي بما فيها صناعة السينما . وأخيرا تجاوز ماكارثي الحد في فرض سلطته وهوى من عليائه . غير ان الحقيقة القائلة انه استطاع أن يتصرف دون رادع لمدة ثلاث سنوات تقريبا ، كانت مثالا مفزعا على مدى ما يمكن أن تكون عليه الحريات الديمقراطية من وهن حتى في بلد يفتخر افتخارا عظيما بوجود مثل هذه الحريات .

سنوات ايزنهاو في الحكم

في تشرين الثاني/نوفمبر . عام ١٩٥٢ انتخب الشعب الأمريكي رئيسا جمهوريا ، بعد أن ظل هذا المنصب وقفا على رئيس ديمقراطي لمدة عشرين عاما . وقد هزم المرشح الناجح وهو الجنرال دوايت أيزنهاور ، المرشح الديمقراطي أدلاي ستيفنسن بأغلبية كبيرة من الأصوات . وانتصر مرة أخرى بعد ذلك بأربع سنوات . ولكن رغم وجود جمهوري في البيت الابيض بقي الحزب الديمقراطي مسيطرا على الكونغرس لمدة ست سنوات من مجموع السنوات الثماني التي أمضاها أيزنهاور كرئيس .

وقد اتبعت حكومة أيزنهاور بشأن المسائل المحلية سياسة وصفت بـ « مبادىء الحكم الجمهوري الحديث » . وكان احد عناصر تلك السياسة محاولة الحد من تدخل الحكومة في شؤون الولايات وفي الأعمال الخاصة . الا أن الحكومة أبقت على جميع التشريعات الاجتماعية والاقتصادية التي جرى تطويرها في عصر « البرنامج الجديد » و« البرنامج العادل » . وفي الواقع وسعت البرامج الفدرالية في حقول مثل الضمان الاجتماعي والمساعدات الفدرالية للتعليم والمساكن الشعبية وازالة الاحياء القذرة المزدحمة بالسكان والصحة العامة .

وبعد وقت قصير من تولي الرئيس ايزنهاور مهام منصبه في يناير عام ١٩٥٣ وافق على تحويل وكالة الامن الفدرالي وعناصر حكومية اخرى الى وزارة الصحة والتعليم والشؤون الاجتماعية . وايد ايضا اجراءا اتخذه الكونغرس يقضي برفع الحد الادنى للاجور من ٧٥ سنتا في الساعة الى دولار واحد .

وفي عام ١٩٥٥ وضعت أكبر نقابتين للعمال ، وهما اتحاد العمال الامريكيين ومؤتمر المنظمات الصناعية ، حدا لتنافسهما الطويل ، بأن اندمجتا في هيئة واحدة بلغ عدد

أعضائها ١٥ مليونا . وقد حملت الأدلة التي توفرت على وجود فساد في بعض النقابات ، المنظمة الجديدة على وضع شرعة صارمة خاصة بالتصرفات الخلقية . وفي الوقت نفسه أقر الكونغرس قانونا يستلزم اعطاء بيان علني كامل بأموال النقابات ، خصوصا بالنسبة الى أموال التقاعد ورفاهية العمال وضمان حصول العمال على حقوقهم الديمقراطية .

غير أنه كانت هناك مشكلات محلية أخرى أثبتت التجارب أنها أقل قابلية للحل . فقد زاد التقدم الجديد الذي حصل في مجال التقنية الزراعية من حدة مشكلة الانتاج الزراعي الضخم بالنسبة الى الطلب القومي . وقد استبدلت حكومة أيزنهاور السياسة القائمة التي تضمن للمزارعين أسعارا ثابتة ، بمقياس مرن يقصد به تشجيع المزارعين على زراعة المحاصيل التي لا يتوفر فائض منها . واضافة الى ذلك قام برنامج « بنك الأرض » بدفع الأموال للمزارعين لتشجيعهم على اراحة الأرض وعلى زراعة الاشجار وتنفيذ اجراءات أخرى لحفظ التربة .

وقد شهدت الأعوام التي قضاها الرئيس أيزنهاور في الحكم تقدما مستمرا ، ولو بطيئا في مجال منح الأمريكيين السود قسطا أوفر من الحقوق السياسية والقانونية والاجتماعية . وكان خلال هذه الفترة أن جوبهت البلاد بحقيقة أن الالتزامات التي اعطيت في مرحلة ما بعد الحرب الأهلية بمنح السود حقوقا متساوية مع البيض ، قد نسيت فعلا ، وانه رغم الجهود المتفرقة التي بذلت لتحسين حال اكبر مجموعة من الأقليات في الولايات المتحدة فان السود في الشمال تعرضوا الى تمييز في التعليم والسكن والوظائف ، وانهم في الجنوب حرموا من حرية التحرك الاقتصادي فوضعت قيود على حريتهم في استئجار الأرض او امتلاكها ، وانهم عاشوا في مجتمع معزول بصورة شملت السكك الحديدية والحافلات الكهربائية والمنتزهات والفنادق والمدارس والمستشفيات وحتى المقابر .

ولم تكن قد بذلت حتى أواخر الثلاثينات محاولة ملحوظة لتوفير شكل من المساواة . وكان عندئذ ان وجد بعض السود اماكن في الحكومة الفدرالية وخصصت اموال فدرالية من اجل مراكز استجمام ومدارس ومستشفيات للسود . وهذا الاتجاه الجديد اكتسب قوة دفع جديدة خلال الحرب العالمية الثانية عندما اصدر الرئيس روزفلت ، بتشجيع من الزعيم العمالي الأسود فيليب راندولف ، امرا بإنهاء التمييز في الانتاج وفق عقود تتصل بالحرب . وبعد الحرب انشأ الرئيس ترومان لجنة خاصة بالحقوق المدنية ، وامر بازالة التفرقة العنصرية من القوات المسلحة ، وعين عددا متزايدا من السود في مناصب فدرالية . وفي غضون ذلك أخذت اهم رابطتين لمحترفي لعبة البيسبول وأهم رابطة لمحترفي لعبة كرة السلة تستخدم لاعبين من السود .

وخلال الخمسينات انضم السود الى الجامعات وصوتوا في الانتخابات وامتلكوا منازل وسيارات وتولوا مناصب احترافية أو ادارية وشغلوا مناصب رفيعة في الدولة بأعداد لم يسبق لها مثيل . رغم أن عددهم في كل واحدة من هذه الفئات بقي أقل بشكل ملحوظ من نسبة عددهم الى مجمل سكان البلاد . وكان التقدم الباهر الذي حصل في مجال الحقوق المدنية خلال هذه الفترة القرار الاجماعي الذي اتخذته المحكمة العليا عام ١٩٥٤ والذي يقول ان قوانين الولايات أو القوانين المحلية التي تقضي بايجاد مدارس منفصلة للطلاب السود والطلاب البيض هي قوانين غير دستورية . ولما كانت المدارس الرسمية في معظم الولايات لا تطبق الفصل العنصري رسميا . فان القرار كان منطبقا في صورة رئيسية على الولايات الجنوبية حيث يوجد تقليد قديم من الفصل العنصري . وبالنسبة لمثل هذه المناطق أصدرت المحكمة العليا تعليماتها الى المحاكم المركزية الفدرالية لأن تطلب من السلطات المهيمنة على المدارس المحلية بأن « تقوم ببداية سريعة ومنطقية في اتجاه الامتثال الكامل وان تتحرك بأقصى سرعة » .

ازالة التمييز العنصري من المدارس

وسار امتزاج الطلبة البيض والسود بسرعة في مقاطعة كولومبيا (حيث العاصمة واشنطن) وفي بعض ولايات الحدود . غير انه لقي مقاومة شديدة في أقصى الجنوب . وقد عكس ارسال جنود فدراليين الى مدرسة ليتل روك في ولاية أركنساو عام ١٩٥٧ . اثر نشوب أعمال عنف هناك بسبب هذه القضية . جهود الحكومة لتطبيق أوامر المحكمة بالنسبة الى ازالة التمييز العنصري من المدارس . ويرى البعض أن منح صفة الولاية الكاملة لألاسكا وهاواي عام ١٩٥٩ . وخصوصا هاواي بما فيها من فوارق عنصرية في السكان . كان دليلا آخر على التقدم في اتجاه الديمقراطية الاجتماعية فضلا عن السياسية .

وفي الفترة بين عامي ١٩٥٠ و ١٩٦٠ نعم الأمريكيون عموما بمستوى معيشة متصاعد . على أن نسبة النمو الاقتصادي كانت أبطأ مما أمل به البعض . واضافة الى ذلك واجهت البلاد عجزا متزايدا في ميزان مدفوعاتها وبطالة مستمرة وان كانت بدرجة معتدلة . ولكن رغم الزيادة التي حصلت في نسبة البطالة بعد الركود الاقتصادي الذي ساد البلاد عامي ١٩٥٧ و ١٩٥٨ . استمرت الأجور في الارتفاع واكتسبت الأعمال التجارية نشاطا متناميا وسادت البلاد روح تفاؤل . وقد ارتفع مجمل الانتاج القومي ـ اي قيمة جميع السلع والخدمات التي جرى توفيرها في البلاد ـ من ٢٨٥,٠٠٠ مليون دولار عام ١٩٥٠ الى حوالى ٥٠٤,٠٠٠ مليون عام ١٩٦٠ .

التطورات في آسيا

بدات حكومة الرئيس ايزنهاور الاولى عهدها بجو ينطوي على امل . ففي يوليو عام ١٩٥٣ وقعت كوريا الشمالية ، بعد ان جابهت وضعا عسكريا حرجا ، اتفاقية هدنة مع قيادة الامم المتحدة ، اعترفت رسميا بتقسيم كوريا ، ونصت على تبادل الأسرى . وقد اختار حوالي عشرين الفا من اسرى الحرب الكوريين الشماليين والصينيين في حضور مراقبين هنود ، عدم العودة الى بلادهم .

لكن الهدنة الكورية لم تنه الاضطرابات فيآسيا . فبحلول ربيع عام ١٩٥٤ اخذ ائتلاف من الشيوعيين والوطنيين الفيتناميين يحرز انتصارات حاسمة في حربهم التي مضى عليها ثمانية اعوام ضد فرنسا ، التي حاولت الاحتفاظ بسيطرتها على الهند الصينية . وقد اجتمع ممثلون عن فرنسا ، والاتحاد السوفياتي وبريطانيا العظمى والولايات المتحدة وعدة دول اسيوية ، في جنيف خلال الفترة بين مايو ويوليو للبحث في انهاء القتال . وقسم المؤتمر ما كان يدعى الهند الصينية الفرنسية الى ثلاث دول هي كامبوديا ولاوس وفيتنام . وقسمت فيتنام بصورة مؤقتة عند خط العرض ١٧ الى مناطعات ادارية شمالية وجنوبية ريثما تجري انتخابات توحيد اجزائها في يوليو عام ١٩٥٦ . وفي بيانه الختامي ، اعترف المؤتمر بسيادة واستقلال وسلامة اراضي كامبوديا ولاوس وفيتنام . ولكن الانتخابات التي قرر مؤتمر جنيف اجراءها لم تجر قط ، وذلك جزئيا لانه خشي ان ياتي الى الحكم الزعيم الوطني الشيوعي هوشي منه نتيجة تخريب عملية انتخابية لم يؤيدها .

وتجاه هذه الخلفية من النزاع ، اشتركت الولايات المتحدة ، في سبتمبر من عام ١٩٥٤ ، مع تايلاند ، والفلبين ، وباكستان ، وبريطانيا العظمى ، وفرنسا ، واستراليا ، ونيوزيلندة في انشاء منظمة معاهدة جنوب شرق آسيا ، او « سياتو » . وقد نصت معاهدة المساعدة المتبادلة هذه على توفير تعاون اقتصادي ومساعدة فنية وعمل جماعي ضد العدوان او النشاط الهدام . ونص بند في الملحق الخاص بالمعاهدة ، على توسيع شروط المعاهدة الاساسية ، لتشمل الدفاع عن لاوس وكامبوديا وفيتنام الجنوبية ، وتوفير المساعدة الاقتصادية لها .

واضافة الى ذلك ، وسعت الولايات المتحدة برنامج مساعداتها الفنية لآسيا والشرق الاوسط وافريقيا وامريكا اللاتينية . وقد انفقت ١٠٠٠ مليون دولار على اعمال الاغاثة والبناء والتعمير في كوريا الجنوبية . وما ان جاء عام ١٩٥٨ حتى كانت تلك البلاد قد تجاوزت مستويات الانتاج والاستهلاك التي كانت سائدة فيها قبل الحرب . ومثل ذلك فعالية كانت المعونة التي قدمت الى جمهورية الفلبين لمساعدتها في اعادة البناء بعد الدمار

الذي حل بها بسبب الحرب ومساندتها في قتالها ضد رجال العصابات . وبالاجمال زودت الولايات المتحدة خلال المدة بين عام ١٩٥٠ وعام ١٩٦٠ اكثر من ٦٠ دولة بالآلات والادوية والقروض والفنيين .

بذل الجهود من أجل التعاون السلمي

في عام ١٩٥٥ دمجت حكومة الولايات المتحدة برامجها المختلفة الخاصة بالمساعدات الخارجية ، بما فيها ما تبقى من برنامج مشروع مارشال لأوروبا ، في ادارة تعاون دولي دائمة . وبعد ذلك بسنتين أنشأت صندوق قروض التنمية للمساعدة في تزويد المناطق النامية بالرأسمال اللازم لتمويل المواصلات والقوة الكهربائية والصناعة وتنمية منخفضات الانهار والري ، وغيرها من المرافق التي تشكل الأساس للنمو الاقتصادي . وبحلول نهاية عام ١٩٦٠ كان الصندوق قد قدم حوالي ١٨٣ قرضا لتسع وأربعين دولة وبلغ مجموع تلك القروض ٢,٠٠٠ مليون دولار . واضافة الى ذلك وزعت الولايات المتحدة بين عامي ١٩٥٤ و ١٩٦٠ أغذية تجاوزت قيمتها ١٠,٠٠٠ مليون دولار على دول معوزة . وكان نصف هذه الأغذية تقريبا عبارة عن هبات كلية قدمت لتفادي وقوع مجاعة في تلك البلاد أمثال باكستان ونيبال والاردن وهايتي وغانا . أما النصف الثاني فقد بيع بعملات أجنبية يمكن اقراضها مجددا الى الدول التي تلقت المساعدة بفائدة زهيدة أو بدون فائدة لكي تنفقها على مشاريعها الخاصة بالتنمية الاقتصادية .

وقد تعززت الآمال بحدوث تعاون سلمي بين الدول الشيوعية والدول غير الشيوعية بانعقاد « مؤتمر القمة » في جنيف عام ١٩٥٥ . غير أن رؤساء دول أمريكا والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا فشلوا في الوصول الى اتفاق على وسائل تحقيق نزع السلاح أو اعادة توحيد المانيا . وقد اقترح الرئيس أيزنهاور ، رغبة منه في التقليل من خطر وقوع هجوم مباغت وايقاف سباق التسلح ، أن تتبادل الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي تصاميم منشآتها الحربية وتسمحا باجراء مراقبة جوية متبادلة عليها . ورفض الزعماء السوفيات هذه الخطة باعتبارها غزوا للسيادة القومية . ومع ذلك انتج مؤتمر جنيف فعلا اتفاقات تقضي بأن يقوم الفنيون والمفكرون والفنانون السوفيات بجولات في الولايات المتحدة بينما يقوم نظراؤهم الامريكيون بجولات في الاتحاد السوفياتي .

ازمتان ... المجر وحرب السويس

في عام ١٩٥٦ حصلت سلسلة تطورات دولية قابلة للانفجار . ففي أوائل ذلك العام ندد زعيم الحزب الشيوعي السوفياتي نيكيتا خروتشوف فجأة بالدكتاتور المتوفي جوزيف

ستالين بوصفه طاغية لا يرحم وهو تنديد حمل الشعوب في دول أوروبا الشرقية التي يسيطر عليها السوفيات على المطالبة بمزيد من الحرية في ادارة شؤونها الداخلية .

وفي بولندة أصبح فلادبسلاف غومولكا وهو زعيم شيوعي وطني كان قد سجن في عهد ستالين ، رئيسا للحزب الشيوعي البولندي . ووعد الشعب بقدر أوفر من حرية الكلام والصحافة والدين . وفي اكتوبر عام ١٩٥٦ ثار الشعب المجري ، ونصب حكومة ليبرالية ، وطالب بانسحاب القوات السوفياتية . ولكن الجيش السوفياتي بدلا من ان ينسحب شن هجوما على المجريين وسحق الثورة . وقد انضم الشعب الامركي الى الشعوب الأخرى في جميع انحاء العالم ، في الاحتجاج على تصرف الاتحاد السوفياتي ، واستقبل آلاف اللاجئين في الولايات المتحدة .

وفي نفس الوقت الذي كانت فيه الثورة المجرية قائمة ، نشأت أزمة عالمية خطيرة حول السيطرة على قناة السويس . وقد كانت قناة السويس تدار منذ انتهاء حفرها في أرض مصرية عام ١٨٦٩ ، من قبل شركة دولية تتكون بصورة رئيسية من بريطانيين وفرنسيين . وفي يوليو من عام ١٩٥٦ ، عندما اعلن الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر تاميم القناة ، حاولت الدول الغربية عبثا الوصول الى اتفاق مع مصر على شكل جديد من الاشراف الدولي من جانب الدول الثماني عشرة التي تستخدم القناة بشكل منتظم . وبعد ذلك ، في اكتوبر ، تجاه خلفية من الاشتباكات المتزايدة على الحدود ، اتهمت اسرائيل مصر بتدبير هجوم عليها وأرسلت الجيش الاسرائيلي عبر شبه جزيرة سيناء في اتجاه السويس .

وقام البريطانيون والفرنسيون الذين اعتبروا هذا التطور تهديدا للملاحة في القناة . بانزال قوات في منطقة القناة . وقد عارضت الولايات المتحدة هذا الاجراء من جانب حليفيها في منظمة معاهدة شمال الاطلسي ، باعتباره انتهاكا لمبدأ تقرير المصير . وصوت المندوب الامريكي لدى الامم المتحدة الى جانب قرار اتخذته الجمعية العامة يدعو الى وقف اطلاق النار في الحال وانسحاب القوات الغازية . وقبلت بريطانيا العظمى وفرنسا واسرائيل هذين الشرطين . وفي مارس عام ١٩٨٧ ، تم تطهير قناة السويس من حطام السفن تحت اشراف قوة بوليس دولية ، وفتحت للملاحة .

وكشفت ازمة السويس ، التي جعلت الاتحاد السوفياتي يهدد باستعمال القوة في مصر ، عن جهود سوفياتية متنامية للحصول على موطىء قدم في الشرق الاوسط ، ولمقاومة هذا التهديد وتشجيعا على الاستقرار والاستقلال في المنطقة ، تبنت الولايات المتحدة ما اصبح يعرف بمبدأ ايزنهاور . ففي يناير عام ١٩٥٧ ، طلب الرئيس ايزنهاور من الكونغرس اولا ،

ان يخوله صلاحية استخدام قوة عسكرية اذا ما طلبت هذه النوة اية دولة من دول الشرق الاوسط لرد عدوان . وثانيا ، تخصيص مبلغ ٢٠٠ مليون دولار لمساعدة تلك الدول الشرق اوسطية التي ترغب في الحصول على مساعدة من الولايات المتحدة . ووافق الكونغرس على الطلبين .

وبعد ذلك بعام ونصف ، أرسل الرئيس أيزنهاور قوة من مشاة البحرية « المارينز » الى لبنان بناء على طلب من حكومته . وقد جاء هذا الاجراء بعد أن اتهم لبنان الجمهورية العربية المتحدة (اتحاد مكون من سوريا ومصر) باثارة وتسليح ثورة في لبنان . وبعد عدة أسابيع تحسن الوضع في لبنان وسحبت الولايات المتحدة جنودها . ونشأت أزمة مماثلة بين الأردن والعراق الا أنها هدأت بسرعة بعد وصول قوات بريطانية الى الأردن بطلب منه .

أزمتان جديدتان في فورموزا وبرلين

في صيف عام ١٩٥٨ ، بينما الشرق الأوسط لا يزال في حالة قلق . نشأت أزمة جديدة في الشرق الأقصى . فقد شرعت جمهورية الصين الشعبية في قصف جزيرتي كيموي وماتسو التابعتين للصين الوطنية . بالقنابل استعدادا كما يبدو لغزو تينك الجزيرتين كخطوة أولى نحو شن هجوم على تايوان . فأعلن وزير الخارجية الأمريكية جون فوستر دالس بأن الولايات المتحدة ستتخذ « اجراءا فعالا في الوقت المناسب » للدفاع عن تايوان . ورغم تأييد الاتحاد السوفياتي لمطالبة جمهورية الصين الشعبية بالجزيرتين فقد خفت حدة القصف المدفعي . ثم توقف القصف كليا بعد أن حذر الرئيس أيزنهاور بأن الولايات المتحدة لن تتراجع « في وجه عدوان مسلح » . على أن الصينيين استمروا في الاعلان عن عزمهم في النهاية على بسط سيادتهم على تايوان والجزر القريبة من الشاطئ .

ولم تكد تمر ازمة الشرق الاقصى حتى اصدر رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي نيكيتا خروتشوف في نوفمبر عام ١٩٥٨ ، انذارا نهائيا ممهلا الدول الغربية ستة اشهر كي توافق على الانسحاب من برلين وجعلها مدينة حرة منزوعة السلاح . وعند انتهاء تلك المهلة ، اعلن خروتشوف ان الاتحاد السوفياتي سيحول الى المانيا الشرقية السيطرة الكاملة على جميع خطوط المواصلات مع برلين الغربية ، وان الدول الغربية لن تتمكن بعد ذلك من الوصول الى برلين الغربية الا باذن من حكومة المانيا الشرقية . وردت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا على هذا الانذار النهائي بتاكيد تصميمها الثابت على البقاء في برلين الغربية والتمسك بحقها الشرعي في الوصول الى المدينة بصورة حرة .

وفي عام ١٩٥٩ ، سحب الاتحاد السوفياتي المهلة المحددة في انذاره ، واجتمع مع الدول

الغربية في مؤتمر لوزراء خارجية الدول الاربع العظمى . ومع ان الجلسات التي دام انعقادها ثلاثة اشهر لم تؤد الى اية اتفاقات مهمة ، الا انها فتحت الباب امام مزيد من المفاوضات ، وادت الى زيارة رئيس الوزارة السوفياتية خروتشوف الى الولايات المتحدة في سبتمبر من عام ١٩٥٩ . وفي نهاية تلك الزيارة ، اعلن خروتشوف والرئيس ايزنهاور في بيان مشترك ، ان القضية الاهم في العالم هي نزع السلاح الشامل ، وان مشكلة برلين و« جميع المسائل الدولية المعلقة يجب حلها ، ليس باستخدام القوة ، بل بالوسائل السلمية عن طريق المفاوضات » .

كاسترو يتسلم الحكم في كوبا

وفي غضون ذلك كانت ثمة دراما سياسية تتكشف في جزيرة كوبا الواقعة على بعد ١٥٠ كيلومترا من الساحل الجنوبي الشرقي للولايات المتحدة . ففي أوائل عام ١٩٥٩ ، بعد قتال دام عدة سنوات ، أطاح فيدل كاسترو بحكومة فولجنسيو باتيستا ، دكتاتور كوبا . واذ كان سجل باتيستا من القمع والكبت ماثلا في ذهن حكومة الولايات المتحدة والشعب الامريكي بوجه عام فقد رحبا بتسلم كاسترو مقاليد الحكم رغم أن الولايات المتحدة كانت قد قدمت لحكومة باتيستا مساعدة عسكرية .

ولكن سرعان ما تبدد العطف الامريكي عندما امتنع كاسترو عن اجراء انتخابات حرة وفرض رقابة صارمة على الصحافة وأصدر أحكاما بالاعدام على عدد من أعدائه السياسيين . ومرة أخرى امتلأت سجون كوبا بالنقاد السياسيين بمن فيهم كثير من رفاق كاسترو السابقين وزعماء العمال المناهضين للشيوعية وغيرهم من قدماء معارضي نظام باتيستا . وجرت مصادرة ممتلكات الأجانب ، وفي حالات كثيرة لم تدفع أية تعويضات .

وأخذ كاسترو يندد بالولايات المتحدة بصورة متزايدة وينشد المساعدة من دول الكتلة الشيوعية . وانتهجت حكومة أيزنهاور بادىء الأمر سياسة تجمل وصبر . ولكن في صيف عام ١٩٦٠ اتسمت السياسة الامريكية بالصلابة . فقد فرضت الولايات المتحدة حظرا مؤقتا على شراء السكر الكوبي وحثت منظمة الدول الامريكية المؤلفة من احدى وعشرين دولة على ادانة تصرفات كوبا . وفي حين لم توجه المنظمة اتهاما مباشرا الى نظام كاسترو في هذه المناسبة الا انها ادانت التدخل السوفياتي في نصف الكرة الغربي بسبب دعمه لكاسترو .

وأجمل اجتماع دولي اخر عقد في مرحلة لاحقة من عام ١٩٦٠ ، النواحي المقلقة والباعثة على الأمل ، من المسرح العالمي . فقد قبلت الجمعية العامة للامم المتحدة في اجتماع عقدته

في نيويورك ، ١٧ دولة جديدة في عضويتها جميعها من القارة الافريقية باستثناء دولة واحدة . وقد عكس ذلك الاجراء ، التحرك السريع بعد الحرب ، لشعوب كانت مستعمرة في السابق ، نحو الاستقلال والقومية الكاملين . وفي خطاب القاه الرئيس أيزنهاور أمام مندوبي الأمم المتحدة . طلب من الدول الأخرى أن تنضم الى الولايات المتحدة في توفير المزيد من المساعدة في المناطق الآخذة في النمو بوجه عام والى الدول الأفريقية الحديثة بوجه خاص . وتعهد أيضا بأن تستمر الولايات المتحدة في السعي من أجل تحقيق نزع السلاح في العالم على أساس تفتيش ومراقبة فعالين .

وقبل انعقاد دورة الجمعية العامة كان قلق العالم من جراء سباق التسلح المتزايد قد اشتد بسبب ارتياد الانسان للفضاء . وهو تطور لو تحقق في زمن اكثر هدوءا لكان مصدرا للاعجاب والفخار . فقد اظهر اطلاق اول قمر اصطناعي سوفياتي في اكتوبر عام ١٩٥٧ واول قمر اصطناعي امريكي في يناير عام ١٩٥٨ ، ان الدولتين تملكان صواريخ هي من القوة بحيث تستطيع ان تنذف قنابل ذرية وهيدروجينية الى قلب اية دولة معادية تقع على بعد آلاف الكيلومترات .

وبحلول أواخر الخمسينات كانت التقنية قد جعلت بالامكان نشوب حرب نتيجة الضغط على زر ، وهي حرب تستطيع أن تفني عشرات الملايين من الأرواح خلال دقائق . وبدت الحاجة الى نظام محكم من التفتيش على الأسلحة لمنع نشوب مثل تلك الحرب ، نتيجة خطأ عرضي أو غيره ، واضحة لمعظم العالم . غير أن رئيس الوزراء خروتشوف أبلغ الجمعية العامة أن الاتحاد السوفياتي لا يستطيع قبول تفتيش ومراقبة في المراحل الأولى لاتفاق على نزع السلاح . وقد رأت الدول الديمقراطية أن نزع السلاح بدون تفتيش هو أمر غير مقبول على أساس أن مجتمعا « مغلقا » كالاتحاد السوفياتي يستطيع مخالفة تعهده بنزع السلاح دون أن يكون هناك سوى القليل من المجال لاكتشاف ذلك في حين أن مخالفات تحدث في مجتمعات أكثر « انفتاحا » سيكون هناك مجال كبير لاكتشافها والاعلان عنها .

كنيدي والحد الجديد

وفي غمرة هذا الجو من التوتر العالمي انتخب الشعب الامريكي في نوفمبر عام ١٩٦٠ ، السناتور جون ف . كنيدي رئيسا للولايات المتحدة . وقد هزم كنيدي منافسه الجمهوري نائب الرئيس ريتشارد نيكسون باغلبية ضئيلة من الاصوات . وكان المرشحان الشابان قد

بعنا الحماس في حملتيهما الانتخابيتين بظهورهما معا على التلفزيون في سلسلة من المناظرات . وقد اكد نيكسون الخبرة التي اكتسبها اثناء السنوات الثماني من الخدمة التي امضاها في حكومة ايزنهاور ، وذكر الناخبين بـ « السلام والازدهار » اللذين تحققا في ظل الزعامة الجمهورية . ودعا كنيدي الى توافر زعامة جديدة تنظر الى المستقبل والى استخدام موارد البلاد البشرية والاقتصادية استخداما اكثر فعالية .

وقد سطر الرئيس كنيدي ، وهو أصغر رئيس انتخب في الولايات المتحدة اطلاقا ، في خطابه التنصيبي نمطا من طاقة الشباب وتكريسهم بقي الطابع المميز لحكومته حين قال : « ان الشعلة قد انتقلت الى جيل جديد من الأمريكيين » . وبالفعل كان أعضاء وزارته ومستشاروه العاملون في البيت الابيض يشكلون أصغر مجموعة من كبار الموظفين في تاريخ البلاد ، مجموعة اشتهرت بانفتاحها على الأفكار الجديدة واستعدادها لاتخاذ اجراءات فعالة .

وعندما تسلم الرئيس كنيدي مقاليد الحكم كانت البلاد مزدهرة بصفة عامة وبلغ معدل أجر العامل الصناعي رقما قياسيا هو ٩٥ دولارا في الاسبوع . ولكن البطالة كانت أيضا مرتفعة لا سيما في مناطق التعدين في ولايتي بنسلفانيا ووست فيرجينيا ، اللتين تأثرتا تأثرا شديدا بمنافسة المنتجات الجديدة والتغيرات الحاصلة في أساليب المعيشة الأمريكية .

وسعت الحكومة الجديدة لاستصدار تشريعات لمعالجة هذه الاوضاع . فمنح قانون لتنمية المناطق ، الحكومة الفدرالية سلطة لمساعدة المجتمعات المتأثرة بالكساد الاقتصادي على بدء صناعات جديدة وبناء مرافق عامة ضرورية . ونص قانون آخر على توفير تدريب بأجر للعمال العاطلين عن العمل أو الذين يشغلون وظائف بأجور منخفضة بسبب افتقارهم الى المهارات اللازمة . واضافة الى ذلك منحت الولايات سلطة عاجلة لتوسيع نطاق التأمين ضد البطالة لمدة ١٣ أسبوعا علاوة على فترة الستة والعشرين أسبوعا العادية .

وعملا بالنهج الذي سار عليه اثنان من اسلافه الرؤساء ، طلب الرئيس كنيدي من الكونغرس جعل بعض التشريعات الاجتماعية المطبقة أكثر تحررا . ونتيجة لذلك أعطى قانون الضمان الاجتماعي العمال الخيار بأن يتقاعدوا في سن الثانية والستين بدلا من الانتظار حتى الخامسة والستين . ورفع الحد الأدنى للاجور الى دولار و ٢٥ سنتا في الساعة وجرى التعجيل في تطبيق برنامج الاسكان الفدرالي لمساعدة المسنين والاسر ذات الدخل المنخفض أو المعتدل على ايجاد مساكن بأسعار معقولة .

تقدم قضية الامريكيين السود

خلال الستينات حققت البلاد تقدما في اتجاه ازالة التمييز العنصري . فخلال المدة بين عام ١٩٥٤ وعام ١٩٦٠ حصل دمج بين الطلبة البيض والطلبة السود في ٧٦٥ من اصل ٦،٦٧٦ منطقة تعليمية في الجنوب . وبين عام ١٩٦١ وعام ١٩٦٤ قبلت حوالي ٣٦٥ منطقة تعليمية اضافية طلبة من السود في مدارس كانت في السابق وقفا على طلبة من البيض ، مما رفع بنسبة ٥٠ بالمئة تقريبا عدد المناطق التعليمية التي قبلت طلبة من البيض والسود خلال السنوات السبع السابقة . وعجلت الاحتجاجات المتمثلة في « الجلوس السلمي » التي قام بها الطلبة البيض والسود في شهر فبراير عام ١٩٦٠ ، في وضع حد للتفرقة العنصرية في المطاعم في اكثر من خمسمائة مجتمع في الجنوب .

وفي عام ١٩٦١ جاءت « تظاهرات الحرية » وهي احتجاجات سلمية منظمة على التفرقة العنصرية في استخدام سيارات المواصلات وتسهيلات المحطات . وفي تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٦١ أصدرت لجنة التجارة بين الولايات قرارا حظرت فيه التمييز العنصري في جميع وسائل السفر بين الولايات . وفي العام التالي أيدت المحكمة العليا بالاجماع هذا الحظر معلنة : « لقد قررنا بما لا يدع مجالا للشك الا تمارس في المستقبل أية ولاية التمييز العنصري في وسائل النقل والمواصلات داخل الولايات وفي ما بينها » .

وبلغت الثورة التي اصبحت تعرف في ما بعد بـ « ثورة الحقوق المدنية » ذروة منيرة عام ١٩٦٣ . فبعد تظاهرات ضخمة قام بها السود في مدينة بيرمنغهام بولاية الباما في اقصى الجنوب حيث كان التمييز العنصري لا يزال مطبقا ، قال الرئيس كنيدي في خطاب وجهه الى الامة من التلفزيون ، ان عليها التزاما ادبيا ببيان تحقق المساواة الكاملة للامريكيين السود ، ثم تقدم الى الكونغرس بتشريع من اكثر التشريعات شمولا في هذا العصر يهدف الى القضاء على التمييز في التصويت والتعليم والتوظيف واستخدام المرافق العامة . وفي ٢٨ اغسطس ، قام اكثر من ٢٠٠،٠٠٠ من البيض والسود يتزعمهم القس الجنوبي الاسود مارتن لوثر كينغ الابن بمسيرة الى نصب لنكولن التذكاري في العاصمة واشنطن ، في تظاهرة اخاذة اثارت اهتماما قوميا شديدا بطلب الحصول على حقوق متساوية . وفي عام ١٩٦٤ منح الدكتور كينغ جائزة نوبل اعترافا بزعامته في مجال الاحتجاج المسيحي السلمي ضد التمييز العنصري على مدى عقد من الزمن .

ودفعت حكومة كنيدي بقضية المساواة العنصرية مسافة أخرى الى الأمام بأن عينت كثيرا من السود البارزين في مناصب حكومية عالية . وكان من ابرز هذه التعيينات تعيين

روبرت ويفر رئيسا لوكالة الاسكان والتمويل المحلي الفدرالية وثورغود مارشال كبير المستشارين سابقا للرابطة القومية لتقدم الملونين، قاضيا في المحكمة الفدرالية. وعين عشرات آخرون من الامريكيين السود في مناصب تفاوتت بين منصب مساعد رئيس الولايات المتحدة ومنصب سفير. وبوجود أكثر من ٢٤٠،٠٠٠ طالب من السود يدرسون في معاهد التعليم العالي عام ١٩٦٤، كان هناك سبب للاعتقاد بأن الاتجاه نحو وظائف أفضل والقيام بدور اكثر فعالية في الحكومة بالنسبة الى السود سيتحقق بخطوات سريعة.

أمريكا تراقب ما يجري وراء حدودها الجنوبية

قبل أن يتسلم الرئيس كنيدي زمام الحكم بأقل من ثلاثة أسابيع. قطعت الولايات المتحدة علاقاتها الدبلوماسية مع كوبا. وقد اتخذ هذا الاجراء ردا على استمرار حكومة كوبا في التشهير بالولايات المتحدة ومضايقة موظفي السفارة الأمريكية واستخدامها لكوبا كقاعدة للتشجيع على نشاطات رجال العصابات في أمريكا اللاتينية.

وفي ابريل عام ١٩٦١، قام فريق من اللاجئين الكوبيين بغزو بلادهم في محاولة مخفقة للاطاحة بكاسترو. ومع انه لم يشترك اي جندي امريكي في الغزو، الا ان الحكومة الامريكية وفرت للاجئين التدريب والمساعدة. ورغم الحقيقة ان الغزو جرى التخطيط له في المراحل الاخيرة من رئاسة ازينهاور الا ان الرئيس كنيدي تحمل كامل المسؤولية عن الحادث لانه سمح للعملية بان تنفذ.

وفي اكتوبر عام ١٩٦٢، صعق العالم لدى معرفته بان حكومة كاسترو سمحت للاتحاد السوفياتي بان يقيم سرا قواعد للصواريخ الهجومية في الاراضي الكوبية. وهذه القواعد التي يعمل فيها فنيون سوفيات تستطيع ان تطلق قذائف نووية على معظم المدن الرئيسية في امريكا الشمالية وامريكا الجنوبية. وقد طلبت الولايات المتحدة ازالة قواعد الصواريخ في الحال واعلنت حظرا شديدا على جميع المعدات العسكرية الهجومية المشحونة الى كوبا. وباغلبية عشرين صوتا مقابل لا شيء اوصت منظمة الدول الامريكية بان تتخذ الدول الاعضاء جميع الاجراءات الازمة لمنع وصول الاسلحة الهجومية الى كوبا. وبعد اسبوعين من التازم الشديد وافقت الحكومة السوفياتية على تفكيك قواعدها وشحنها الى الاتحاد السوفياتي.

وفي مارس عام ١٩٦١، اقترح الرئيس كنيدي رسميا قيام « حلف من جل التقدم » توفر بموجبه الولايات المتحدة مع دول اخرى وكالات دولية ومصادر خاصة مختلفة مبلغ ٢٠،٠٠٠ مليون دولار في شكل هبات وقروض على مدى عشر سنوات لتعزيز النمو

الاقتصادي ورفع مستويات المعيشة في جمهوريات امريكا اللاتينية .

وفي شهر اغسطس ، وافقت تسع عشرة دولة من دول امريكا اللاتينية على ميثاق الحلف وتعهدت بالقيام باصلاحات في الاراضي والضرائب لفائدة شعوبها . وقد انفقت اموال الحلف على انشاء الطرق وبناء المنازل والمدارس وتحسين وسائل الصحة وشبكات المياه ومنح القروض لصغار المزارعين وتدريب المدرسين . وفي نهاية عام ١٩٦١ شاهد الرئيس كنيدي البرنامج وهو ينفذ عندما زار فنزويلا وكولومبيا اللتين كانتا قد بدأتا في اعادة توزيع الاراضي على صغار المزارعين .

دول جديدة تبرز في افريقيا

وعبر المحيط الاطلسي تجاه امريكا الجنوبية كانت الشعوب الافريقية تنضم الى اسرة دول العالم . فابتداء من السودان والمغرب وتونس في عام ١٩٥٦ . وغانا في عام ١٩٥٧ ، كانت ثلاثون دولة أفريقية قد نالت استقلالها بحلول نهاية ١٩٦٣ .

ورحب قادة الولايات المتحدة بهذه الدول الجديدة التي أعاد خروجها من الوضع الاستعماري ، الى الاذهان ماضي امريكا ذاتها . وتكهن ادلاي ستيفنسون ، سفير الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة في عهد الرئيس جون كنيدي ، بأن الدول الأفريقية الجديدة ستلعب دورا متزايد الأهمية من على ذلك المنبر العالمي .

أحد الأعمال الأولى التي قام بها ستيفنسون كان الادلاء بصوت الولايات المتحدة مؤيدا به اقتراحا تبنته الدول الافريقية يدعو الأمم المتحدة لاجراء تحقيق في الاضطرابات العنصرية التي حدثت في مستعمرة أنغولا البرتغالية الواقعة في أفريقيا . وحثت الولايات المتحدة البرتغال علانية وسرا ، بأن تقبل منح حق تقرير المصير لمستعمراتها الافريقية . كما دعا السفير ستيفنسون الى وضع حد لسياسة التمييز العنصري التي تمارسها جمهورية جنوب أفريقيا . وأيد قرارا للأمم المتحدة يطلب من الدول الأعضاء أن لا تبيع أو تشحن أسلحة لتلك الدولة .

وزج الصراع الاهلي الذي اندلع في جمهورية الكونغو ، بعد أن نالت استقلالها عن بلجيكا عام ١٩٦٠ ، الأمم المتحدة في قضايا أفريقيا الجديدة المعقدة والمثيرة للتحدي . فتوجهت قوة تابعة للأمم المتحدة ، الى الكونغو بطلب من رئيس الجمهورية كازافوبو ، وذلك أولا لاستعادة النظام وحماية الأرواح ومن ثم لتساعد في اعادة توحيد اقليم كاتنغا الغني بالمعادن مع سائر بلاد الكونغو خلال عام ١٩٦١ .

وبالرغم من أن بعض الأمريكيين انتقدوا العمل العسكري الذي قامت به الأمم

المتحدة في كاتنغا على أنه تدخل لا مبرر له في الشؤون الداخلية للكونغو . فان الحكومة الأمريكية أيدت هدف الأمم المتحدة لتحقيق كونغو موحدة باعتباره الحل العملي الوحيد لمشاكل البلاد الاقتصادية والسياسية . ومن أجل تحقيق هذه الغاية ، تبرعت الولايات المتحدة بمبلغ مئة وسبعين مليون دولار على شكل مبالغ نقدية وأغذية وخدمات ، لجهد الأمم المتحدة ذاك . وبحلول عام ١٩٦٣ كانت جمهورية الكونغو الموحدة قد ظهرت الى الوجود .

وقدمت مساعدات من الحكومة الامريكية بلغ مجموعها في عام ١٩٦٤ ، ١,٥٠٠ مليون دولار ، الى معظم الدول الأفريقية الجديدة على شكل قروض وهبات وكشحنات كبيرة من الأغذية . وكان القصد الرئيسي من تلك القروض تطوير القوة الكهربائية والوسائل الصحية ووسائل الاتصالات والعناية بالصحة بينما استخدمت الهبات المباشرة بصورة رئيسية في شؤون التعليم والزراعة . كذلك استخدمت المواد الغذائية الأمريكية التي قدمت الى كل من الجزائر ، وداهومي ، وأثيوبيا ، والمغرب ، والصومال ، والسودان ، وتانزانيا ، وتونس لدفع جزء من أجور العاملين في برنامج « الطعام من أجل العمل » الذي استهدف مكافحة البطالة عن طريق توفير الاشغال العامة التي كانت هناك حاجة لها . وقد توجه مئات الأطباء والممرضات والمعلمين والفنيين الى أفريقيا لتقديم خدماتهم .

استمرار التوتر الدولي

وفي جنوب شرق آسيا اخذت الهجمات الداخلية العنيفة التي يشنها رجال العصابات تهدد الحكومات النائمة في لاوس وفيتنام الجنوبية . فاجتمعت اربع عشرة دولة ، من ضمنها الولايات المتحدة ، في جنيف في شهر مايو عام ١٩٦١ لايجاد حل للنزاع في لاوس . وبعد ثلاثة عشر شهرا من المفاوضات ، تم خلالها وضع حد لاطلاق النار ، اتفقت تلك الدول على حث الامراء اللاوسيين المتزعمين للفئات المتنازعة على الاشتراك معا في انشاء دولة محايدة موحدة ومستقلة .

أما في فيتنام الجنوبية فقد استمر القتال ، اذ ان جنوبيين من أبناء البلاد انضموا الى متسللين شماليين في حملة من الخطف والاغتيالات وغيرها من أعمال الارهاب ضد المواطنين المخلصين لحكومة فيتنام الجنوبية المدعومة من الامريكيين . وبطلب من حكومة سايغون ، أرسل الرئيس جون كنيدي عناصر من العسكريين للمساعدة في تدريب جنود فيتنام الجنوبية . كما شجعت الولايات المتحدة زعماء فيتنام على الشروع في اصلاحات اجتماعية وتربوية من أجل كسب دعم شعبي أوسع نطاقا لمقاومة الفيتناميين الذين كانوا يؤيدون الزعيم الشيوعي ـ الوطني ، هوشي منه .

وخلال ذلك الوقت ، في شهر يونيو عام ١٩٦١ ، خلق رئيس الوزراء خروتشوف ازمة جديدة حول وضع برلين الغربية حينما هدد مرة اخرى بانه سيوقع معاهدة سلام منفصلة مع المانيا الشرقية ، قال عنها ، انها ستنهي الاتفاقيات النائمة في ما بين الدول الاربع التي تضمن حقوق الامريكيين والبريطانيين والفرنسيين في الوصول الى برلين الغربية . وقد ردت الدول الثلاث بانه لن تستطيع معاهدة موقعة من جانب واحد الغاء حقوقها ومسؤولياتها في برلين الغربية بما في ذلك حق الوصول الحر الى المدينة .

وهرب الالمان الشرقيون الذين اقلقتهم الازمة ، الى برلين الغربية باعداد متزايدة . ففي شهر يوليو وحده هرب حوالي ٣٠،٠٠٠ منهم . وفجأة في الثالث عشر من شهر اغسطس قام الشيوعيون ببناء جدار فاصل بين القطاعين الشرقي والغربي من برلين ، عازلين بذلك عنوة سكان المانيا الشرقية . وازاء تصميم الحلفاء على الاحتفاظ بحقهم في الوصول الى برلين الغربية ، سمحت الحكومة السوفياتية للموعد النهائي المحدد بنهاية العام ان يمر دون ان تحاول توقيع معاهدة سلام مع المانيا الشرقية .

جهود باتجاه سلام عالمي

وفي شهر مارس عام ١٩٦١ ، انشا الرئيس كنيدي المشروع المعروف بكتائب السلام ـ وهو فكرة ثورية في مجال المساعدة الخارجية ، واجتذب البرنامج متطوعين للخدمة في الدول النامية عبر العالم باسره .

ووجد الشبان الأمريكيون بصورة خاصة البرنامج جذابا . فسخروا مواهبهم للعمل فيه كممرضين ومساحين للأراضي ومدرسين وميكانيكيين وخبراء في الصحة ووسائل المحافظة عليها ومساعدين زراعيين . والى جانب تعزيز التنمية الأساسية في الخارج عملت كتائب السلام على تعزيز التفاهم وحسن النية والسلام الدولي .

وشهدت الاعوام التي امضاها الرئيس كنيدي في الحكم توقيع معاهدة حظر جزئي على التجارب النووية . وفي شهر اغسطس عام ١٩٦١ ، وهو الشهر نفسه الذي اقيم فيه جدار برلين ، اعلن الاتحاد السوفياتي انه سيستانف التجارب على الاسلحة النووية في الجو . منهيا بذلك الحظر الطوعي على التجارب النووية في الجو الذي كان بدا تنفيذه الاتحاد السوفياتي وبريطانيا والولايات المتحدة قبل ثلاث سنوات . وهكذا بدا الاتحاد السوفياتي في الاول من سبتمبر ، سلسلة من التفجيرات النووية في الجو نتجت عنها كميات كبيرة من الغبار المشع واثارت مخاوف عبر العالم من امكانية ان تلحق تلك التفجيرات اضرارا تناسلية بالأجيال المقبلة . وعلى الرغم من نقض السوفيات للحظر ،

استمر الرئيس كنيدي في حث الاتحاد السوفياتي على التوقيع على اتفاقية تنص على اجراء تفتيش دولي يضمن حظرا على جميع التجارب في المستقبل . وحينما رفض هذا العرض اعلنت الولايات المتحدة كارهة ، ان ليس لديها من بديل سوى ان تستانف تجاربها النووية في الجو كي تحافظ على قدرتها على الردع بشكل فعال . وفي الوقت نفسه واصلت الحكومة الامريكية العمل من اجل وضع حد للسباق على التسلح بانشائها وكالة للرقابة على الاسلحة ونزع السلاح ، واستمرارها في مساعيها الرامية للتوصل الى معاهدة تكفل حظر التجارب النووية .

واثمرت تلك الجهود في النهاية ، في يوليو عام ١٩٦٣ ، حينما وقع الاتحاد السوفياتي وبريطانيا والولايات المتحدة ، بالحروف الاولى ، على معاهدة تحظر التفجيرات النووية في الفضاء الخارجي . وبحلول نهاية ذلك العام كانت مئة وسبع دول قد وقعت تلك المعاهدة . اما قضية التجارب النووية تحت سطح الارض فقد تركت للمستقبل ، لان الاتحاد السوفياتي ظل يرفض ذلك النوع من التفتيش في الموقع ، الذي يمكن بواسطته الكشف بدقة عن مثل هذه التجارب .

واعتقد بعض المراقبين أن استعداد الحكومة السوفياتية لقبول حتى حظر جزئي على التجارب النووية كان مرده أزمة الصواريخ في كوبا ، التي دفعت بالعالم الى حافة حرب نووية . وكاجراء وقائي آخر ضد احتمال نشوب حرب نووية عرضا أو بسبب سوء تفاهم ، تم انشاء خط اتصال مباشر ـ يعرف بصورة شائعة بـ « الخط الساخن » ـ بين البيت الابيض في واشنطن والكرملين في موسكو .

وعكست هذه الاجراءات الوقائية ، ضد نشوب حرب عرضية ، وتلويث الجو ، طريقة معالجة جديدة للعلاقات الامريكية السوفياتية . وفي خطاب بارز ، القاه الرئيس كنيدي في الجامعة الامريكية في واشنطن ، في شهر يونيو من عام ١٩٦٣ . اقترح انفراجا في الحرب الباردة .

فقد قال : « يتوجب علينا ان نصرف شؤوننا على نحو يصبح معه من مصلحة الشيوعيين الموافقة على سلام حقيقي . وقبل كل شيء وفي حين نقوم نحن بالدفاع عن مصالحنا الحيوية ، يتوجب على الدول النووية ان تتلافى تلك المواجهات التي تجعل خصما ما أمام خيارين ، تقهقر مذل أو حرب نووية ... وكي يمكن تحقيق هذه الأهداف فان أسلحة أمريكا ليست استفزازية وهي تحت سيطرة دقيقة ومصممة لأن تردع ويمكن استخدامها على نحو انتقائي . ان قواتنا العسكرية ملتزمة بالسلام ومدربة على ضبط النفس . وان الولايات المتحدة ، كما يعلم العالم لن تبدأ حربا نووية اطلاقا » . واختتم

الرئيس خطابه قائلا : « إن أمريكا توجه طاقاتها ليس نحو استراتيجية افناء بل نحو استراتيجية سلام » .

اعوام جونسون في الرئاسة

انتهى دور الرئيس كنيدي الشخصي والنشيط في السعي وراء السلام في الخارج ، والتقدم الاجتماعي في الداخل ، نهاية مفاجئة وعلى نحو مفجع ، في الثاني والعشرين من نوفمبر ١٩٦٣ . حينما صرعته رصاصات اطلقها عليه مغتال في مدينة دالاس . بولاية تكساس . وفي حين كان العالم يعلن الحداد لوفاته ، انتقلت مقاليد الرئاسة الى ليندون جونسون ، الذي كان الرئيس الراحل كنيدي قد اختاره لمنصب نائب الرئيس .

وفي اول خطاب له أمام الكونغرس ، حث الرئيس الجديد الأعضاء على أن يوافقوا سريعا على برنامجين محليين رئيسيين كان الرئيس كنيدي قد ساعد في وضعهما ، وهما مشروع قانون للحقوق المدنية ينص ، كما وافق عليه مبدئيا مجلس النواب ، على توفير أقوى الضمانات الفدرالية حتى ذلك التاريخ ، ضد التمييز العنصري ، ومشروع قانون خاص بتخفيض الضريبة اصبح قانونا في أوائل عام ١٩٦٤ . وقد نص على اجراء تخفيضات كبيرة في معدلات ضريبة الدخل المستحقة على الاشخاص والشركات . وكان القصد منه تنشيط الاقتصاد وتخفيض البطالة عن طريق اعطاء المستهلكين المزيد من النقد للانفاق واعطاء المؤسسات التجارية المزيد من المال للاستثمار وتوسيع أعمالها .

ونال الرئيس جونسون مزيدا من التأييد للاجراء الضريبي بسبب اعلانه عن اجراء تخفيضات كبيرة في الانفاق العسكري وتوفيرات مشددة في الانفاق على ادارة الحكومة . وكان قد خصص جزء كبير من المبالغ المتوفرة للاستخدام في برنامج ضخم هو « محاربة الفقر » . فقد قال الرئيس جونسون ان حوالي عشرين بالمئة من الأسر الأمريكية لديها دخول تقل عن ٣،٠٠٠ دولار سنويا ، وهي أدنى بكثير من مستوى الرفاهية الذي يتمتع به معظم الأمريكيين . واقترح الرئيس جونسون ان تنسق جهود الوكالات الحكومية المعنية بالمشكلة عن طريق تكثيف التعليم والتدريب المهني ، والصناعات الجديدة والاجراءات الترفيهية المحسنة لجعل مستويات المعيشة للمحرومين في مستوى مقبول .

أما بالنسبة للشؤون الخارجية فقد قال الرئيس جونسون مخاطبا الكونغرس في مستهل رئاسته : « ان هذه الأمة ستفي بالتزاماتها ، من فيتنام الجنوبية الى برلين الغربية ، ولن نتوقف عن السعي نحو تحقيق السلام ، مستخدمين ما لدينا من سعة حيلة في ملاحقتنا لمجالات الاتفاق حتى مع أولئك الذين نختلف معهم ، وكرماء ومخلصين لأولئك الذين

يشتركون معنا في قضية مشتركة » .

وفي انتخابات نوفمبر عام ١٩٦٤ ، منح الشعب الرئيس جونسون اعلى نسبة من الاصوات ادلى بها لصالح مرشح للرئاسة ، ففاز فوزا كاسحا بفارق بلغ ١٥ مليون صوت .

وفي شهر مارس اوضح اهدافه بقوله :

« لا أريد أن أكون الرئيس الذي شيد أمبراطوريات أو سعى وراء العظمة أو وسع نطاق السيطرة . أريد أن أكون الرئيس الذي علم الأحداث عجائب العالم . أريد أن أكون الرئيس الذي يساعد على اطعام الجياع واعدادهم ليكونوا دافعي ضرائب بدلا من أكلة ضرائب . أريد أن أكون الرئيس الذي ساعد الفقراء على شق طريقهم والذي صان حق كل مواطن في الاقتراع في كل انتخاب . أريد أن اكون الرئيس الذي ساعد على انهاء الكراهية بين مواطنيه والذي أذكى المحبة بين الناس من جميع الأجناس وجميع الديانات وجميع الاحزاب . أريد أن أكون الرئيس الذي ساعد على انهاء الحرب بين الأخوة على هذه الأرض » .

ولكن حكومة الرئيس جونسون اصبحت مهتمة بالاعمال العسكرية بصورة متزايدة . فرفع عدد القوات الامريكية في فيتنام الجنوبية باضطراد . وبعد ذلك ، في ابريل عام ١٩٦٥ ، ارسل ما يزيد على ٢٠,٠٠٠ جندي الى جمهورية الدومينيكان لاستعادة النظام بين الفئات المتنازعة من الدومينيكانيين وذلك في المراحل المبكرة من الحرب الاهلية . وبطلب من الولايات المتحدة شكلت منظمة الدول الامريكية قوة من الدول الامريكية للحفاظ على السلام انضمت الى القوات الامريكية هناك ، وحولت التدخل الذي كان من جانب واحد الى عملية متعددة الاطراف . وبعد ان خفت حدة التوتر جرت انتخابات عامة في يونيو ١٩٦٦ جرى سحب القوات .

اما فيتنام فقد كانت قضية مختلفة . فقبل ان تنتهي مدة رئاسة جونسون كان قد ارسل اكثر من نصف مليون جندي لمواجهة النزاع في جنوب شرق لآسيا . ولم تتوصل الولايات المتحدة وفيتنام الشمالية الى اتفاق لاجراء محادثات اولية للسلام في باريس الا بعد حلول مايو من عام ١٩٦٨ . وبعد أن قرر الرئيس جونسون عدم ترشيح نفسه مرة اخرى للرئاسة نتيجة مواجهته تحديا من داخل حزبه بصدد قضية الحرب .

وقد تسببت تكاليف الحرب والانفاق القياسي على البرامج الداخلية والارتفاع الكبير في معدل دخل الاسرة ، في احداث ضغوط تضخمية شديدة على اقتصاد البلاد كانت من اعنف ما عرف منذ السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية مباشرة . وفي عام ١٩٧٨ انخفضت القوة الشرائية للدولار في مجال السلع بنسبة ١٠ سنتات مما كانت عليه عام

١٩٦٤ . وبلغ معدل التضخم السنوي ٢.٥ بالمئة . واستمرت أرقام البطالة في الانخفاض ، الا أن عدد الذين كانوا يتلقون مساعدات مالية للرفاه الاجتماعي ، وخاصة في المدن الكبيرة ، استمر في التصاعد بصورة ثابتة .

وبالنسبة لمعظم الأمة كانت أعوام الرئيس جونسون في الحكم فترة ازدهار رغم أنه كان هناك قلق جدي من جراء العجز المتزايد في ميزان المدفوعات ، وتدني احتياطي الولايات المتحدة من الذهب الناجم عن ذلك . على أن هذا العجز كان ناجما في جزء منه عن الاستثمارات الأمريكية المتنامية في الخارج وانفاقات الأمريكيين فيما وراء البحار وشراء المزيد من السلع الأجنبية ، وارتفاع الدخول في ارض الوطن . وكان يوازن مشكلات البلاد الاقتصادية النمو الاقتصادي الكبير الذي تحقق من عام ١٩٦١ حتى عام ١٩٦٩ ـ وهو في الواقع اعظم نمو عرفه التاريخ الأمريكي .

وشهدت تلك الأعوام أيضا فيضا من التشريعات الاجتماعية . فقد أقر الكونغرس خلالها قوانين خاصة بالحقوق المدنية تفوق ما اقره خلال فترة مماثلة من التاريخ الأمريكي . كما أن الكونغرس زاد مرة أخرى فوائد الضمان الاجتماعي . وفي عام ١٩٦٥ أنشأت البلاد معلما بارزا في التشريع الاجتماعي عندما وقع الرئيس جونسون على قانون برنامج الرعاية الطبية ، وهو نظام تأمين صحي خاص بالمسنين ، لا يستهدف الربح المادي . ولمعالجة الفوارق المدنية وافق الكونغرس على تشريع يضمن حق الاقتراع للأمريكيين السود الذين كان يتوجب عليهم في بعض الولايات الجنوبية التقدم لاختبارات تمييزية لاثبات معرفتهم للقراءة والكتابة . وخلال ذلك الوقت صادق الكونغرس وكذلك الولايات على التعديل الرابع والعشرين للدستور الذي حظر على الولايات الابقاء على ضريبة انتخابية كشرط للاقتراع في انتخابات عامة .

وفي عام ١٩٦٥ ، بعد مضي عام واحد على اقرار هذه الاجراءات الخاصة بحق الاقتراع ، ومع اول حادث في سلسلة من الاضطرابات التي احتاحت مدنا امريكية كبيرة خلال السنوات الثليلة التالية ، وذلك في واتس . وهي حي من احياء مدينة لوس انجليس في ولاية كاليفورنيا غالبية سكانه الساحنة من السود . ففي مدى ستة ايام قتل ٣٥ شخصا ودمرت مئات الابنية . وبدافع السخط نتيجة ما اعتبروه تدما بطيئا وغير متوازن مع عقود من الاهمال الاجتماعي والتمييز ، وفي بعض الاحيان بتحريض من بعض المتشددين ، لجأ السود الى اعمال العنف في شيكاغو وكليفلاند وديترويت ونيوارك وعشرات المجتمعات الاخرى . وفي ابريل عام ١٩٦٨ ، تعرض وسط العاصمة واشنطن لاعمال حرق وشغب بسبب موجة انفعالية اثارها اغتيال مارتن لوثر كنغ ، الزعيم الطليعي للسود

الامريكيين ، الذي قتل برصاص قناص فيما كان واقفا على شرفة احد الفنادق الريفية في ممفيس ، بولاية تنيسي .

وبعد شهرين من اغتيال كنغ ، قتل أيضا السناتور روبرت كنيدي ، شقيق الرئيس الراحل ، برصاصة أطلقت عليه في أحد فنادق لوس انجيليس بينما كان يقوم بحملته الانتخابية للفوز بترشيح الحزب له للرئاسة . وفي وقت لاحق من فصل الصيف ذاك كان المؤتمر الوطني للحزب الديمقراطي الذي عقد في شيكاغو مسرح مواجهة بين دعاة الاجراءات الفعالة المعادين للحرب وشرطة شيكاغو .

وكانت الاضطرابات وأعمال العنف من أعراض تغييرات عميقة تحدث في الولايات المتحدة . فقد أصبح عدد متزايد من الأمريكيين مستاءا من انعدام الاهتمام الشخصي في المجتمع الضخم والحكومة الكبيرة ، ومن الحرب في فيتنام وكذلك استمرار مظاهر التمييز ضد الأشخاص بسبب الجنس أو الخلفية الأثنية أو العنصر أو أنماط الحياة . ولذا شهدت الستينات تغييرات كثيرة في المواقف والعلاقات الشخصية والقيم وحتى اللباس والأخلاق .

وكذلك كانت هناك تغييرات تكنولوجية دراماتيكية بادية بوضوح . فرحلة المركبة الفضائية « ابولو ٨ » في عام ١٩٦٨ حملت رواد الفضاء فرانك بورمان وجيمس لوفيل ووليم اندرز إلى مدار قمري . وقد ابتعد هؤلاء ، وكانوا اول من يغامر بالانطلاق الى ما وراء مجال جاذبية الارض ، اطول مسافة عن الارض (ما يزيد عن ٣٦٨،٠٠٠ كيلو متر) وسجلوا اعظم سرعة (قاربت ٤٠،٠٠٠ كيلو متر في الساعة) في التاريخ . وبعد ان امضي ملاحو ابولو عيد الميلاد في مدار حول القمر ، عادوا الى الارض في ٢٧ ديسمبر ، وختموا هبوطا دقيقا محكما في منطقة الانتشال في المحيط الهادي . وهذا الحدث ، بالاضافة الى افراج كوريا الشمالية عن ملاحي السفينة الامريكية « بويبلو » التي كانت قد احتجزتها تجاه ساحلها في شهر يناير من عام ١٩٦٨ ـ اشاعا الاشراق في الاسابيع الاخيرة من رئاسة جونسون .

رئاستا نيكسون وفورد

في ٢٠ يناير ١٩٦٩ ، اقسم ريتشارد نيكسون اليمين الدستورية بصفته الرئيس السابع والثلاثين للولايات المتحدة . ففي معركة خاضها ثلاثة متنافسين من بينهم حاكم ولاية الاباما السابق جورج والاس ، هزم المرشح الجمهوري نيكسون بفارق بسيط في الاصوات منافسه الديمقراطي هوبرت همفري ، الذي كان نائبا للرئيس في عهد جونسون . ولم يكن

نيكسون غريبا عن البيت الابيض اذ سبق ان تولى منصب نائب الرئيس لدورتين متتاليتين في عهد الرئيس ايزنهاور . وفي عام ١٩٦٠ خاض معركة الرئاسة ضد جون كنيدي فهزم بأكثرية ١١٨,٠٠ صوت فقط من اصل ٦٩ مليون صوت . وبعد عامين وحين خسر حملته الانتخابية لمنصب حاكم لولاية كاليفورنيا . استخلص معظم المراقبين السياسيين ان حياته السياسية قد انتهت . وقد انتقل الى مدينة نيويورك لكي يمارس المحاماة . وهناك حيث كان يفتقر الى قاعدة سياسية ، حشد قواه لتحقيق اعظم عودة لميدان السياسة خلال القرن . واعطى نيكسون بصفته رئيسا للبلاد اولوية للشؤون الخارجية واعاد الى حد كبير توجيه سياسة الولايات المتحدة . وفي يوليو عام ١٩٦٩ اوجز المبادىء العريضة التي ستوجه حكومته ، وحدد « مبدأ نيكسون » بهذه الكلمات :

« ان قوامه المحوري هو أن الولايات المتحدة ستشترك في الدفاع عن حلفائها واصدقائها وفي تطوير بلدانهم . ولكنها لا تستطيع ولن ترسم جميع الخطط وتصمم جميع البرامج وتنفذ جميع القرارات وتضطلع بكامل الدفاع عن دول العالم الحرة . ونحن سنساعد حيث تكون المساعدة مثمرة وتجعل الأمور تختلف حقيقة وتكون في مصلحتنا » .

وكان نيكسون قد وعد اثناء حملته الانتخابية بان يضع حدا للحرب في فيتنام . وهكذا بدأ بصورة بطيئة ولكنها ثابتة في سحب القوات الامريكية ، بينما واصل حملات عسكرية قوية . وتابع قضية التوصل الى تسوية سلمية بالتفاوض . ورغم انه بدا ان معظم الامريكيين يؤيد سياسة الرئيس القائمة على الانسحاب التدريجي ، الا ان اعدادا متزايدة من الامريكيين حبذت وضع حد فوري للحرب . وقد عبر هؤلاء المعارضون عن مواقفهم بتظاهرات « سلام » غالبا ما كانت كبيرة جدا . واخيرا تحققت التسوية في يناير ، عام ١٩٧٣ . وبعد ذلك بشهرين غادر آخر جندي امريكي مقاتل فيتنام . ولكن القتال استمر بين الفيتناميين انفسهم . وقد كلف اشتراك الولايات المتحدة في الحرب ، البلاد مقتل اكثر من ٥٧,٠٠٠ من افراد القوات المسلحة ، واصابة ما يزيد عن ٣٠٠,٠٠٠ بجروح ، وانفاق اكثر من ١٣٥,٠٠٠ مليون دولار .

وبذل نيكسون خلال مدة رئاسته الأولى جهدا كبيرا لتحسين العلاقات مع جمهورية الصين الشعبية والاتحاد السوفياتي . فبعد أن عكس اتجاه السياسة الأمريكية الذي استمر ربع قرن ، وافق على اقامة تبادل اقتصادي وثقافي واتصالات سياسية مع الصين . وتوج تلك السياسة عام ١٩٧٢ بزيارة شخصية قام بها لأكثر دول العالم عددا في السكان . وقام نيكسون على النحو ذاته بتوطيد تجارة أوسع مع الاتحاد السوفياتي وتخفيف حدة التوتر السياسي في العلاقات الأمريكية السوفياتية وهي علاقات بلغت ذروتها الدراماتيكية عندما

قام بزيارة شخصية لموسكو . وفي عام ١٩٧٢ ساعدت هذه السياسة على تحقيق اتفاق بين الدولتين للحد من عدد مراكز الصواريخ المضادة للصواريخ والصواريخ الهجومية الاستراتيجية .

وكان سجل الرئيس نيكسون في حقل السياسة الداخلية متسما بالتناقض . فقد زاد من الفوائد المحصلة بموجب قانون الضمان الاجتماعي ، وواصل تقديم المساعدات المالية الفدرالية لبرامج اسكان الأسر ذات الدخل المتوسط والمتدني ، كما زاد من الدعم الفدرالي للتعليم . وقام في صورة مبتكرة يعكس اتجاه الميل نحو المركزية بتوزيع جزء من الأموال الفدرالية على حكومات الولايات والحكومات المحلية عبر برنامج اقتسام الفوائد . ومن الناحية الأخرى استخدم الفيتو ضد مشاريع قوانين خاصة بتنظيف الممرات المائية الملوثة وتنفيذ أشغال عامة وانشاء مراكز لرعاية الأطفال خاصة بالأطفال الذين هم دون السن المدرسية والذين تحتاج أمهاتهم للعمل . كذلك قلل من التشديد على النشاط الذي تبذله الحكومة الفدرالية لمصلحة الأمريكيين السود .

وتسبب العجز المتواصل في الميزانية نتيجة تمويل الحرب في فيتنام وبرامج فدرالية أخرى في زعزعة استقرار الدولار عبر العالم . وقد تسبب هذا ، مع أحداث عالمية أخرى ، في انهيار النظام الدولي لتغيير العملات الذي انشىء بعد عام ١٩٤٤ والمرتكز على القيادة المالية الأمريكية. وحاول الرئيس نيكسون ، قصد مكافحة التضخم في الولايات المتحدة ، تطبيق القيود على الأسعار والاجور ، غير أن الاقتصاد بقي يعاني من معدل تضخم عال..

ولعل اكثر الاحداث اثارة التي تمت خلال السنة الاولى من رئاسة نيكسون هو هبوط الرائدين الفضائيين نيل ارمسترونغ وادوين الدرين على سطح القمر في ٢١ يوليو عام ١٩٦٩ ، فيما ظل الرائد الفضائي مايكل كولنز في مدار حول القمر في المركبة الفضائية الام ابولو ١١ . وبعد الهبوط بعربتهما على سطح القمر ، امضى الرائدان ارمسترونغ والدرين عدة ساعات يجمعان عينات من الصخور والمواد القمرية الاخرى ليعودوا بها الى الارض من اجل دراستها . وقد قاما ايضا بنصب علم امريكي على سطح القمر ولوحة محفورة كتب عليها « جئنا بروح السلام للبشرية جمعاء » .

ودخل نيكسون ، الذي حقق انجازات واضحة في مجال السياسة الخارجية تطغى على ادائه المضطرب في الداخل ، انتخابات عام ١٩٧٢ وفوزه مرجح جدا على المرشح الديمقراطي جورج ماكغوفرن وهو سناتور من ولاية ساوث داكوتا . وفي يوم الانتخابات ، وحين أصبح للشبان البالغين ١٨ عاما الحق بالتصويت لأول مرة ، فاز نيكسون بأصوات ٤٩ ولاية وبنسبة ٦٠،٦ بالمئة من مجموع الأصوات ، وهما من أعلى النسب المئوية التي

سجلت عبر تايخ الولايات المتحدة . ومن المفارقة ان البلاد انتخبت مرة اخرى كونغرس يسيطر عليه الديمقراطيون مثلما فعلت عامي ١٩٦٨ و ١٩٧٠ .

وقد أطلق حادث غامض وقع خلال الحملة الانتخابية عام ١٩٧٢ ـ وهو محاولة السطو على مقر الرئاسة القومية للحزب الديمقراطي الكائن في بنايات ووترغيت في وسط العاصمة واشنطن . باشراف أعضاء في اللجنة الانتخابية للرئيس نيكسون ـ شرارة ما أصبح فيما بعد أزمة داخلية شديدة . فخلال عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٤ تصاعدت اتهامات من الصحافة والسياسيين والمساعدين السابقين لنيكسون تقول ان حكومة نيكسون قامت بنشاطات غير قانونية . وكشفت تحقيقات تالية قام بها الكونغرس وهيئة محلفين فدرالية ومدع فدرالي خاص مستقل وكذلك المحاكمات التي نجمت عن ذلك ، كشفت النقاب عن أن شخصيات كبيرة في حكومة الرئيس نيكسون قد خرقت سير القانون بمحاولتها تخريب الحملة الانتخابية للحزب الديمقراطي عام ١٩٧٢ . وشملت الاتهامات التماس مساهمات مالية غير قانونية والتستر على أدلة جرمية وانتهاك الحرية المدنية للأفراد واستخدام الوكالات الحكومية بصورة غير قانونية والادلاء بشهادات زور أمام المحلفين ومكتب التحقيق الفدرالي ولجان تابعة للكونغرس .

وفي بداية الأمر تناول الرئيس نيكسون دليل ظرفي فقط ، ولكن حينما اصدرت اليه المحكمة العليا امرا بان يجعل في المتناول اشرطة تسجيل المحادثات التي سجلت في مكتب الرئاسة ، اصبح واضحا ان الرئيس كان على معرفة سابقة ، نفاها من قبل ، بمحاولة لحجب معلومات متعلقة بالسطو على ووترغيت عن السلطات القضائية . وفي التاسع من اغسطس ١٩٧٤ بعد ان واجه اتهاما أكيدا واحتمال عزله من قبل الكونغرس ، استقال واصبح اول رئيس في التاريخ الامريكي يستقيل من منصبه .

وجاءت استقالة نيكسون بعد ١٠ أشهر فقط من استقالة نائب الرئيس سبيرو أغنيو . ففي تحقيق لم يكن متعلقا بالاتهامات الموجهة الى نيكسون ومساعديه ، اكتشف محقق فدرالي دليلا على أن أغنيو أخذ رشاوى بينما كان يشغل منصبا رسميا . ولذا قرر أغنيو أن يستقيل وأن لا يجادل في تهمة أخف هي اعداد بيانات مزورة بدخله بدلا من تحدي قضية الرشوى الحكومية أمام المحكمة .

وكي يملا منصب نائب الرئيس الشاغر ، حسبما نص على ذلك التعديل الخامس والعشرون للدستور ، رشح الرئيس نيكسون جيرالد فورد ، وهو من مدينة غراند رابيدز في ولاية مشيغان . وكان فورد ، وهو زعيم اقلية الحزب الجمهوري في مجلس النواب ، عضوا قديما في المجلس ، خدم فيه لمدة خمسة وعشرين عاما ، ويحظى بمكانة بارزة لدى

زملائه من الجمهوريين والديمقراطيين على حد سواء . وبعد جلسات مرهقة جرى خلالها الاستماع الى شهادات ، وافق الكونغرس باغلبية ساحقة على ان يصبح فورد النائب الجديد للرئيس .

جيرالد فورد كرئيس

وحينما أصبح فورد رئيسا للبلاد بعد استقالة نيكسون تعهد بأن يكون « الرئيس للشعب جميعه » . ورشح فورد لمنصب نائب الرئيس نيلسون روكفلر الذي كان هو نفسه قد حاول مرتين الفوز بترشيح الحزب له لمنصب الرئاسة كما كان حاكما سابقا بارزا لولاية نيويورك . وأعطى الكونغرس موافقته على الترشيح بأغلبية ظاهرة من قبل المجلسين كليهما .

وفي مجال الشؤون العالمية تعهد الرئيس الجديد بالاستمرار في سياسة سلفه التي كانت تحظى بتاييد واسع النطاق . واعاد فورد تاكيد التزام الولايات المتحدة التقليدي تجاه حلفائها واعلن عن خطط لزيارة جمهورية الصين الشعبية والاتحاد السوفياتي كذلك . وفي نوفمبر ١٩٧٤ توجه بطريق الجوالي فلاديفستوك لاجراء محادثات مع الزعيم السوفياتي ليونيد بريجنيف . وقد توصل الزعيمان الى اتفاق مؤقت على الحد من عدد الاجهزة الاستراتيجية لنذف الاسلحة النووية التي تملكها كل واحدة من الدولتين . واستمرت المفاوضات الخاصة بمعاهدة الحد من الاسلحة الاستراتيجية (المعروفة بـ : سالت/٢) التي بدأت بين الدولتين عام ١٩٧٢ حتى فترة متندمة من عام ١٩٧٩ . وفي الاول من اغسطس عام ١٩٧٥ قام الرئيس فورد وبريجنيف وقادة ٣٣ دولة اخرى شرقية وغربية بالتوقيع على القرار النهائي الخاص بمؤتمر الامن والتعاون في اوروبا .

وتعهدت الدول المشتركة في المؤتمر بأن تحترم الواحدة منها سيادة الأخرى بصورة متساوية ، وبالتعاون في ميدان حقوق الانسان بالنسبة لمواطنيها ولمواطني الدول الأخرى .

وفي حين قام الرئيس فورد بتنفيذ مسؤوليات البلاد في المجتمع العالمي وعمل على استعادة ثقة الشعب بحكومته ، فقد أعطى أولوية الاهتمام للمشاكل الاقتصادية الخطيرة التي تواجه البلاد .

وفي ١٥ يناير عام ١٩٧٥ ، في خطابه الاول عن حالة الاتحاد قال مخاطبا الشعب الامريكي في صورة صريحة : « ان حالة الاتحاد ليست جيدة » . ورسم مسارا جديدا للولايات المتحدة . وقد طلب فورد من الكونغرس ان يشترك معه في وضع برنامج اقتصادي بعيد الاثر من شانه ان يخلق المزيد من النشاط الاقتصادي ويخفض البطالة ويعمل على

استمرار جهود الحكومة لمكافحة التضخم ويساعد في تخفيض اعتماد الامريكيين على المصادر الاجنبية للطاقة .

ونظرا الى أن الرئيس تسلم مهام منصبه وسط ركود اقتصادي شديد ، تصاحبه مستويات عالية غير مقبولة من البطالة والتضخم . فقد ركز بصورة مفهومة على الشؤون الاقتصادية . وخاض معركة مستمرة مع ما أشار اليه على أنه « الكونغرس الديمقراطي المسرف » . وجادل بقوة لصالح تخفيض الانفاق الحكومي .

ويوم حلت الانتخابات الرئاسية التالية خلال نوفمبر عام ١٩٧٦ ، كان بامكان الرئيس ان يجادل بان الاقتصاد كان في وضع افضل مما كان عليه حين تسلم مهام الرئاسة . ولكن ذلك الانجاز لم يكن كافيا لارضاء اغلبية المقترعين الذين ، ربما بسبب سخطهم على قرار فورد بالعفو عن الرئيس السابق نيكسون ، صوتوا لصالح المرشح الديمقراطي للرئاسة جيمي كارتر الحاكم السابق لولاية جورجيا .

وبدا من الواضح أن جيرالد فورد بالرغم من خسارته للانتخابات بفارق بسيط في الاصوات هو ٢ بالمئة فانه سيذكر على أنه الرئيس الذي استعاد ثقة واحترام كثير من الأمريكيين بمؤسساتهم وحكومتهم في وقت أحدثت فيه فضائح مثل ووترغيت ، عدم مبالاة وتبلدا لدى الرأي العام .

رئاسة جيمي كارتر

كان جيمي كارتر وجها جديدا في أفق السياسة الأمريكية ، وخلال حملة انتخابية امتدت عامين اتسمت بعمله الجاد واهتمامه بالتفاصيل أثار جيمي كارتر الذي ارتفع من عدم شهرة نسبية الى سدة الرئاسة ، مشاعر قسم كبير من المقترعين . وبدا أنه كان يلقى تأييدا ممن هم خارج التيار الرئيسي للسياسة الأمريكية ، والذين طلب منهم في خطابات واجتماعات لا تحصى بأن يرسلوا الى واشنطن واحدا من « خارجها » .

ولامست معتقدات كارتر الدينية أيضا وترا من مشاعر سريعة الاستجابة لدى أعداد كبيرة من الأمريكيين . فقد كانت لدى زعماء أمريكيين كثيرين مشاعر دينية عميقة ولكن لم يسبق ان حقق أي واحد منهم نجاحا معادلا لنجاح كارتر في دمج تلك المعتقدات في برنامج سياسي . وكانت طريقة المعالجة الأخلاقية هذه منعشة للكثيرين رغم أن آخرين كانوا ميالين الى عدم الثقة بسياسي ادعى أنه سوف « لا ينطق بكذبة اطلاقا » .

وقد وجد الرئيس كارتر نفسه خلال السنة الاولى من توليه الرئاسة وجها لوجه أمام الحقائق اليومية للسياسة الأمريكية فمن ناحية الايجابيات صادق الكونغرس مع بعض

التعديلات على تعديل قدمته الحكومة لنظام الضمان الاجتماعي رفع الحد الأدنى للاجور ومعدلات الضريبة وذلك في جهد لايجاد الدخل المطلوب لمواصلة البرنامج . ومن الناحية الأخرى ارسل الى الكونغرس برنامجا شاملا للطاقة آملا بأن ينال موافقة فورية ، الا أنه أصبح موضع مناقشات متواصلة من قبل الكونغرس . ولكن قبل انقضاء العام الثاني من رئاسته كان بامكان الرئيس كارتر أن يعدد ضمن نجاحاته المهمة مشروع قرار لالغاء القيود المفروضة على الغاز الطبيعي التي كانت تشكل جزءا من برنامجه الاصلي الشامل للطاقة وكذلك تشريعا من شأنه ان يساعده في اعادة تنظيم السلك المدني الفدرالي .

ورغما عن ان الاقتصاد واصل تحسنه فقد بدا أن معدل النمو بقي متوقفا عند نسبة هي حوالي خمسة بالمائة من مجمل الانتاج القومي ، كما ان البطالة ظلت مستعصية . كذلك التضخم الذي كان مشكلة عنيدة خلال العشرة اعوام السابقة ازداد سوءا ولذا بدأ الرئيس كارتر في برنامج لمكافحة التضخم واضعا تشديدا حادا على التعاون الطوعي بين الحكومة وارباب الاعمال والعمال من اجل الحد من ارتفاع الاسعار والاجور . وفي اجراء آخر قصد منه تعزيز الدولار الامريكي ، انشأت حكومة الرئيس كارتر بالتعاون مع ثلاث دول اخرى هيئة متناسقة للتدخل في السوق خصصت لها مبلغ ٣٠،٠٠٠ مليون دولار . وحث الرئيس على توسيع نطاق الصادرات الامريكية وعلى موافقة مجلس النواب على اجراء المفاوضات التجارية المتعددة الاطراف .

وفي سياسته الخارجية صدم الرئيس كارتر دبلوماسيين كثيرين باعلانه عن أن علاقات الولايات المتحدة مع الدول الأخرى ستكون مبنية على مدى اهتمامها بحقوق الانسان ـ مبدأ كارتر الخاص بـ « حقوق الانسان » . وتسببت تلك السياسة في اطلاق بعض الحكومات لاتهامات قائلة أن ذلك هو تدخل في الشؤون الداخلية لدول أخرى ، ولكن الاعلان لاقى استحسانا لدى غالبية زعماء العالم .

ومن بين الانتصارات التي يستطيع أن يعددها الرئيس كارتر كان التصديق على معاهدة قناة بناما التي تضمن حياد القناة حتى العام ألفين . وكان ذلك الشريط المار عبر البرزخ وطوله عشرة أميال ويضم القناة خاضعا لادارة الولايات المتحدة ، مما جعل بعض الأمريكيين يتهم الحكومة بمحاولة « التخلي مجانا » عن مورد ثمين . غير أن موقف الحكومة كان أن القناة هي مورد ملك بناما التي ستضمن في ادارتها لها مصالح الولايات المتحدة . وبعد بذل واحد من اعظم جهود اللوبي المكثفة التي أقدم عليها البيت الأبيض ، فاز الرئيس بالمصادقة اللازمة من مجلس الشيوخ وتم بعد ذلك التوقيع على وثائق المعاهدة التاريخية .

وسجل الاول من يناير من عام ١٩٧٩ بدء عهد جديد في العلاقات الامريكية الصينية . فالخطوات الاولى الرامية الى تطبيع العلاقات والتي بدأت عام ١٩٧٢ بزيارة ريتشارد نيكسون ل بيبجنغ (بكين) ، اتت ثمارها بعد حوالي سبعة اعوام ، وذلك بانشاء علاقات دبلوماسية كاملة بين الولايات المتحدة وجمهورية الصين الشعبية . وفي الوقت نفسه قطعت الولايات المتحدة علاقاتها الرسمية مع نظام الحكم الصيني في تايوان .

وانتج الجهد الذي لا يكل والذي بذله الرئيس كارتر من اجل المساعدة في توطيد سلام دائم في الشرق الاوسط ، التوقيع على معاهدة بين مصر واسرائيل في ٢٦ مارس عام ١٩٧٩ . وحملت المعاهدة تباشير انهاء دورة حروب الشرق الاوسط والزمت الدولتين بان تتفاوضا حول المشكلة الصعبة ، انشاء وطن للفلسطينيين ، وكان الفتح الذي حقق بالنسبة للشرق الاوسط انجاز كارتر الاشد طموحا في مجال السياسة الخارجية . ففي جهد فريد من الدبلوماسية الشخصية ارسى بداية المفاوضات في ما بين الرئيس المصري انور السادات ورئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن ، أولا في المنتجع الرئاسي كامب ديفيد وبعد ذلك انقذ محادثات السلام المتدهورة بقيامه بزيارة شخصية لكل واحدة من الدولتين .

وعاني الرئيس كارتر سنة ١٩٨٠ ، وهو آخر عام من أعوام رئاسته ، من نكسات شديدة في مجال السياسة الخارجية . ففي عام ١٩٧٩ توجت مفاوضات الحد من الأسلحة الاستراتيجية ، التي دارت بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة واستمرت سبعة اعوام ، بقيام الرئيس كارتر والرئيس السوفياتي بتوقيع معاهدة سالت الثانية . وحسب الدستور الأمريكي يتطلب ابرام المعاهدة مصادقة ثلثي أعضاء مجلس الشيوخ عليها ، الا أن الكثيرين من اعضاء المجلس أعربوا عن تحفظات بشأنها وعن شكوكهم في ما اذا كانت المعاهدة تصون فعلا المصالح الأمنية للولايات المتحدة . ويوم قام الاتحاد السوفياتي بغزو أفغانستان في أوائل عام ١٩٨٠ ، طلب الرئيس كارتر من مجلس الشيوخ عدم النظر في المعاهدة .

واستولى المتشددون الايرانيون على السفارة الامريكية في نوفمبر عام ١٩٧٩ ، واحتجزوا حوالي ستين من الامريكيين كرهائن . وحين لم يستطع الرئيس كارتر اقناع الايرانيين بالافراج عن الرهائن ، امر بقيام مجموعة عسكرية بمحاولة انقاذهم . الا ان المحاولة فشلت وقتل خلالها ثمانية جنود امريكيين عندما اصطدمت طائرتا هليكوبتر كانوا على متنها الواحدة منهما بالاخرى في الصحراء بايران . قد اعتبر علماء السياسة فشل الرئيس كاتر في تامين الافراج عن الرهائن بعد مضي عام على اسرهم ، عاملا في خسارته للانتخابات الرئاسية لعام ١٩٨٠ .

وجابه الرئيس كارتر أيضا مشاكل داخلية خطيرة وبصورة رئيسية في مجالي الاقتصاد والطاقة : ارتفاع أسعار الوقود والمواد الغذائية وتضخم مالي قاربت نسبته ١٤ بالمئة عام ١٩٧٩ ارتفع عام ١٩٨٠ الى نسبة ٢٠ بالمئة . وكان ذلك التضخم أسوأ تضخم عانت منه البلاد خلال العقود الاخيرة . ومما جعل الصعوبات الداخلية التي واجهها الرئيس تتراكم هو معدل البطالة المرتفع . فخلال عام ١٩٧٩ تراوح معدلها ما بين ٥،٦ بالمئة وستة بالمئة من القوة العاملة المدنية ولكن النسبة كانت اعلى بكثير في بعض المدن . ففي ديترويت مثلا أصدرت صناعة السيارات بسبب المبيعات المتدنية للسيارات ، أوامرها بالاستغناء مؤقتا عن خدمات الكثيرين من عمالها مما جعل نسبة البطالة في المدينة ترتفع الى ١٨ بالمئة .

وفي الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٨٠ رفض المقترعون الامريكيون تجديد ولاية الرئيس كارتر لدورة ثانية ، واعرب كثيرون منهم عن استيائهم من معالجته للمشاكل الخارجية والداخلية على حد سواء . ولذا قاموا يوم الانتخاب ، في الرابع من نوفمبر ١٩٨٠ ، بانتخاب رونالد ريغان وهو جمهوري محافظ كان قد تولى منصب حاكم ولاية كاليفورنيا لدورتين . وقد فاز ريغان باصوات ٦٦ ولاية ونال ٥١ بالمئة من مجموعة اصوات المقترعين وجاء فوزه باغلبية ٤٨٩ صوتا مقابل ٤٩ صوتا لمنافسة كارتر . ونتيجة للانتخابات فاز الحزب الجمهوري باكثر من ٣٠ مقعدا جديدا في مجلس النواب ، كما فاز بالاغلبية في مجلس الشيوخ وذلك لاول مرة خلال ٢٦ عاما .

وكان رونالد ريغان قد دخل المعركة الانتخابية على أساس وعد بتحقيق « بداية جديدة » للولايات المتحدة . وشدد خلال حملته على الحاجة لاستعادة القيم الأساسية المتمثلة بالعمل والاسرة والمجتمع والسلام والحرية .

BRIEF READING LIST IN AMERICAN HISTORY

Allen, Frederick Lewis

The Big Change, 1900-1950, America Transforms Itself, Harper & Row, 1969

Boorstin, Daniel Joseph

The Americans: The Colonial Experience, Random House, 1958

The Americans: The National Experience, Random House, 1965

Bradley, Edward Sculley, comp.

The American Tradition in Literature, 3rd ed., Norton, 1967

Burns, James MacGregor

Roosevelt: The Lion and the Fox, and *Roosevelt: The Soldier of Freedom,* Harcourt-Brace, 1956-70

Chase, Gilbert

America's Music, From the Pilgrims to the Present, 2nd ed., McGraw-Hill Book Company 1966

Degler, Carl Neumann

Out of Our Past; the Forces That Shaped Modern America, revised ed., Harper, 1970

Franklin, John Hope

From Slavery to Freedom: A History of Negro Americans, 3rd ed., Norton, 1967

Handlin, Oscar

America; a History, Henry Holt and Company 1968

Larkin, Oliver Waterman

Art and Life in America, 2nd ed., Henry Holt and Company, 1960

Link, Arthur Stanley

American Epoch; a History of the United States Since the 1890's, 3rd ed., Alfred A. Knopf, 1967

Morison, Samuel Eliot;
Commager, Henry Steele, and
Leuchtenburg, William E.

The Growth of the American Republic, 6th ed., Oxford University Press, 1969

Morris, Richard Brandon, ed.

Encyclopedia of American History, revised ed., Harper & Row, 1965

Nevins, Allan and Commager,
Henry Steele

The Pocket History of the United States, Washington Square Press, 1960

Parkes, Henry Bamford

The United States of America, Alfred A. Knopf, 1968

Parrington, Vernon L.

Main Currents in American Thought, Harcourt, Brace, and World, 1927

Rossiter, Clinton Lawrence

Seedtime of the Republic: The Origin of the American Tradition of Political Liberty, Harcourt, Brace, 1953

Smith, Guy E.

American Literature; a Complete Survey, Littlefield, Adams, and Company, 1957

Sorenson, Theodore C.

Kennedy, Harper, 1965

Thomas, Benjamin Platt

Abraham Lincoln: A Biography, Alfred A. Knopf, 1952

White, Theodore H.

The Making of the President—1960, Atheneum Publishers, 1961

The Making of the President—1964, Atheneum Publishers, 1965

The Making of the President—1968, Atheneum Publishers, 1969

أصحاب صور الكتاب : مجموعة الصور الملونة الأولى بعد صفحة ٤٦ : اللوحة ١ ، جزء من لوحة « عيد الشكر الأول » للفنان ج. فيريس باذن من صاحبها ومؤسسة سميثسونيان . ٢ : جزء من لوحة « شلالات بلاكستون . بوتاكيت ، رود آيلاند » باذن من سميثسونيان . ٣ : « الشارع الجنوبي من مادن لين » لـ وليام بنيت ، متحف نيويورك ، مجموعة ادوارد آرنولد . ٤ : « الشارع الثاني الى الشمال من السوق ـ فلادلفيا » لـ وليام بيرش ، قسم المطبوعات بمكتبة نيويورك ـ آستور ، ليونكس ، وتيلدين . ٥ : « مذبحة شارع كينج ـ بوسطن ، ١٧٧٠ » لـ بول ريفير ، متحف متروبوليتان . ٦ : « استسلام كورنواليس » لـ ترمبول ، مكتبة جامعة ييل . ٧ : « توقيع اعلان الاستقلال » لـ ترمبول ، متحف ييل . ٨ : « الوطنيون يجذبون تمثال جورج الثالث ـ يوليه ١٧٧٦ » لـ وليام والكوت ، مجموعة دار لنجتون باذن من شركة نشر التراث الأمريكي . ٩ : « بنجامين فرانكلين يستمد الكهرباء » لـ ويست . متحف فلادلفيا . مجموعة المستر والمسز هارتون سينكلر . ١٠ : « معاهدة بن مع الهنود » لـ ويست ، أكاديمية بنسلفانيا للفنون . ١١ : منظر لهارفارد ـ ١٧٢٦ لـ وليام بيرجس ، متحف فوج بجامعة هارفارد . ١٢ : « مزرعة رالف هويلوك » لـ فرانسيس الكسندر ، المتحف القومي للفنون ، هدية من ادجار وليام وبرنيس كريزلر جاربتش . ١٣ : جزء من لوحة « رقص فوق أرضية الحظيرة » لـ وليام مونت باذن من متحف سفولك وكاريج هاوس ، ستوني بروك ، نيويورك. مجموعة الصور الملونة الثانية بعد صفحة ٧٨ : اللوحة ١ : « موكب ٤ يوليه » لـ توماس هاولاند ، باذن من روسك. وايلنشتاين وشركاه . ٢ : « فزع في وول ستريت سنة ١٨٥٧ » لـجيمس كافرتي وتشارلز روزنبرج ، متحف نيويورك . ٣ : « استيطان المهاجرين » لـ صمويل ووه ، متحف نيويورك . ٤ : قناة ايريه عند شلالات ليتل ، نيويورك ، لـ وليام ميللر ، جمعية نيويورك التاريخية . ٥ : « صناعة عمود ادارة » لـ جون وير ، متحف متروبوليتان ، هدية من لايمان بلومنجديل ، ١٩٠١ . ٦ : « صانع العجلة » مجموعة ا. ف. فيشر ، برايتون ، ميشجان ، تصوير جوكلارك ، باذن من سكوت فورسمان وشركاه . ٧ : « صيد الحيتان » شركة متحف شلبيرن ، شلبيرن ، فرمونت . ٨ : « منظر مزرعة »كورير وآيفز ، باذن من شركة ترافلرز للتأمين . ٩ : « دانيال بون يصطحب المستوطنين عبر ممر كامبر لاند الجبلي » لـجورج كاليب بنجهام ، متحف جامعة وشنطن ، قاعة شتاينبرج ، سانت لويس ميزوري . ١٠ : « فندق المنظر الجميل » من مجموعة جمعية ماريلاند التاريخية . ١١ : جزء من لوحة « لويس وكلارك في مقابلة للهنود عند روص هول » لـ شارلز راسل ، جمعية مونتانا التاريخية . ١٢ : جزء من لوحة « مناقشة لنكولن و دوجلاس » تصوير كين رايلي . صفحة ٩١ : مكتبة الكونجرس . ٩٢ : ارشيف بيتمان . ٩٣ (فوق) : وزارة الزراعة. تحت : سكة حديد يونيون باسيفيك. ٩٤ : مكتبة الكونجرس . ٩٥ (الصورتان) : شركة فورد موتور. ٩٦ : شركة التلفون والتلغراف الأمريكية. ٩٧ (فوق) : بيتمان . تحت : مكتبة الكونجرس . ٩٨ (فوق) بيتمان. تحت : كالفار . ١٢٥ : نيويورك تايمز. ١٢٦ (فوق) : وكالة الاعلام. تحت : وايد ورلد. ١٢٧ : وكالة الاعلام. ١٢٨ (لليمين) : كارل هارفارد ، شركة بيكس ؛ بيتمان ؛ الفريد ايزنستاد ، لايف. ١٢٨ لليسار: نيكولاس موراي ، رالف طومبسون ، جامعة فرجينيا. ١٢٩ لليمين : الاعلام ؛ كارل فان فيشتن ، نيويورك. ١٢٩ لليسار: الاعلام ؛ بيني ويتشر. ١٣٠ (فوق) : كما فوتوز ؛ نسخة من مكتبة فرانكلين د. روزفلت ، هايد بارك ، نيويورك. تحت : هيئة وادي تنيسي . ١٣١ : مكتبة الكونجرس. ١٣٢ : الجيش الأمريكي . مجموعة الصور الملوّنة الثالثة بعد صفحة ١٤٢ : ١ : الأمم المتحدة تصوير دين كونجر ، حقوق الطبع ١٩٦٤ للجمعية الجغرافية القومية ٢ : تنظيف هارلم ، تصوير وتينبرج . ٣ : كتيبة السلام تصوير كونكلين . ٤ : اجتماع الشباب تصويروتينبرج . ٥ : عامل من فيستا تصوير سوليفان. ٦ : أطفال يلعبون تصوير باتجاليا . ٧ : كولمبيا ، ماريلاند ، تصوير مورتون تادر. ٨ : سفينة تمر تحت جسر فيرازانو ، باذن من « هيئة تريبورو بريدج آند تانل » . ٩ : خطوط اتصال ، شركة ستاندارد أويل كاليفورنيا. ١٠ : قطار توربيني ، جوردن جاهان ، الجمعية الجغرافية القومية. ١١ : طائرة ٧٤٧ ـ باذن من شركة بوينج. ١٢ : المشي على القمر ، ناسا. ١٣ : « المحيطات » تصوير ستان وايمان ، لايف. ١٤ : جراحة بالعقول الالكترونية ، تصوير لونوا ، بلاك ستار ، فورتشن . ١٥ : مركز المتابعة الفضائي ، ناسا . ١٦ : « ليزر » باذن من وستنجهاوس . ١٧ : الطاقة النووية . باذن من نورث أمريكان اويل. ١٨ : فرقة الوين نيكولاس تصوير هربرت ميجدول. ١٩ : «١٧٧٦» تصوير نالتاشيان . ٢٠ : الكسندر كالدر تصوير نلسون موريس . ٢١ : « مصنع صلب » ، شركة الصلب القومية . ٢٢ : حقل قمح تصوير راي آ تكسون . ٢٣ : سوبر ماركت تصوير لي باتجاليا .

توزيع وكالة الاتصال الدولي للولايات المتحدة الامريكية